السبت 15 حزيران 2019
العدد 3782 السنة الثالثة عشرة
samedi 15 Juin 2019 no 3782 13ème année

32 صفحة
1000 ليرة

الأخبار
al-akhbar
www.al-akhbar.com

كلمات

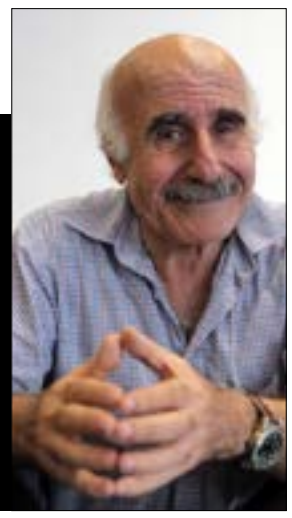

● **عباس بيضون**
الحداد بجرعات كبيرة

● **باسكال لحود:**
حداثتنا قِشرة ترزح تحتها حقائق مهولة

معادلات ما بعد «خليج عُمان»: خيارات واشنطن ضيّقة في «الردّ» على طهران [14]

وزارة المال لم تنشر النتائج المالية لعام 2018:

عجز الخزينة 6,3 مليارات دولار! [2]

«العمالة الأجنبيّة» الوزارة تحبّ المكافحة... لا التنظيم!

[4 ـ 5]

أعدّت وزارة العمل خطة لـ«مكافحة العمالة الأجنبية غير الشرعية»، ستبدأ بتنفيذها الشهر المقبل (مروان طحطح)

ذكرى

خمس سنوات على سقوط الموصل:
هل يعود «داعش»؟
16

مقابلة

عزّام الأحمد:
المشاركون في صفقة القرن خونة!
19

6
قضية
محرقة بيروت... بلا دراسة أثر بيئي!

15
سوريا
السبهان في شرقي الفرات... واعِداً بـ«دور أكبر»

20
الجزائر
محاسبة رموز نظام بوتفليقة:
ترحيب شعبي وتمسّك بالمطالب

قضية اليوم

وزارة المال لم تنشر النتائج المالية لعام 2018:

عجز الخزينة 6,3 مليارات دولار!

في نهاية 2018، سجّل عجز الخزينة ارتفاعاً بقيمة 2,5 مليار دولار ليبلغ 6,3 مليارات دولار. السبب يعود إلى تراجع في الإيرادات بقيمة 80 مليون دولار وازدياد في النفقات بقيمة 2,4 مليار دولار

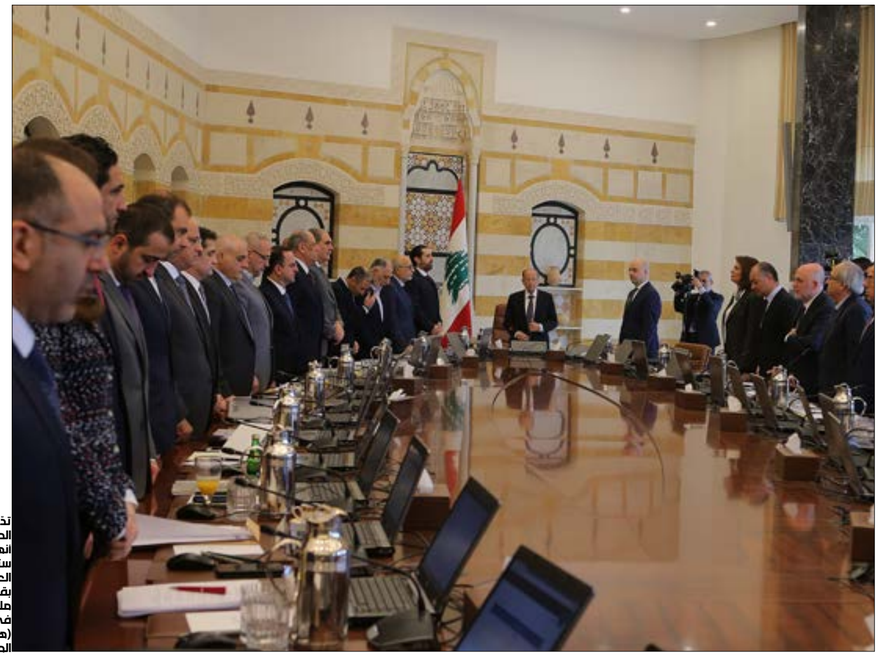

تدّعي الحكومة أنها ستخفض العجز بقيمة 2,4 مليار دولار في 2019 (هيثم الموسوي)

محمد وهبة

رغم مرور ستة أشهر من عام 2019، لم تنشر وزارة المال النتائج النهائية لعام 2018. ما بات واضحاً، أن الوزارة تسعى الى تضليل الرأي العام من خلال تأخير نشر نتائج الإيرادات والنفقات لعام 2018 للتعمية على النقاش الدائر بشأن أرقام مشروع موازنة 2019 الذي يناقش اليوم في لجنة المال والموازنة. فهناك فروقات كبيرة بين الأرقام التقديرية في مشروع موازنة العام الماضي، والأرقام الفعلية المحققة، وهناك فروقات أيضاً بين نتائج 2017 و2018، ما يعني أنه ليس هناك التزام بتنفيذ الموازنات، بل هناك تجاوز فاضح لها.

بحسب مصادر مطلعة، تبيّن أن النفقات الفعلية المحققة في نهاية عام 2018 بلغت 26800 مليار ليرة، وأن الإيرادات الفعلية المحققة بلغت 17400 مليار ليرة، وبلغ العجز 9400 مليار ليرة (6,2 مليارات دولار).

في المقابل، يدّعي مشروع موازنة 2019 أنه سيخفض العجز بقيمة 5100 مليار ليرة من خلال خفض النفقات بقيمة 3500 مليار ليرة وزيادة الإيرادات بقيمة 1600 مليار ليرة، إذ ورد في مشروع قانون موازنة 2019 الذي أقرّه مجلس الوزراء أن النفقات ستبلغ 23339 مليار ليرة، والإيرادات ستبلغ 19015 مليار ليرة والعجز سينخفض إلى 4322 مليار ليرة (2,86 مليار دولار).

وفي مقابل هذه الفجوة الهائلة بين تقديرات الموازنة للسنة الجارية، والنتائج الفعلية للسنة الماضية، هناك فجوة مماثلة بين نتائج 2017 ونتائج 2018. فقد تبيّن أن النفقات ازدادت في عام 2018 مقارنة مع 2017، بقيمة 3600 مليار ليرة (2,4 مليار دولار)، والإيرادات سجّلت تراجعاً طفيفاً بقيمة 115 مليار ليرة، علماً بأنه كان ينبغي لها أن تزداد بالاستناد إلى تقديرات وزارة المال أثناء مناقشة قانون سلسلة الرتب والرواتب والضرائب التي أقرّت بهدف تمويلها.

تأتي هذه النتائج المالية في ظل أوضاع مالية متدهورة، إذ سجّل ميزان المدفوعات عجزاً في أول أربعة أشهر من السنة الجارية بقيمة 3,3 مليارات دولار (مقارنة مع عجز 4,6 مليارات دولار خلال السنة الماضية بكاملها)، ويتردّد بين المطلعين أن العجز ارتفع في الأشهر الخمسة الأولى من السنة الجارية بقيمة 5 مليارات دولار. كذلك، تبيّن أن الودائع تقلصت بمعدل 1% في الأشهر الأربعة الأولى من عام 2019. كذلك، تأتي هذه الأرقام لتسلّط الضوء على مناقشات مشروع موازنة 2019 الذي تعتبره الحكومة مدخلاً لتحرير أموال «سيدر» التي قد تؤمّن شراء المزيد من الوقت وضخّ الأوكسيجين في عروق النموذج الاقتصادي الذي يعاني، في انتظار حلّ ما ينتشله من غرفة الإنعاش. قد يكون الحلّ الذي تراهن عليه الحكومة بما تمثّله من القوى السياسية، هو بدء استخراج النفط وبيعه. بمعنى آخر، تفرض هذه القوى على لبنان أن يدفع فاتورة هائلة لشراء الوقت في انتظار النفط الذي سيتيح لها العودة إلى نمط التبذير والهدر السابقين.

طبعاً، لا تقرّ القوى السياسية بأن أزمة اقتصاد لبنان هي أزمة عجز ميزان مدفوعات، أي أن الأموال بالعملات الأجنبية التي تخرج من لبنان، أكثر بكثير من تلك التي تدخل إليه. وهي في هذا الإطار تكرّس سلوكها المتهوّر في زيادة الضرائب على الاستهلاك، وإعفاء كبار المكلفين من تهرّبهم من تسديد الضرائب، وتزيد الأعباء على الأجور والرواتب وعلى الشركات الصغيرة والمتوسطة، وسط توقعات بأن ينكمش الاقتصاد بمعدل 1%، ما يثير الكثير من الشكوك حول إمكان تحصيل الضرائب التي ستقرّ في مشروع موازنة 2019.

والأسوأ من كل ذلك، أن هذه القوى السياسية ترى الوضع خطراً، لكنها لا تدرك مكامن الخطر. واحد من أهم مؤشرات هذا الخطر، هو التضخّم الذي بلغ في السنة الماضية 6%، فيما النمو الاقتصادي يتباطأ مسجّلاً 0,25%. بتعريف عدد من الخبراء الاقتصاديين، إن تزامن هذين العاملين يعني أن اقتصاد لبنان يمرّ بمرحلة ركود تضخّمي وهي من أسوأ المراحل التي يمرّ بها أي اقتصاد في العالم.

> **ميزان المدفوعات سجّل عجزاً في 4 أشهر بقيمة 3,3 مليارات دولار**

على أي حال، يسجّل في عام 2018، تراجع إيرادات ضريبة الأرباح بنسبة 35%، وإيرادات رسوم التسجيل العقاري، وتحويلات وزارة الاتصالات بنسبة 16%. وفي المقابل تضاعفت إيرادات ضريبة الفوائد بعد زيادتها من 5% إلى 7% وبعد ارتفاع معدلات الفوائد في السوق المالية المحلية، وازدادت إيرادات ضريبة القيمة المضافة بنسبة 10% بعد زيادتها لتصبح 11%.

وعلى صعيد النفقات، ازدادت كلفة الأجور والرواتب وملحقاتها بنحو مليار دولار، فيما ازدادت التحويلات لمؤسسة كهرباء لبنان بنحو 430 مليون دولار، وازدادت كلفة خدمة الدين العام بنحو 420 مليون دولار. وبنتيجة هذه التطورات على النفقات والإيرادات، تضاعف العجز في 2018 من 3,7 مليارات دولار في نهاية 2017، إلى 6,3 مليارات دولار في نهاية 2018.

علم وخبر

كلية الطب ــ «البلمند» خارج بيروت

تشغل كلية الطبّ ـ جامعة البلمند، التابعة لوصاية بطريركية أنطاكية وسائر المشرق للروم الأرثوذكس، مبنى في الأشرفية مقابل لمستشفى القديس جاورجيوس، حيث يقضي الطلاب فترة التدريب. المبنى تملكه مطرانية بيروت للروم الأرثوذكس، وكانت خلال الأشهر الماضية، قد انتشرت أخبارٌ بأنّ المطرانية طلبت من «البلمند» إخلاءه، بسبب حاجتها إلى المنشآت. فالمطرانية تستعدّ لإطلاق جامعةٍ خاصة بها، مُستقلة عن «البلمند»، وسيكون مقرها في المبنى الذي تستخدمه كلية الطب ـ البلمند. نُفي في حينه الخبر، وجرى الحديث عن اتفاق بين «البلمند» والمطرانية، لتمديد فترة العقد. ولكن بحسب معلومات «الأخبار»، تم تحديد أيلول المقبل، تاريخاً لإخلاء جامعة البلمند المبنى، وانتقال صفوف التدريس ومكاتب الإدارة، إلى مقرّ جامعة البلمند ـ الأكاديمية اللبنانية للفنون الجميلة ALBA، في سنّ الفيل. مع الإشارة إلى أنّ استرداد المطرانية للمبنى، لا يعني فكّ توأمة كلية الطب التابعة للبلمند، مع مستشفى القديس جاورجيوس.

سفراء يضغطون لتمديد ولايتهم المنتهية

يجري العمل بجدية على الانتهاء من ملفّ التشكيلات داخل وزارة الخارجية والمغتربين، والذي من المفترض أن يتضمن إعادة كلّ من انتهت مدة خدمته القانونية في البعثات الدبلوماسية في الخارج إلى الإدارة المركزية (تُحدد بـ 10 سنوات للفئة الأولى، و7 سنوات للفئتين الثانية والثالثة). ويبلغ عدد هؤلاء 11 دبلوماسياً ينتمون إلى الفئة الأولى، و20 من الفئة الثانية، أما الفئة الثالثة فعددهم 14 دبلوماسياً. أما من الإدارة المركزية، فسيُغادر 44 دبلوماسياً من الفئة الثالثة، ونحو خمسة دبلوماسيين من الفئة الأولى، وعشرة مديرين. تقول مصادر متابعة إنّ «سرعة إتمام التشكيلات مرتبطة بموضوع التعيينات الإدارية بشكل عام». وتُضيف بأنّ مجموعة من السفراء، الذين أتموا مدة خدمتهم القانونية في الخارج (10 سنوات)، شكلوا مجموعة ضغط، محاولين فرض التمديد لهم ثلاث سنوات في بعثاتهم الدبلوماسية. وبحسب المصادر المتابعة، فإنّ من شأن هذا الأمر أن «يُعرقل التشكيلات، ويخلق خلافات بين أعضاء السلك الدبلوماسي».

«الحياة» للبيع

أصدرت دائرة التنفيذ في بيروت قراراً ببيع رخصة جريدة «الحياة» في بيروت بالمزاد العلني، بناءً على الدعوى المرفوعة على إدارتها من الموظف السابق في «الحياة»، عماد لمع، والتي أدت إلى صدور قرار من مجلس العمل التحكيمي في بيروت بإلزام المدعى عليها، بدفع مبلغ 386 ألف دولار أميركي للمدّعي، عبارة عن غرامة إكراهية، بعد صرفه تعسفياً. وحُدّدت قيمة الرخصة بـ 350 ألف دولار أميركي، على أن يُصار إلى تنفيذ البيع بالمزاد العلني يوم 2019/6/21. وسبق أن أعلنت دائرة التنفيذ قرار بيع «الحياة» بالمزاد العلني في أيلول عام 2018، إلا أن وساطة بين المدعي والمدعى عليها أدت إلى إرجاء تنفيذ القرار.

في الواجهة

الزيح العمودي في التعيينات: مَن معنا ومَن ضدّنا؟

ليس مجلس الوزراء مَن تنتظره التعيينات الإدارية، بل آلية اتفاق الرئيس سعد الحريري والوزير جبران باسيل. مالم يتمكنا من انتزاع الحصة العظمى ووضعهما معيار منح الآخرين حصصهم، لن تبصر النور. ذلك هو البند الآخر المخفي من البيزنس في تسوية 2016

نقولا ناصيف

يروي السفير السابق والمدير العام السابق للأمن العام العميد أنطوان دحداح الآتي: إبان حكومة الرئيس تقي الدين الصلح عام 1974، عزم الرئيس سليمان فرنجية على إجراء ورشة مناقلات في الإدارة، تشمل المديرين العامين والموظفين الكبار وملء الشغور في بعض المراكز. من وفرة الوزارات والإدارات والمجالس والمصالح والمؤسسات العامة التي تطاولها التشكيلات، سأل عن سبل تنفيذها. كانت الأولى في عهده. بعدما حصل على لوائح وجداول بموظفي الفئة الأولى، الى المراكز الشاغرة، صعد دحداح الى الطبقة الثانية من قصر بعبدا، حيث الجناح الشخصي للرئيس، واتخذ من قاعة كبيرة مكاناً للورشة تلك. في وسط القاعة طاولة بلياردو يتسلى فرنجية بلعبتها. بمساعدة معاونه، أعدّ بطاقات صغيرة مربعة من الكرتون، ملونة، كل منها حمل اسم مدير عام، ووزعها على خريطة للإدارة اللبنانية وزارات ومجالس ومؤسسات قُسّمت خانات على الطاولة الخضراء. وُضِعت كل بطاقة في الخانة التي تشغل وظيفتها أو تشكو من شغورها. لبضعة أيام يحضر الرئيس، السابعة مساء، الى القاعة التي احتفظ المدير العام للأمن العام بمفتاحها ومنع دخولها. يقف أمام الطاولة، يتفرّس في خريطة الإدارة. يُقلّب البطاقات الملونة بين وظيفة وأخرى. يتوقّف. يفكر ملياً ويمحّ سيجارته على مهل. يستدير من حولها، ثم يبدل بطاقات أسماء المديرين العامين بين الخانات، من منصب الى سواه.

في اليوم الخامس، دخل رابع الى الغرفة، هو رئيس الحكومة تقي الدين الصلح. شرح له فرنجية ما يحدث، وراحا يتحدثان في المواصفات وإبدال الخانات والأسماء بعضها ببعض على الطاولة. يختلفان على اسم، ويتفقان على آخر حتى أنجزا المناقلات كلها. على الأثر، استدعى الرئيس المدير العام لرئاسة الجمهورية كارلوس خوري، وطلب منه إعدادها في جداول تبعاً لما استقرت عليه الخريطة على طاولة البلياردو. بعد أيام، أقرّها مجلس الوزراء.

لم يكتفِ الرئيس بتقليب الأسماء بين الخانات. قلّب كذلك ـ بلا معايير مسبقة ـ طائفة الوظيفة كي لا تُخصَّص إحداها بها دون سواها، وأدخل تناوب الطوائف على وظائف الفئة الأولى.

على نحو كهذا، اختار آخر رئيس للجمهورية قبل الحرب بناء الإدارة. قبله، كان الرئيس فؤاد شهاب يختار الموظفين الكبار بناءً على نبذاتهم فقط، من غير أن يعرف قبلاً أياً منهم. لكن إنجازه الفعلي، غير المسبوق، المناصفة في وظائف الفئة الأولى.

بعد الحرب، في مرحلة ما بعد اتفاق الطائف، ثمة وجهة نظر جديدة مختلفة تماماً. وصول قادة الحرب الى السلطة أحال الدولة تدريجاً على صورتهم. الشريك الفعلي لهم هو سوريا. في حكومة الرئيس عمر كرامي (1990 - 1992) وُضعت أول معايير لإعادة تصنيف المناصب الإدارية الرئيسية في الإدارة، وتوزيعها على الطوائف على نحو ينصفها في سياق قاعدة المشاركة. مع أولى حكومات الرئيس رفيق الحريري (1992 - 1995)، طُرح للمرة الأولى تقاسم الحصص على نحو لم يُتح مع كرامي. بالكاد أطيحت حقبة الرئيس ميشال عون، ولم تكن استقرت لسوريا سيطرتها على السلطة الإجرائية، ولا صار الى انتخابات نيابية تقبض بها على غالبية البرلمان.

بحصول ذلك نهاية عام 1992، راحت تدريجاً تتنامى نغمة «الترويكا» التي ستستمر في السنوات الثلاث التالية. أول عهد حكومة الحريري في التعيينات، رغبة رئيسها في تقاسم وظائف الإدارة والقضاء بينه وبين الرئيس الياس الهراوي، وثالثهما دمشق، صاحبة المصالح الرئيسية بغية إمساك كل بنى النظام اللبناني. آنذاك ـ على طريق «الترويكا» ـ شاعت عبارة للرئيس نبيه برّي: «من حضر السوق باع واشترى». ما قاله إنه لن يطلب لنفسه ما لم يطلب الآخرون. إذا طلبوا، فحصته كاملة. بذلك ذهبت حصص الوظائف الرئيسية الى الرؤساء الثلاثة ووليد جنبلاط، وكانوا محور معادلة الحكم التي لم يكن قد دخل إليها حزب الله بعد. أضف حصص حلفاء دمشق الآخرين، المتفرقين على أحزاب وشخصيات. راحت تسهر على توزيع حصص الكل، داخل الطوائف حتى، مع ترجيح كفة. لكن لا استئثار لأحد بحصة طائفته. كان من السهولة بمكان إمرار سلال التعيينات تلك في غياب الأحزاب والتيارات المسيحية المعارضة التي اختارت المقاطعة. مذذاك، إلى الآن، أضحت الإدارة على صورة أركان الحكم. لكن خصوصاً على صورة الأحزاب التي لم تكن قد نزعت عنها قبعة الميليشيات وثيابها.

> **الحريري وباسيل، عرّابا تسوية 2016، يريدان الحصة العظمى**

لم تكن مرحلة ما بعد اتفاق الدوحة عام 2008 أحسن حالاً. أضحى أفرقاء المعادلة ستة: الرؤساء الثلاثة وجنبلاط، انضم إليهم شركاء جدد هم حزب الله والتيار الوطني الحر والقوات اللبنانية. شأن حكومات الوحدة الوطنية، الصورة الوحيدة لنشوء سلطة إجرائية من دونها لا حكومة أبداً، يشارك فيها الأفرقاء الستة إياهم، كذلك تلاحقت دفعات التعيينات الإدارية، يسمّيهم هؤلاء من أحزابهم أو الموالين لهم فقط. عندما يتعذّر التقاسم والتفاهم يظل المنصب شاغراً.

لعلّ الوصف الصائب في ما درجت عليه الإدارة منذ اتفاق الطائف، مروراً باتفاق الدوحة، مع السوريين ومن دونهم، حتى الوصول الى تسوية 2016، هو عِبرة حوار قصير دار بين العميد دحداح والرئيس فرنجية عام 1974. ذهب إليه شاكياً تدخّل نجله النائب والوزير طوني فرنجية في شؤون الأمن العام. قال له: أنا أقسّم بين الناس بزيح أفقي كي أميّز. من فوق مَن لديهم مقدرة، ومَن تحت مَن يفتقرون إليها. بينما طوني يُقسّم الناس بزيح عمودي يضع إلى اليمين مَن يقول إنهم معنا، وإلى اليسار مَن هم ضدنا.

ما يحكى، اليوم، عن التعيينات الإدارية المرتقبة لحكومة الرئيس سعد الحريري، أسوأ بكثير من الزيح العمودي: لا يكتفي عرّابا الحكم، رئيس الحكومة والوزير الأول جبران باسيل، باعتماد ذلك الزيح. بل ـ وفق ما يشاع ويتردد على الأقل ـ لا يُعيّن إلا مَن يكون عندهما فحسب. وهما وحدهما يحسبان حساب الباقين.

IBL BANK

دعـــوة الى انعقـــاد الجمعيـــة العموميـــة العـاديـــة السنويـة
لبنـــك انتـــركونتيننتـــال لبنـــان ش.م.ل.
للنظر في حسابات السنة المالية ٢٠١٨

ان مســاهمي بنك انتركونتيننتـال لبنـان ش.م.ل. هم مدعـوون لحضـور الجمعية العمومية العاديــة السنوية التي ستنعقـد في تمـام السـاعة الثانية عشرة من ظهر يوم الجمعة الواقـع في ٥ تموز ٢٠١٩ في «فوروم رياض سلامه» في مركز المصرف الرئيسي الكائن في بيروت، الأشرفية، جادة شارل مالك، بناية الاتحادية العقارية ش.م.ل. للتداول في جدول الأعمال التالي:

١ - الاستماع إلى تقرير مجلس الإدارة العام عن أعمال المصرف للسنة المالية المنتهية في ٢٠١٨/١٢/٣١ والتقريرين الخاصين المنظمين عملاً بالمادة ١٥٢ (فقرة ٤) من قانون النقد والتسليف والمادة ١٥٨ من قانون التجارة.
٢ - الاستماع إلى تقريري مفوضي المراقبة العام والخاص عن حسابات وأعمال المصرف للعام ٢٠١٨.
٣ - المصادقة على التقارير كافة وعلى الميزانية العمومية وحسابات المصرف وأعماله للسنة المالية المنتهية في ٢٠١٨/١٢/٣١.
٤ - تخصيص نتائج أعمال المصرف للعام ٢٠١٨.
٥ - إبراء ذمة رئيس وأعضاء مجلس الإدارة عن حسابات وأعمال عام ٢٠١٨.
٦ - انتخاب عضو جديد في مجلس الادارة
٧ - تحديد مخصصات وبدلات حضور أعضاء مجلس الإدارة للعام ٢٠١٩ .
٨ - إعطاء التراخيص المنصوص عنها في المادتين ١٥٨ و١٥٩ من قانون التجارة والمادة ١٥٢ (فقرة ٤) من قانون النقد والتسليف.
٩ - أمـور مختلفـة.

يحق لكل مساهم الاشتراك في الجمعية العمومية او انتداب احد المساهمين لتمثيله علما بأن الوثائق الحسابية والتقارير كافة ستودع حسب الاصول في مركز الشركة قبل خمسة عشر يوما من موعد الاجتماع للاطلاع عليها عند الاقتضاء .

سليم حبيب
رئيس مجلس الادارة - المدير العـام
بنك انتركونتيننتـال لبنـان ش.م.ل

على الغلاف

بدلاً من «تنظيم العمالة الأجنبيّة»، اختارت وزارة العمل تعبير «المكافحة» لعنونة خطتها «مكافحة العمالة الأجنبيّة غير الشرعيّة على الأراضي اللبنانية». الخطة تربط معضلة سوق العمل في لبنان بالعمال السوريين بالدرجة الأولى، ومن بعدهم باقي العمال الأجانب، وتظهرهم جميعاً كمنافسين للعمّال اللبنانيين، على رغم اقرارها بان العمال الاجانب يقبلون بظروف عمل لا يقبل بها اللبنانيون، حيث الاجور متدنية وساعات العمل اليومي طويلة

خطة لا تؤدي سوى إلى تغذية العداء للنازحين

«العمالة الأجنبيّة»: الوزارة تحبّ «المكافـحة» لا «التنظيم»!

العمالة اللبنانية أيضاً غير منظمة ويجري استغلالها في ظروف عمل قاسية شأن العمالة الأجنبية (مروان طحطح)

إيلده الغصين

خطة وزارة العمل لـ«مكافحة العمالة الأجنبيّة غير الشرعيّة على الأراضي اللبنانية»، التي أطلقها وزير العمل كميل أبو سليمان الأسبوع الماضي، «رُفعت بكتاب رسمي إلى مجلس الوزراء، وحصلت على موافقات مبدئيّة، وقد توافق عليها الحكومة في الجلسة المقبلة»، كما يوضح لـ«الأخبار» المدير العام للوزارة جورج أيدا. علماً أن سريان الخطّة بدأ في 10 الجاري، اذ مُنح العمال وأصحاب العمل مهلة شهر لتسوية أوضاعهم، «قبل إقرار الموازنة ومضاعفة الرسوم على تسجيل العمال الأجانب والبدء بتحرير محاضر ضبط للمخالفين». وفق أيدا «الوزارة تتصرف وكأن الخطة والموازنة أقرّتا ومهلة الشهر تنتهي في 10 تموز المقبل»، مؤكداً انها «لا تستهدف جنسية معيّنة»، وأن الأمر «ليس خطوة استعراضيّة. فأصحاب الفنادق عرضوا على موقع إلكتروني مستحدث ألف وظيفة جديدة تقدّم إليها 17 ألف طالب عمل من اللبنانيين... ما ينفي أن اللبناني لا يحب العمل».

يُعتبر «تنظيم» العمالة الأجنبية مطلباً مزمناً، وهو يتصل بمطلب أشمل يطال «تنظيم» العمالة عموماً، اي التصدّي لمشكلة تفشي ما يسمى «العمالة اللانظامية» التي يقدّر حجمها بأكثر من نصف القوى العاملة في لبنان، فيما يقدّر حجم «الاقتصاد اللانظامي» بأكثر من ثلث مجمل الناتج المحلي. بمعنى آخر، ليست العمالة الاجنبية سبباً لمشكلة سوق العمل، بل واحداً من عوارضها. تراجع الاقتصاد الحقيقي، ولا سيما الصناعة والزراعة، وتقويض القدرة التنافسية للمؤسسات اللبنانية، وهجرة العمالة الماهرة، وزيادة تركّز النشاط الاقتصادي في الخدمات ذات الانتاجية المتدنية، فضلاً عن تدهور البنى التحتية والخدمات الاساسية وتراجع دور الدولة الرقابي وفقدان السيطرة على الحدود... كلها عوامل ساهمت في تشجيع اصحاب المشاريع والمؤسسات على احلال العمال الوافدين من بلدان افقر محل العمّال اللبنانيين، بغية استغلال موقعهم الضعيف والهش وتحقيق الارباح على حساب اجورهم الضئيلة وساعات عملهم الطويلة وحرمانهم من اي حماية اجتماعية او قانونية... في ظل هذه الاوضاع، يُفترض بأي خطّة مطروحة ان تنطلق من اهداف سياسية واجتماعية واقتصادية، لخلق اقتصاد حقيقي محلي قادر على استيعاب آلاف المتخرجين من الجامعات في وظائف تتناسب مع اختصاصاتهم ومعارفهم ومهاراتهم وطموحاتهم، وهي وظائف غير متاحة في ظل النموذج الاقتصادي القائم، ولا توجد فيها منافسة من العمالة الاجنبية.

الخطة المطروحة باختيارها عنوان «المكافحة» بدلاً من «التنظيم» المقرون بالاصلاح البنيوي للسياسات والمؤسسات، لا تفعل شيئاً سوى تغذية الموجة العدائية ضد النازحين السوريين، وتحميلهم وزر الازمات التي يعاني منها المجتمع اللبناني منذ سنوات طويلة قبل اندلاع الصراع في سوريا، والتي تفاقمت مع تدفق النازحين باعداد كبيرة... بهذا المعنى، تساهم خطة وزارة العمل في صنع «المتطفل الخارجي» او «الغريب»، الذي لولاه لكانت اوضاعنا على ما يرام. فهل هذا صحيح؟ وكيف ستجري «مكافحة» هذا «المتطفل» الذي تصوّره الخطة المطروحة كما لو انه مرض خبيث.

تطلب الخطة، في إطار التعاون مع القطاع الخاص، من جميع أصحاب العمل وجمعية الصناعيين واتحاد غرف الصناعة والتجارة والزراعة ونقابات أصحاب العمل ولجان التجار والاقتصاديين، «التقيّد بعدم تشغيل عمال أجانب في الأعمال والمهن والحرف والوظائف المحصورة باللبنانيين والتي تخضع حالياً للقرار 29/1 (صادر في 2018)، وضرورة الاستحصال على إجازات عمل للعمّال الأجانب في المهن التي يحق لهم العمل بها، إضافة إلى تشغيل اللبنانيين مكان الأجانب في المهن المحصورة باللبنانيين فقط».

الأسباب الموجبة للخطة تبدأ من العمالة السورية والنزوح السوري الذي بنتيجته «أصبح مئات الآلاف من العمال السوريين أصحاب الكفاءة والمهارة ينافسون اللبنانيين»، ووجودهم «لم يعد يقتصر على الأعمال الزراعية والبناء كما كان قبل الحرب السورية، فأصبحت بذلك العمالة السورية متواجدة في الفنادق والمطاعم وخدمات الاستقبال والإدارة والمستشفيات والصيدليات والمهن الخاصة بالكهرباء والتجارة والخياطة وغيرها». تعداد الخطة للمهن التي «تغزوها» العمالة الأجنبيّة، يفترض دقّة أكبر، ولا سيما ان الخطّة تعترف في اكثر من موضع بأنها لا تملك معلومات واحصاءات ما عدا انطباعات غير موثقة وليست صحيحة بالضرورة. كما انها لا تقدّم اي فهم او تشخيص للنقص الذي يعانيه لبنان في بعض المهن، مثل التمريض، بما يوجب على المخطّطين التفكير بزيادة عدد الخريجين في هذا المجال وتحسين شروطه، أو القبول بالعمالة الأجنبية في المستشفيات، نظراً للحاجة الملحة اليها. والأمر نفسه ينطبق على وظائف عدّة.

ترد الخطة الإشكالية «الكبيرة» إلى أن اللبنانيين «لا يعملون بشروط العمل نفسها التي يقبل بها السوريون من ناحية دوام العمل والأجر»، وهذا ما يفرض على الوزارة العمل على تحسين شروط العمل للجميع، وليس حث اللبنانيين على القبول بالشروط التي يرضاها النازحون. وبدلاً من أن تبدأ الخطة بالسبب الأساسي لمنافسة اليد العاملة الأجنبيّة، وهو «استرخاص» أصحاب العمل توظيفها وجنيهم الأرباح من عدم تسجيلها في الضمان الاجتماعي ومنحها حقوقها من إجازات اسبوعية وسنوية ومرضية ودوامات محدّدة وأجوراً عادلة تفوق الحدّ الادني للأجور... تمرّ عرضاً على أنه «فضلاً عن رغبة أصحاب العمل بعدم تحمّل أعباء اشتراكات الضمان الاجتماعي، وغياب شبه تام لإدارات الدولة في التنسيق بينها، مما خلق الفوضى القائمة في سوق العمل وعدم الالتزام بقانون العمل والفلتان في عمليات التوظيف في القطاعات كافة». فالمعالجة يجب أن تبدأ من تسوية أوضاع المؤسسات غير النظاميّة، وليس فقط تسوية أوضاع العمال لدى المؤسسات النظامية، قبل التهويل بـ«عدم شرعيّة» العمالة الأجنبيّة. إذ تشير التقديرات إلى أن نسبة النشاط الاقتصادي غير النظامي في لبنان تبلغ 35% من مجمل الناتج المحلي، إضافة إلى أنه في عام 2010 - قبل النزوح السوري - قدّر البنك الدولي مجموع العاملين غير النظاميين في لبنان بنحو 56% من مجموع القوى العاملة. ما يعني أن العمالة اللبنانية أيضاً غير منظمة ويجري استغلالها في ظروف عمل قاسية شأن العمالة الأجنبية.

> على الوزارة تحسين شروط العمل للجميع وليس حث اللبنانيين على القبول بالشروط التي يرضاها الأجانب

وتنظيم الأخيرة الذي تقترحه الوزارة سينعكس، والحال هذه، ازديادا في حجم العمالة اللبنانية غير النظامية، إلاّ إذا استطاعت الخطة فرض الرقابة على جميع القطاعات، وهذا مشكوك فيه.

يظهر جدول تتضمنه الخطة عدد إجازات العمل الصالحة حالياً التي حصل عليها سوريون، وهو 1733 فقط. وتعلل بأنه «رقم بعيد كل البعد عن الواقع، ولا يقارن بالعدد الفعلي لهم الذي يعدّ بمئات الآلاف»، بما يشير إلى أن العمال السوريين «لا يتقدمون للاستحصال على إجازات عمل من الوزارة العمل لانهم لا يخافون من الترحيل بسبب السياسة المتبعة من الدولة رغم التسهيلات العديدة». وتشمل التسهيلات للعامل السوري «إعفاءه من 75% من قيمة رسم إجازة العمل، إعفاء صاحب العمل من كفالة مصرفية قيمتها مليون و500 الف ليرة كما هو مطلوب من سائر العمال الأجانب، إعفاء العامل السوري من طلب الموافقة المبدئية والمسبقة كما هو مفروض على سائر العمال الأجانب». باستثناء هذه البنود «يخضع العامل السوري لتعديلات المرسوم 1964/17561 المعدّل بالمرسوم 2005/14268 الذي ينظّم العمالة الأجنبيّة بشكل عام، ويفرض على العمال المرتبطين بصاحب عمل معين بموجب عقد عمل الحصول على إجازة عمل من الوزارة». عملياً العامل السوري «يحصل على إقامة مؤقتة لستة أشهر ويجري اعتبارها أنها تسمح له بالعمل، غير أن المطلوب هو حصوله على إقامة خاصة للعمل تتضمن الحصول على بطاقة عمل من الوزارة تكون صالحة لسنة واحدة» وفق أيدا، خصوصاً أنه «يدفع ربع الرسم الذي يدفعه أي عامل اجنبي آخر للحصول على إجازة عمل، بموجب الاتفاقية المشتركة بين لبنان وسوريا».

في المقابل، تبقى فئة العمال غير المرتبطين بصاحب عمل معيّن ومنهم الموسميّون والمؤقتون كالعمال الزراعيين والمياومين وعمال الورش، وتقترح الخطة تنظيم عملهم بـ«أن يتقدم صاحب العمل من دائرة العمل المختصة بطلب استخدام عمال سوريين مؤقتين أو موسميين، وأن تدرس الوزارة الطلب وتتأكد من صحة مضمون المستندات وتمنح العامل بطاقة عمل مؤقتة بمهلة أقصاها 6 أشهر» كما يرد في الخطة. فيما يؤكد أيدا أن بطاقة العمل ستكون «لسنة كاملة».

لا توضح الخطة كيف ستؤدي الاجراءات التي تقترحها الى تسجيل جميع العمال السوريين، ومصدر الشكوك في جدواها انها تنظر الى العمالة الاجنبية اللانظامية كما لو انها خيارات فردية للعمال السوريين، في حين ان الوقائع التي تستعرضها الخطة نفسها تبين ان تسهيل حصول السوريين على اجازات العمل وتخفيض كلفة الرسوم والاعفاء من العديد من المعاملات الادارية المفروضة على العمال الاجانب من جنسيات مختلفة... لم يساهم بزيادة معدلات الامتثال، ما يعني ان اصحاب العمل هم الذين يتحمّلون المسؤولية بالدرجة الاولى لا العمّال المضطرين للرضوخ الى شروط قاسية مفروضة عليهم.

تشير الخطة إلى أنه «إضافة إلى عبء العمالة السورية، تأتي أزمة العمالة الأجنبية الأخرى التي يعود سببها إلى تدفّق العمال الأجانب إلى لبنان وتهرّب قسم منهم من الالتزام بقوانين العمل وكسر إقاماتهم لسنوات وجني الأموال من دون دفع الرسوم المتوجّبة عليهم لصالح الدولة، ما يؤثّر على الوضع الاقتصادي وتفاقم حالة البطالة نتيجة منافسة اليد العاملة الأجنبيّة». فوفقاً للخطة «عشرات الاف العمال الأجانب والعرب غير السوريين يعملون أيضاً في لبنان، جزء كبير منهم لا يمتلك إجازات عمل وهم في غالبيّتهم يستخدمون في لبنان تحت اسم «عمال التنظيفات»، بينما في الواقع يعملون في مجالات أخرى على سبيل المثال لا الحصر: محطات الوقود، الخدمة في المنازل، في مجال المهن اليدوية كالبناء ومتفرعاته، في القطاع الصناعي، في قطاع الخدمات السياحية كالفنادق والمطاعم». وقد بلغ عدد العمال «من الفئة الثالثة (ذكور/ تنظيفات) في 2018 الذين استحصلوا على إجازات عمل 71138 عاملاً، فضلاً عن عدد كبير وغير محدد يعملون بدون إجازات عمل». المخالفات التي تشير إليها الخطة، تعني غياب الرقابة وقبول العمال الأجانب بأعمال «لا يرتضيها» اللبنانيون وفق ما تردد الخطة نفسها. الا انها تقفز مباشرة الى خلاصة تقول إن «العمالة غير الشرعيّة تترك تداعيات سلبيّة كثيرة على الأمن الاجتماعي والاقتصادي للمواطن اللبناني تتمثل بأحداث جنائيّة وجنحيّة»! كما تتسبّب بـ«إخراج أموال خارج لبنان إضافة إلى بطالة حادة في صفوف الشباب اللبناني». غير أن الاقتصاد اللبناني يقوم أساساً على تدفق أموال المغتربين الذين يخرجون أموال غير بلدان إليه، اذ ان هناك اكثر من 700 الف لبناني يعملون في الخارج ويحوّلون نحو 8 مليارات دولار الى اسرهم المقيمة في لبنان، وفي المقابل هناك عمال اجانب في لبنان يحولون اموالا الى اسرهم المقيمة في بلدانهم، وهذه ليست ظاهرة جديدة في لبنان بل هي سمة اساسية من سمات نموذجه الاقتصادي تاريخيا، ولا سيّما وأن الدستور اللبناني يتبنّى الاقتصاد الحرّ ويعتمد سياسات الحدود المفتوحة لتدفق الرساميل والسلع والخدمات... وهو ما ينسحب على تدفق اليد العاملة. لذلك، تعمد وزارة العمل في خطّة «المكافحة» الى التأكيد على «حرصها على الحدّ من الضرر بمصالح المؤسسات والشركات اللبنانية»... علماً أن المخالفين بالدرجة الأولى هم المؤسسات والشركات وأصحاب العمل.

مراقبة تنفيذ الخطة ترتكز على 35 مفتشاً فقط في الوزارة، وتطالب بدعم جهاز تفتيشها من خلال «السماح بالنقل من فائض الموظفين في الوزارات الأخرى ليتمكّن هذا الجهاز من القيام بمهامه كاملة من خلال تفتيش يومي ودوري أكثر فعاليّة للقطاعات والشركات والمؤسسات والإنشاءات والمحلات». علماً أن فائض الموظفين في غير وزارات ليس بالضرورة من أهل الاختصاص والخبرة بالتفتيش الذي تسعى وزارة العمل إلى تطبيقه لمراقبة عشرات آلاف المؤسسات والمشاريع والعمال الذين تذكرهم في خطّتها. وعليه يردّ المدير العام للوزارة: «ما تعتلوا همنا، فريق المؤسسة الوطنية للاستخدام سيساعد كون الخطة تهدف إلى خلق فرص عمل للبنانيين، وكذلك مختلف الأجهزة الأمنيّة، والوزارات التي تملك أجهزة تفتيش... فوزارة الاقتصاد مثلاً بادرت إلى إقفال عدد من المؤسسات في الفترة الأخيرة. ومفتشو الضمان أيضاً شركاء في الخطة، ويتوجّب على كل صاحب عمل تسجيل عماله بالضمان كوثيقة أساسية لمنح إجازة العمل». تأمين تمويل من خلال نقل اعتمادات من باب الاحتياط في الموازنة العامة إلى موازنة وزارة العمل من أجل دعم جهاز التفتيش و«إطلاق حملة إعلاميّة وإعلانيّة لمدة شهر واحد بكلفة إجماليّة قدرها 300 مليون ليرة»، والحملة تهدف إلى «التفاعل مع المواطنين لتوضيح أهدافها وغاياتها والإضاءة على حقوق وواجبات أصحاب العمل والعمال الأجانب».

تفعيل العمل الإداري وجهاز التفتيش في الوزارة، يهدف أيضاً إلى «إقفال المؤسسات المملوكة أو المستأجرة من أجانب لا يحملون إجازة عمل وفقاً للقوانين والأنظمة»، علماً أن الإقفال إذا تمّ خلال مهلة الشهر الممنوحة في الخطة فإن الخسارة من الجانب اللبناني ستكون أكبر كون المؤسسات المملوكة من أجانب يفترض بها توظيف 75 بالمئة من عمالها من اللبنانيين. بحسب الخطة «يحق للأجانب التقدم بطلب لفتح مؤسسات تجارية اذا كانت مساهمتهم لا تقل عن 100 مليون ليرة، ويلزمون بأن يكون 75% من العمّال لبنانيين (اي مقابل كل عامل اجنبي يجب ان يكون هناك 3 عمال لبنانيين)». مما يشير إلى إقفال المؤسسات «الأجنبيّة» الصغيرة. أما التذرع بعدم تطبيق المؤسسات المملوكة من أجانب هذا الشرط في التوظيف فيفترض أن تساءل عنه الوزارات المعنيّة لعدم تطبيقه.

الغرامات ستتضاعف

بعد شهر ستتراوح الغرامات على المؤسسات المخالفة بحسب مدير عام وزارة العمل جورج أيدا، «بين مليونين و5 ملايين ليرة عن كل عامل أجنبي لديها لا يملك إجازة عمل. أما المخالفة الثانية فتقضي بإقفال المؤسسة». وبشأن الانذار فهو «بدأ إعلامياً وسيصبح لدى الجميع علم بالتدبير». بعد إقرار الموازنة، سترتفع الرسوم على إجازات العمل «من 480 ألف ليرة للفئة الثالثة إلى مليون ليرة، ومن 960 ألفاً للفئة الثانية إلى مليوني ليرة، ومن مليون و800 ألف للفئة الأولى إلى 3 ملايين». وهو ما يحذر منه أيداً بعد إقرار الموازنة لأن الكلفة سترتفع على صاحب العمل «كونه سيضطر إلى تسجيل العامل الأجنبي لديه في الضمان الاجتماعي بالإضافة إلى تأمينه في مؤسسة للتأمين (لأنه لا يستفيد من الضمان)... توفير صاحب العمل لهذا كلها سيدفعه إلى توظيف لبناني وتشغيل عائلة».

تقرير

حملة «التيار» ضد العمالة السورية

لعبة الشارع سلاح ذو حدّين

يعود ملف النزوح السوري من جديد إلى دائرة التجاذبات السياسية. التيار الوطني الحر أطلق حملة للضغط على النازحين للعودة إلى سوريا. من خلال التظاهر أمام محال تجارية توظف عمالاً سوريين، و«الدلّ» على أصحابها لتطبيق قانون العمل. في المقابل، تعتبر وزارة العمل أنّ هذا الأمر من صلاحياتها، داعية إلى اعتماد حلول طويلة الأمد

ليا القزي

ما هي الوظائف التي يعمل بها النازحون والعمّال السوريون؟ وهل كان يشغلها لبنانيون «طردوا» منها، لاستبدالهم بيد عاملة أرخص؟ وإلى أي حدّ يرتبط ارتفاع نسبة البطالة المحلية بارتفاع أعداد العاملين الأجانب؟ وأالأهم، إذا غادر كلّ السوريين - عمّالاً وعائلات ونازحين - لبنان غداً، هل يشهد الاقتصاد نقلة نوعية نحو التعافي؟ أم ستتكرّر أزمة ما بعد 2005 عندما تقلّصت أعداد الأيدي العاملة السورية جرّاء التصرفات العنصرية والاعتداءات ضد أفرادها؟

يبدو طرح هذه الأسئلة مُلحّاً مع ارتفاع الاجراءات المُتخذة بحق العمال السوريين، مترافقة مع ضغوط سياسية وحملات شعبية لم تعد تُميز بين واجب تنظيم العمالة الأجنبية وتطبيق القانون، وبين الخطاب العنصري الذي يحوّل النازحين «مُحتلين» و«أعداء» للبنانيين، من دون إقامة اعتبار لخطورة هذا الخطاب على المستويات كافة.

السبت الماضي، أطلق قطاع الشباب في التيار الوطني الحر «حملة توعية»، غايتها «الحثّ على العودة الآمنة للنازحين السوريين». تحت هذا الشعار، سُوّق للتحرك على منصات «التيار» الاعلامية. من أمام مركزية «التيار» في «ميرنا الشالوحي»، انطلق شباب الحزب نحو محال ومطاعم في ضواحي منطقة الجُديدة حيث يعمل شبان سوريون. الهدف «تعريف أصحاب المحال على قانون العمل اللبناني» الذي يمنع توظيف سوريين إلا في قطاعات البناء والزراعة والتنظيفات. جرى الانتقال إذاً من «تنظيم العمالة» إلى الضغط على أصحاب العمل لصرف العمال السوريين حصراً، من دون توضيح كيف سيؤدي ذلك إلى دفعهم لمغادرة البلد. كان ذلك التحرك الأول، «وستكون لنا جولات أخرى»، يقول نائب منسق قطاع الشباب إيلي أبي رعد، مؤكداً أنّ «أساس التحرك القيام بحملة توعية للبنانيين غير المطلعين على القانون، وتقديم إخبار للوزارات المعنية لتقوم بعملها».

> تصف وزارة العمل الحملة العونية بالمناورة السياسية

يُشكّل النزوح السوري في لبنان عامل ضغط كبير على قطاعات المجتمع كافة. الأعباء ليست محصورة بـ«شارع» مُعين، أو طائفة دون أخرى. جميع القوى السياسية تتحدّث عن «أزمة» يجب إيجاد حلّ لها. الاختلاف هو على شكل هذا «الحلّ»، خصوصاً أنّ قوى عدة، أولها رئاسة الحكومة، لا تزال تُكابر في الامتناع عن التواصل مع الدولة السورية، المعنية الأولى بالمسألة. و«تُساير» رئاسة الحكومة في هذه المكابرة، أحزاب وتيارات أخرى تحصر التواصل مع دمشق بالإطار الفردي، حفاظاً على التسوية الداخلية. تناول موضوع النازحين لا يتمّ إلا من خلال وجهتي نظر تُفرغان الموضوع من جوهره. الأولى «تجنح» إجمالاً الى تبني خطاب عنصري ضد السوريين، ظنّاً منها بأنّها بهذه الطريقة تضغط على «المجتمع الدولي» وعلى العائلات النازحة للعودة إلى بلدها. يؤدي هذا الأسلوب إلى وجهة النظر الأخرى التي تحمل لواء القيم الانسانية ورفض العنصرية. الاثنتان تلغيان كلّ نقاش موضوعي وعلمي.

حين قرّر التيار الوطني الحرّ إطلاق حملته، اعتبرها البعض «مزايدة» على خطة وزارة العمل في ما خصّ تنظيم العمالة. حاول المعترضون إيصال رسالة إلى المعنيين في «التيار» بأنّ الحملة لن تتمكن من تحقيق هدفها، نظراً إلى غياب إمكانية تنفيذ التيار تحركات مماثلة في مناطق عدّة، وبسبب ضغوط الجهات التي تريد فرض إبقاء النازحين في البلدان المضيفة. في النتيجة، لن يؤدّي الأمر سوى إلى خلق بيئة معادية للسوريين وارتفاع التوتر بما قد يؤدي الى انفلات العنف بين أبناء المجتمعين. وفي المقابل، سيعتبر العامل الذي حُرم من مورد رزقه، بهذه الطريقة المُعادية له، أنّ هناك من مسّ «بحقّه»، وسيشعر بمظلومية تجعل سهلاً اختراقه وتوجيه حركته. المعترضون يأخذون على «التيار»، أيضاً، أنّ واحداً من أهداف الحملة حاجته إلى «خلق قضية» يشدّ من خلالها عصبه في «الشارع المسيحي»، وتكون عنوان معاركه المقبلة.

ترفض مصادر رسمية في «التيار» ذلك، واضعة ما يحصل في إطار «الدفع لإعادة النازحين السوريين إلى بلدهم»، وتؤكد أن «لا حلّ سوى بالحوار مع دمشق». تُدرك المصادر خطورة لعبة الشارع وإمكان أن يؤدي ذلك إلى العنف، لكنها تشدد على «أننا لسنا عنصريين. وفي كلّ المناطق هناك انزعاج من المزاحمة في سوق العمل، لذلك نحن لا نقوم بأي مزايدات سياسية». كما تنفي أن يكون تحركها لقطع الطريق على خطة وزير العمل كميل بو سليمان. إلا أنّ ما يُنقل عن أوساط وزارة العمل مُخالف تماماً، لجهة وصفها الممارسات في الشارع بـ«العنصرية»، و«مناورات سياسية». وتُضيف أنّ الوزارة «مع إيجاد حلول طويلة الأمد، تأخذ في الاعتبار مصالح اللبنانيين، وفي الوقت نفسه حاجات السوق، من خلال تطبيق القانون»، مؤكدة أن الوزارة العمل «وحدها صاحبة الصلاحية في إقفال المحال، وليس أي فريق آخر».

قضية

مع اقتراب موعد طرحه أمام المجلس البلدي لبيروت، لا يزال هذا دفتر شروط المحرقة، بصيغته النهائية التي حصلت عليها «الأخبار»، عاجزاً عن تأمين حل آمن ومتكامل لقضية نفايات العاصمة. فهو، أولاً، لا يأتي ضمن استراتيجية شاملة ولا ضمن خطة للادارة المتكاملة للنفايات، اضافة الى ملاحظات اخرى يتعلق أهمها بموقع المحرقة الذي لم يجرؤ أحد على الاعلان عنه بعد، وبدراسة الأثر البيئي التي ستجرى بعد انتهاء المناقصات لا قبلها!

دفتر شروط معمل التفكك الحراري في بيروت

محرقة بلا موقع... ولا دراسة أثر بيئي!

حبيب معلوف

لعل اول شرط لم (ولن) تستطيع بلدية بيروت (او اي بلدية اخرى) تجاوزه لنجاح مشروعها لمعالجة أزمة النفايات، هو أن يأتي هذا المشروع من ضمن استراتيجية شاملة لادارة هذا القطاع، الأمر الذي لم تنجزه وزارة البيئة بعد. مثل هذه الاستراتيجية، في حال تبنّيها، فإن أول مبادئها البديهية سيكون استبعاد خيار الحرق لكل انواع النفايات. أما غيابها، كما هو حاصل، فيبقي الأمور في دائرة الفوضى. وهذا ما يؤكده دفتر شروط محرقة بيروت، بصيغته النهائية التي حصلت عليها «الأخبار»، والتي يفترض أن تطرح قريباً على طاولة المجلس البلدي للعاصمة.

ولعل من أهم الملاحظات الاساسية على هذا الدفتر أن عقد تلزيم الشركة الرابحة يتضمن قيامها بحملة توعية للمواطنين والمؤسسات العامة والخاصة والمؤسسات التربوية والصناعية حول الممارسات الجيدة في إدارة النفايات، مثل الفرز من المصدر والتخلص السليم من النفايات وعدم رميها عشوائياً والحفاظ على النظافة العامة. ومع ان لهذا البند أهمية كبيرة، إلا انه في

> **نجاح الفرز من المصدر في حال تحققه يلغي الحاجة أساساً الى محرقة**

غياب مخطط توجيهي واستراتيجية لإدارة النفايات بمختلف أنواعها وبنى تحتية للتخلص من بعض أنواع النفايات (كالالكترونية مثلاً وغيرها من النفايات الخطرة)، تثار علامات استفهام حول ما ستتضمنه حملة كهذه. ناهيك عن أن نجاح الفرز من المصدر، في حال تحققه، يلغي الحاجة أساساً الى محرقة!

النفايات الخطرة

يحدد دفتر الشروط أنواع النفايات التي لا يمكن لمحرقة بيروت استقبالها، مثل: نفايات العمارة والردميات، النفايات التي تحتوي على كثير من الرمول مثل نفايات الكنس وتنظيف الطرقات، النفايات التي تحتوي على نسبة رطوبة عالية (أكثر من 60%) مثل تلك الناتجة عن أسواق السمك والخضار، النفايات المتفجرة أو شديدة الاشتعال مثل الذخيرة ونفايات الكربيد الجافة والرطبة والألعاب النارية والنفايات الذاتية الإشتعال والمواد المتفجرة الأخرى، النفايات السامة والمشعة والمواد الكيميائية التي تحتوي على مركبات غير صالحة للحرق، الحاويات المضغوطة والنفايات الخطرة والمعدية كالأعضاء البشرية والحيوانية، جثث الحيوانات ونفايات المسالخ، مواد العزل مثل الصوف الصخري، الأسبستوس، ألواح سيليكات الكالسيوم، ألياف السيراميك، السجاد الكبير، الحماة وبقايا صناعات الجلود والفراء والمنسوجات، بقايا معالجة الأسطح الكيميائية وطلاء المعادن والمواد الأخرى، الغاز المعبأ ومبيدات الأعشاب المكلورة والمبيدات الحشرية ومبيدات الفطريات وغيرها من المواد السامة والسرطانية التي تشكل خطراً على العاملين في المنشأة وعلى البيئة (مثل البنزين)، أضافة الى الأحماض المستخدمة والمنتجة في المنشآت الصناعية ومواد التبييض... الخ. إلا أن الدفتر لا يحدد مسؤولية من هذه الأنواع الخطرة من النفايات ولا أين ستذهب ولا كيفية إدارتها!

وينص دفتر الشروط بأن على الشركة المتعهدة أن تقدم خطة طوارئ للنفايات الخطرة تتضمن الإجراءات التي يجب اتباعها في حال وصول أي نفايات صلبة أو سائلة أو غازية يشتبه أنها خطرة إلى المنشأة. في هذه الحال، على الشركة المتعهدة أن تغلق فوراً المنطقة المتأثرة، وإخطار ممثل البلدية بالأمر، وتوثيق الحادثة بالصور والتقارير وتنظيف منطقة الاستقبال وتخزين النفايات الخطرة في مستوعبات ملائمة، على نفقتها. إلا أن الدفتر يلحظ أيضاً أنه يحق للشركة المتعهدة رفض أي نفايات غير مطابقة (بما فيها النفايات الخطرة)، ما يعني أنها لن تستقبل مثل هذه النفايات، وأن مشكلة كبيرة ستبقى من دون معالجة، خصوصاً أن وزارة البيئة لم تقدم بعد خطة متكاملة لادارة النفايات على أنواعها. فما معنى اذاً وضع دفتر شروط في غياب مثل هذه الخطة، وكيف توضع مسؤولية التخلص من النفايات الخطرة على عاتق الشركة المتعهدة (في حال الطوارئ) بغياب البنى التحتية الملائمة لمعالجة هذا النوع من النفايات؟ علماً أن التخلص منها بشكل عشوائي يشكّل خطراً فعلياً، فيما يرتّب ترحيلها بحسب اتفاقية بازل أعباء مالية عالية جداً.

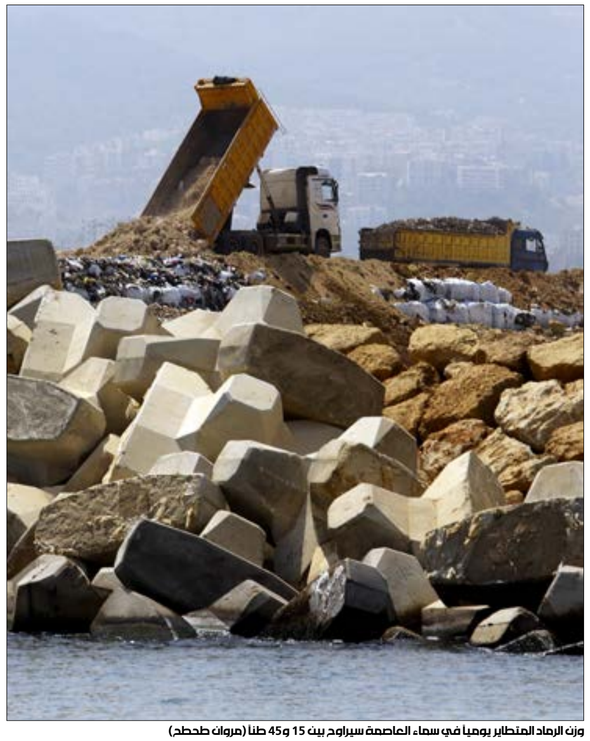

وزن الرماد المتطاير يومياً في سماء العاصمة سيراوح بين 15 و45 طناً (مروان طحطح)

الموقع والمواصفات

لم يشر الدفتر الى موقع المحرقة الذي لا يزال الأسرار» على أن يترك ذلك لمجلس الوزراء (يتردد ان الموقع قد يكون في الكرنتينا أو الشويفات). علماً انه لا يمكن انشاء مصانع تصنف ضمن الفئة الاولى مثل المحارق في نطاق مدينة بيروت. وفيما لم يحدد الموقع، جرى تحديد مواصفاته كالآتي: منطقة حضرية، ذات شكل هندسي مسطح، بمساحة تفوق 60,000 متر مربع، ويسهل الوصول إليها... مع ضرورة وجود محطة كهرباء بالقرب من الموقع الذي يتم اختياره.

تمتد فترة بناء المحرقة حوالي 3 سنوات وتصل فترة التشغيل الى 25 سنة، بقدرة استيعاب تقدر بـ 850 طناً من النفايات يومياً، من المرجح توسعتها لتستوعب 1500 طن يومياً. ويحدّد الدفتر نسبة الفرز (المواد القابلة لإعادة التدوير الخضراء والبنية) بـ15% فقط. ولا يلحظ أي أنواع أخرى من المواد التي يمكن إعادة تدويرها. وإذا كانت بيروت تنتج اليوم 650 طناً من النفايات مع زيادة سنوية تقدر بـ 1,65% في لبنان، فيعني ذلك أن كمية النفايات ستصل إلى 1097 طناً يومياً بحلول سنة 2050، ما يعني أن القدرة الاستيعابية للمحرقة ستكون أكبر من الكمية المنتجة.

أين الأثر البيئي؟

نصّ الدفتر على تلزيم دراسة تقييم الأثر البيئي للمحرقة الى شركة استشارية عالمية ذات خبرة في تحويل النفايات إلى طاقة يختارها المتعهد بحسب شروط تضعها بلدية بيروت. ويضع على الشركة المتعهدة مسؤولية التخلص من رماد القاع وترحيل الرماد المتطاير بناءً لمتطلبات اتفاقية بازل الدولية، ويطلب من الشركات تقديم وثيقة تثبت كتابة موافقة دولة الاستيراد وإجراءات مفصلة للنقل وتصدير الرماد المتطاير. وهنا تجدر الإشارة الى أنه بحسب إتفاقية بازل، تنال الشركات موافقات تصدير النفايات الخطرة بناءً على نوعية النفايات وإمكانية التخلص منها في مرافق متخصصة، وهي تعطى لكميات محددة وفترات محددة. فماذا يحصل في حال حصلت الشركة على موافقة لسنة، مثلاً، ولم تكن قادرة على تجديدها في السنوات التالية؟ مع العلم أن كميات الرماد المتطاير يمكن أن تشكل بين 2% و6% من وزن النفايات التي تدخل إلى المحرقة (بين 15 و45 طناً من الرماد المتطاير يومياً). فكيف واين سيتم تخزين هذه الكميات، وما هي كلفة ترحيلها؟ والأغرب من ذلك كله، أن دراسة الأثر البيئي ستُطلب من المتعهد بعد انهاء المناقصات. فيما يفترض أن يشمل التقييم البيئي الوضع الاجتماعي والاقتصادي والصحي لسكان المنطقة المحيطة بالموقع قبل (لا بعد) تحديد الموقع واجراء المناقصات. كل ذلك، معطوفاً على طلب وزير البيئة فادي جريصاتي، في الاجتماع الأخير للجنة الوزارية المعنية بالملف، مهلة لتقديم طرح متكامل تقول مصادر في وزارة البيئة انه قد يتعارض مع انشاء محارق صغيرة للبلديات... يشير الى أن هذا الملف لم يخرج من دائرة التخبط، ولا يزال يخضع للتجاذبات بين شبكات مصالح كبيرة. وقد زادت حادثة الكشف عن انبعاثات محرقة مستشفى الجامعة الاميركية في بيروت سكان المدينة المعترضين على المحرقة يقيناً بأن من لا يقدر على التحكم بمحرقة مستشفى لن يكون مؤهلاً لادارة محرقة تستقبل مئات الأطنان من النفايات يومياً!

يتقبل
النقيب البروفيسور شرف أبو شرف
وأعضاء مجلس النقابة المنتخبين
التهاني في بيت الطبيب
يوم الإثنين ١٧ حزيران ٢٠١٩
من الساعة ٤:٠٠ بعد الظهر حتى الثامنة مساء

فيتشر

جبيل من دون بلاستيك

بلا أساطير رجاء!

زينب عثمان

حسنتان رئيسيتان لحملة «شيل البلاستيك من راسك» في جبيل. أولاً، يقول القيّمون على الحملة إن المدينة هي الأولى عربياً في منع البلاستيك. واعتبارها «عربية» لا «فينيقية» أمر جيد. ثانياً، الحملة بلدية - محلية لم يحتج القيّمون عليها الى الاتيان بـ«خبير دولي» لـ«يشمّ» رائحة البلاستيك الذي يملأ

> **تناست البلدية ان عمان هي مدينة عربية اتخذت إجراءات مماثلة في حزيران 2018**

الأرجاء. هكذا، يمكننا أن نتّفق أولاً على أهمية هذه الحملة البيئية، التي بدأت نهاية العام الماضي وقضت بدايةً بمنع المؤسسات والمحال التجارية من استعمال أكياس البلاستيك واستبدال أكياس صديقة للبيئة بها.

«شيل البلاستيك من راسك» هو عنوان الحملة. وهي «تكلّلت بنجاح شبه تام»، كما يؤكد مصدر في البلدية، بعدما أبدى أغلب التجار واصحاب المؤسسات «التزاماً جدياً» بالقرار البلدي الصادر بتاريخ 11 تموز 2018، والذي انتهت مهلته مطلع العام الجاري. القرار شمل كذلك اكياس البقالة التي تستخدم لمرة واحدة وأكياس تغليف المأكولات الجاهزة لخدمة التوصيل، أي أنه لم يستثنِ محلات «البقالة والسوبرماكت»، بحسب مسؤولة الإعلام في البلدية آية يونس، و«لم تضطر البلدية إلى تسطير أي محضر ضبط».

قبل فترة، وفي إطار استئناف حملتها ضد البلاستيك، أصدرت البلدية قراراً جديداً يُلزم «جميع الملاهي والمقاهي والمطاعم والسناكات» باستبدال الأكواب البلاستيكية بأخرى مصنوعة من زجاج أو كرتون، واستبدال القشّة البلاستيكية (الشليمون) بأخرى مصنوعة من كرتون. ورغم أهمية الخطوة في هذه المدينة البحرية في الحد من تداعيات التلوث البلاستيكي الذي يهدد الأنظمة البيئية البحرية خصوصاً، إلا أن «الإنجاز»، كالعادة، سرعان ما تمّت «أسطرته»، على طريقة شجرة جبيل الميلادية الشهيرة. تلك الشجرة التي صُنّفت أكثر من مرة «الثانية والثالثة عالمياً» قبل أن نكتشف أن الأمر كان مزحة طريفة. وبدلاً من إعلان جبيل مدينة تتجه إلى وقف استهلاك البلاستيك، تمهيداً لوقف إنتاجه في مرحلة لاحقة، صوّر الأمر على أنه «إنجاز» تفرّدت به المدينة وحدها، لتصبح «الأولى عربياً التي تأخذ إجراءات جدية للحد من البلاستيك». وهو عنوان تناقلته تقارير تلفزيونية عدة، من دون أن تشير إلى الجهة التي وسمت جبيل بالتصنيف الجديد في دائرة «أوهام» التفوق إياها. ليست التلفزيونات وحدها، فجمعية «غرينبيس عربي» انجرفت بدورها في لعبة التصنيفات، وأشادت بإنجاز المدينة، مهنئةً في تغريدة على «تويتر»، «أول بلدية بالعالم العربي بتاخذ إجراءات جدية للحد من البلاستيك»!

بلدية جبيل نفسها «تلقّفت» التصنيف الهلامي وصدّقته، وتناست تماماً أن عمان، مثلاً، هي مدينة عربية أيضاً سبق أن اتخذت إجراءات مماثلة في حزيران 2018 في إطار خطة بيئية متكاملة تهدف إلى فرض حظر شامل على البلاستيك الأحادي الاستخدام، فيما تونس بأسرها تتجه إلى فرض حظر نهائي على أكياس التسوق البلاستيكية، بيعاً وتصنيعاً واستيراداً، نهاية العام الجاري. في معرض توضيحها، لم تنكر المسؤولة الإعلامية في البلدية عدم صوابية اعتماد التصنيف الذي تبين أنه لا يستند إلى معايير تقييم دقيقة. «الميديا صنّفتنا»، تقول يونس، لتستمد بذلك شرعية. للأمانة، شجرة الميلاد، في حينها، حازت أيضاً تنويه الناشطين على «فايسبوك». لكن البلاستيك ليس مسألة فانتازية، رغم أن خطوة البلدية - بمعزل عن «التصنيف» - تبقى خطوة تستحق المتابعة والدعم.

صيّر الأمر على أنه «إنجاز» تفرّدت به مدينة جبيل وحدها (مروان طحطح)

«بشرى» للعاملات الأجنبيات

أخيراً... عقود العمل باتت «مفهومة»!

راجانا حمية

عندما رُحّلت سوليانا إلى بلادها، بعد عامين من العمل المضني، لم تكن تعرف أنه كان يحقّ لها بيوم من الراحة الأسبوعية. لم يخبرها أحد بذلك. حتّى عقد العمل لم ينفعها إذ كان مصاغاً بلغةٍ مشذّبة، لكن غير مفهومة لها. بصمت بإبهامها عليه، من دون أن تفقه ما يتضمّنه.

> **عقد العمل بات متوافراً بالفرنسية والإنكليزية والنيبالية والإثيوبية والبنغلادشية والسريلانكية والمدغشقرية**

عامان من العمل المضني عاشتهما بلا وقتٍ مستقطع. بلا خصوصية. كان الليل يتصل بالنهار. كأنّه دوام عملٍ واحد. مع ذلك، عملت ورحّلت، ولم تعرف أبسط حقوقها. سوليانا ليست الوحيدة التي أتت إلى هذه البلاد وعادت منها بلا حقوق. معظمهن سقطت حقوقهن بسبب... «اللغة». هكذا، تقف اللغة عائقاً أمام تحصيل الحدّ الأدنى من العيش اللائق. وهنا، يصلح التعميم، إذ أن غالبية عقود العمل التي توقّع عليها العاملة (والعامل) في الخدمة المنزلية مع صاحب العمل لدى الكتّاب بالعدل مكتوبة بالعربية. ونادراً ما تحظى العاملة بـ«ميزة» الترجمة لما تتضمنه تلك العقود التي صيغت بالتشارك بين وزارة العمل والسفارات المعنية من حقوق وواجبات.

اليوم، ثمّة من تنبّه لهذا الخلل، على الأقل لدى دوائر الكتاب بالعدل، حيث «المكان الوحيد الذي يمكن أن تطّلع فيه العاملة على حقوقها وواجباتها»، يقول جوزف بشارة، رئيس مجلس الكتّاب بالعدل. صحيح أن العربية هي لغة البلاد هنا، إلا أنها ليست «ممثلة»، في ظل الخصوصية التي يتمتع بها المجتمع، لناحية «تنوّع الجماعات واللغات خصوصاً تلك التي نفتقد فيها الى مترجمين»، مثل الأمهرية والأورومو (إثيوبيا) والبنغالية والنيبالية وغيرها. من هنا، ولدت فكرة ترجمة عقد العمل إلى ثماني لغات هي الفرنسية والإنكليزية والنيبالية والإثيوبية والبنغلادشية والسريلانكية (لغتان) والمدغشقرية.

في البداية راودت الفكرة بشارة في إطار «المساعدة الشخصية» لفئة لا بأس بها من المهمّشين، ثم وجد من لاقاه من وزارة العمل ومنظمة العمل الدولية. مع هذه «الجمعة»، استحالت الفكرة واقعاً منذ أربعة أشهر، وصار «ستاند» الحقوق والواجبات باللغات الثماني موجوداً «لدى 20 كاتباً بالعدل». هي خطوة أولى من المفترض تعميمها على نحو 230 كاتباً بالعدل. مع ذلك، لاحظ بشارة في الفترة الأخيرة أن فئة من الشابات والشباب الآتين من بلاد غريبة لم يجتذبهم هذا الكتاب، نظراً لكون بعضهم لا يتقن القراءة. كانت هذه نقطة تحدٍّ دفعت بشارة الى «اختراع» حلٍ مكمّل، فكانت فكرة «الفيديوهات» التي تقصّ عليهنّ حقوقهنّ، والتي انطلقت لدى الكتّاب بالعدل أخيراً.

هذه الخطوة، التي يفرح بشارة لإنجازها، تبقى منقوصة ما لم يجر تعميم تلك التجارب على مناح أخرى هي في صلب درب الجلجلة، ومنها مكاتب استقدام العاملات في الخدمة المنزلية التي هي الأصل. فإلى اليوم، لا تزال تلك المكاتب «تستخدم» في مكاتبها إحدى العاملات للترجمة، وغالباً ما تقف معرفة هذه بالترجمة عند حدود معينة. يعرف بشارة أن هذه الحلقة مطلوب وصلها إلى العمل الأساسي، وقد لمس تجاوباً من قبل نقابة هؤلاء، ولكنها تبقى رهناً بالنيات.

تبقى الفكرة منقوصة ما لم يجر تعميمها على مكاتب الاستقدام (مروان طحطح)

كوبا أميركا

فيليبي كوتينيو

باولو ديبالا

أليكسيس سانشيز

البرازيل 2019... بوابة الباحثين عن الضوء من جديد

انطلقت بطولة كوبا أميركا فجر اليوم، وبدأت معها أحلام المنتخبات. رغم كون التتويج باللقب القاري هدفاً رئيسياً للمنتخبات المشاركة، ستشكل هذه البطولة مسرحاً عالمياً للاعبين الساعين للانتقال إلى أندية جديدة. فرصةٌ سانحة للمواهب الصغيرة للفت أنظار كبار الأندية. كما أنها فرصة ذهبية أيضاً لأسماءٍ غابت عن قائمة الطليعة في الفترة الأخيرة

يسعى خاميس رودريغز لإثبات نفسه مع المنتخب ويكرر تجربة 2014 (أ ف ب)

حسين فحص

انتهى كأس عالم 2014، وانتهى معه خاميس رودريغز إلى حدٍّ كبير. اللاعب الذي ظهر إلى الضوء في البرازيل، منضماً نفسه كأفضل لاعب في البطولة حينها في نظر الجماهير أقله، عجز عن إثبات نفسه على صعيد الفرق التي مثلها، بعد التخبط بين الصعود والهبوط في المستوى. اللاعب الذي خرج إلى العالم عن طريق المنتخب الكولومبي، يأمل التألق مع منتخب بلاده في بطولة كوبا أميركا، علّه يعود لأدائه المعهود.

بعد تسجيله 6 أهداف في مونديال البرازيل 2014، جذب اللاعب الكولومبي خاميس رودريغز أنظار كبار الأندية الأوروبيّة، لما أظهره من خصال كروية مميّزة. سرعة ومهارة، إضافة إلى قدرة عالية في التصويب، جلبت الفتى الكولومبي إلى ريال مدريد مقابل 90 مليون يورو حينها. سنواتٌ من التخبط قضاها خاميس في القلعة البيضاء انتهت بإرساله إلى بايرن ميونخ على سبيل الإعارة مع أحقية الشراء، وذلك في الحقبة الأولى للمدرب الفرنسي زين الدين زيدان مع الميرينغي. فترة سيئة قضاها خاميس في ألمانيا، جعلته معظم الوقت حبيساً لمقاعد البدلاء. اللاعب الكولومبي دفع ضريبة سوء التنظيم الفني والإداري للنادي البافاري، إذ شهدت فترة وجوده هناك، على نهاية الجيل القديم، ما حال دون ظهوره بالشكل المطلوب. أخيراً، أعلن نادي بايرن ميونخ عدم رغبته بتفعيل خيار شراء اللاعب من ريال مدريد. مع عودة زيدان مرة أخرى، لن يجد خاميس مكاناً له مع الميرينغي أيضاً، لذلك سيسعى جاهداً لإنعاش ذاكرة كبار الأندية الأوروبية من خلال بطولة كوبا أميركا. فرصةٌ ذهبية سانحة لخاميس قد تعطيه خيارات أكثر لمستقبله الكروي بعد أن تلقى عرضاً مبدئياً من نابولي حسب ما أفادت التقارير الصحافية، يقضي بانتقاله إلى الجنوب للعب مجدداً مع مدربه الأسبق كارلو أنشيلوتي.

فيليبي كوتينيو

بعد تجربة خجولة في إنتر ميلانو، انفجر اللاعب البرازيلي فيليبي كوتينيو في ليفربول منصّباً نفسه كأحد أبرز اللاعبين في الدوري الإنكليزي. بعدها، انتقل كوتينيو إلى برشلونة مقابل 150 مليون يورو، ليدخل في قائمة أكثر الصفقات المخيبة في تاريخ كرة القدم. بعد رحيل نيمار عن برشلونة، انفجرت الجماهير الكاتالونية غضباً بوجه إدارة النادي، إذ كان ينتظر لنيمار على أنه خليفة ليونيل ميسي. لامتصاص غضب الجماهير، تعاقدت إدارة النادي حينها مع مواطنه فيليبي كوتينيو من ليفربول، الذي استغل الوضع محصلاً مبلغاً ضخماً بعد أن لمس إصرار الإدارة الكاتالونية على التوقيع مع اللاعب بأي ثمن. اتصف الشق الأول من مسيرة كوتينيو في إسبانيا بالنجاح، غير أنّ ارتفاع التطلعات وزيادة الضغوط، جعلا من أمير الأنفيلد السابق عبئاً كبيراً على إدارة برشلونة، بسبب دفعها دخلاً عالياً للاعب يقضي أغلب فترات الموسم على مقاعد البدلاء. بين تغيير مركز اللاعب وعدم ثقة المدرب أرنستو فالفردي به، سقط كوتينيو. اللاعب يعيش ضغطاً كبيراً هذه الأيام بعد فشله في إسبانيا، مقابل النجاح الكبير الذي أنجزه ليفربول فور رحيله، وهو قد يجد من منتخب السيليساو باباً واسعاً لاستعادة ثقته من جديد، للعودة في الموسم المقبل بقوة مع برشلونة. مع إصابة نيمار وغيابه عن كوبا أميركا، سيعتلي كوتينيو بأبرز مهام المنتخب الهجومية. سبق لابن الـ27 عاماً أن أثبت ثقله الكروي مع المنتخب في السنوات القليلة الماضية، وهو ما يسعى لتكراره في البطولة التي ستقام على الأرض التي نشأ فيها، وخرج منها كلاعب كرة قدم إلى أوروبا.

باولو ديبالا

في السنوات القليلة الماضية، برز الشاب الأرجنتيني باولو ديبالا كأحد أبرز المرشحين للتنافس على الكرة الذهبية مستقبلاً. اللاعب الذي أظهر إمكانيات فذة في ناديه السابق باليرمو، انتقل إلى يوفنتوس بعد منافسة شرسة مع نادي برشلونة. على حساب ديبالا بسبب قرارات المدرب خورخي سامباولي. التهميش الحاصل في المنتخب يعود بالدرجة الأولى إلى وجود ميسي. يشغل كلٌّ من ميسي وديبالا المراكز نفسها كما أنهما يتمتعان بقدراتٍ متشابهة بنسبٍ متفاوتة. يلعب الأرجنتينيان بالقدَم اليسرى كما أنهما يشغلان مركزي الأجنحة ورأس الحربة الوهمي على حدٍّ سواء. هكذا، اندثرت موهبة ديبالا بين محسوبيات المدربين وعشر كراتٍ ذهبية. مع عدم امتلاك الأرجنتين جودة كافية في الخط الأمامي، واستبعاد لاعبين منافسين في مركز ديبالا على غرار المعتزل دولياً غونزالو هيغوايين والمستبعد ماورو إيكاردي، تنتظر ديبالا فرصةً ذهبية لفرض نفسه في حسابات المدرب الجديد ليونيل سكالوني. المساهمة في استعادة الأمجاد والتتويج باللقب هذا العام بعد الفشل منذ كوبا أميركا 1993، قد يجبر مدرب يوفنتوس المنتظر على إعادة هيكلة الفريق حوله، في ظلّ تقدم رونالدو بالعمر.

الكسيس سانشيز

بعد فشله من حجز مركز أساسي في برشلونة، انتقل اللاعب التشيلياني الكسيس سانشيز إلى نادي أرسنال الإنكليزي. مواسم قليلة في ملعب الإمارات جعلت من سانشيز أحد أبرز نجوم الفريق والدوري على حدٍّ سواء. انتقل بعدها اللاعب إلى مانشستر يونايتد، كجزءٍ من مشروع النادي للعودة إلى منصات التتويج، الذي غاب عنها منذ رحيل مدرب الفريق التاريخي السير أليكس فيرغيسون. لم ترقَ التوقعات للغة الواقع، إذ مني اللاعب الأعلى أجراً في مانشستر يونايتد بفشل ذريع أجلسه أغلب الأوقات على مقاعد البدلاء. تحدٍّ كبير يعيشه سانشيز اليوم مع تشيلي. المنتخب الذي سيطر على البطولة في نسختيها السابقتين يأمل الحفاظ على مكانته في طليعة منتخبات أميركا الجنوبية، رغم صعوبة الأمر نظراً إلى تقدم الجيل القديم بالعمر على غرار سانشيز وأرتورو فيدال، إضافة إلى تحسن العديد من المنتخبات الأخرى، أهمها البرازيل، المرشحة الأبرز للفوز في البطولة التي تستضيفها على أرضها. مع تسلم مدرب مانشستر يونايتد ميرانية ضخمة في الصيف، سيكون مصير سانشيز على المحك، ما سيجعل هذه البطولة المنفذ الأخير لبقائه، أو لحصوله على عروض جيدة بدرجةٍ أقل.

> **يأمل عشاق الأرجنتين أن يشارك باولو ديبالا بصورة أساسية في كوبا أميركا**

تمكّن ديبالا في بداياته مع نادي السيدة العجوز من فرض نفسه نجماً أولاً للفريق، غير أن الفشل في تحقيق دوري أبطال أوروبا انعكس عليه سلباً. كجزءٍ من خطط النادي الإيطالي للتتويج بدوري أبطال أوروبا، وقع يوفنتوس مع اللاعب البرتغالي كريستيانو رونالدو من ريال مدريد مقابل 105 ملايين يورو، كأغلى صفقة في تاريخ النادي. جلب رونالدو الأضواء إلى الكالشيو، غير أنه خطف بريق ديبالا في اليوفي، وذلك بعد أن شكل المدرب الإيطالي ماسيميليانو أليغري منظومة قائمة على إمداد رونالدو بالكرات في الدرجة الأولى، ما أجلس ديبالا على مقاعد البدلاء لفترات طويلة. مهمةٌ صعبة تنتظر ديبالا في الأرجنتين، إذ إن التهميش الذي أعاق ظهوره في يوفنتوس، تكرر في المنتخب لوجود ليونيل ميسي. لم يشارك ديبالا مع «الألبي سيليستي» في بطولة كأس العالم الأخيرة في روسيا إلا في مباراة واحدة، جاءت أمام المنتخب الكرواتي بعدما دخل بديلاً في دقائق المباراة الأخيرة. أسماءٌ كأكونيا، ميرّا، بافون وغيرهم من الأرجنتينيين شاركوا حينها

يُشارك المنتخب القطري، حامل لقب بطولة كأس آسيا في بطولة كوبا أميركا 2019، كممثّلٍ أولٍ للعرب في المسابقة القارية الأكبر لاتحاد «كونميبول»، منذ بدء دعوة المنتخبات من خارج الاتحاد. وممثلٍ ثانٍ لآسيا بعد المنتخب الياباني. مشاركةٌ تأتي ضمن استعدادات «العنابي» للمونديال الذي تستضيفه قطر بعد ثلاث سنوات. بقيادة المدرب الإسباني فيليكس سانشيز ومجموعة من اللاعبين الشباب (تلعب قطر أولى مبارياتها الأحد الساعة 22:00 بمواجهة الباراغواي)

قطر ضيفٌ غريب و«ثقيل» على الـ«كوبا»

علي زين الدين

التاسع والعشرون من تموز 2011، كان من المفترض أن يكون يوماً إنكليزياً عادياً. مشجعو مانشستر يونايتد يشاهدون فريق الشباب يخوض المباراة النهائية في بطولةٍ وديّةٍ في إيرلندا، سبق لنجوم النادي كريان غيغز، ديفيد بيكهام وبول سكولز أن شاركوا فيها. المنافس كان أكاديمية أسباير القطرية، التي أُسّست قبل خمس سنواتٍ على المواجهة، والنتيجة كانت صادمة، بسقوط الفريق الإنكليزي بخمسة أهداف. فُتحت الأعين على الأكاديمية الخليجية التي راحت تجمع اللاعبين الأفارقة في منشآتها وعلى ملاعبها، وبعد أقل من ثمانية أعوام، تُوّج المنتخب القطري بلقب كأس آسيا 2019 لأول مرةٍ في تاريخه، بعدما نال المنتخب الأولمبي المركز الثالث في بطولة آسيا دون 23 عاماً.

نجاحٌ جاء بعدما رسمت قطر الطريق إليه عبر الأكاديمية، التي ضمّت المدرب الإسباني فيليكس سانشيز. اسمٌ مغمورٌ لا يُقارن بين أسماء بعض المدربين الذين قادوا المنتخبات في البطولة الآسيوية الأخيرة، كالإيطاليين البيرتو زاكيروني ومارتشيلو ليبي، والأرجنتينيين خوان أنطونيو بيتزي وهيكتور كوبر، والبرتغالي كارلوس كيروش، لكنه بفعل معرفته باللاعبين الذين صعد بهم من الأكاديمية إلى منتخبات الفئات العمرية فالمنتخب الأوّل، كان النجاح من نصيبه. اليوم، تستعد قطر للمونديال الذي تستضيفه بعد ثلاثة أعوام، بمشاركةٍ قارية هي الأولى لها ضمن بطولة كوبا أميركا، قبل انطلاق تصفيات كأس العالم، بالتشكيلة عينها التي خاضت كأس آسيا.

كما لم يكن المنتخب القطري مرشّحاً للظفر بلقب كأس آسيا، هو ليس مرشّحاً للوصول بعيداً في بطولة كوبا أميركا أيضاً، لكنه يبقى خصماً صعباً. حامل لقب البطولة الآسيوية يُعدُّ غريباً على اللاتينيين، ولو أنه واجه العديد منهم في مبارياتٍ وديّة، فـ«العنابي» سبق أن لعب مع المنتخب الأرجنتيني مرة، وباراغواي ثلاث مرات، كما له مواجهاتٌ مع بيرو، الإكوادور والبرازيل أخيراً. صحيحٌ أن احتكاك المنتخب القطري مع المنتخبات اللاتينية ليس كبيراً، لكن اللاعبين تعوّدوا على المشاركة مع آخرين من القارة الأميركية في الدوري القطري الذي ضم أكثر من 15 لاعباً في الموسم الماضي. المدرب سانشيز كان واضحاً قبل البطولة الآسيوية، هدفه الأول الاستعداد للمونديال، ولذلك هو يجهّز مجموعةً من اللاعبين حتّى يكونوا قادرين على نسخ ما قدّمته فرنسا ربما في المونديال الماضي. تشكيلته المستدعاة إلى كوبا أميركا، هي نفسها التي شاركت في كأس آسيا، باستثناء ثلاثة لاعبين، إذ استدعى سانشيز، عبد الله عبد السلام، أحمد معين، المهدي علي، والأخيران هما أيضاً من خرّيجي أكاديمية أسباير وتدرّجا في الفئات العمرية للمنتخب القطري، في حين أن عبد الله السلام يلعب للمنتخب الأولمبي.

> **تعتبر بطولة كوبا أميركا محطة مهمة لقطر في إطار التحضيرات لمونديال 2022**

مجموعة المنتخب القطري تضم الأرجنتين، المرشّحة الأولى للقب برفقة الأورغواي، إلى جانب كولومبيا وباراغواي. فرص تخطّي دور المجموعات تبدو جيّدة بالنسبة إلى «العنابي»، الذي لن يلتقي رفاق ليونيل ميسي حتّى المواجهة الأخيرة، وستكون مباراته الافتتاحية بمواجهة المنتخب الأضعف حظوظاً، وهو باراغواي، الذي لم يفز سوى في مباراتين من مواجهاته العشر الأخيرة ضمن جميع المسابقات.

قائمة المدرب الإسباني سانشيز، تضم هدّاف بطولة كأس آسيا وأفضل لاعب فيها، المعز علي، الذي سيكون اللاعبُ الأهم في تشكيلة قطر، برفقة القائد حسن الهيدوس، أكرم عفيف، بسام الراوي، كريم بو ضياف، عبد العزيز حاتم وغيرهم. على عكس جميع المنتخبات المشاركة، لا تضم قائمة المنتخب القطري أي لاعبٍ من خارج الدوري المحلي، فخالد مُحمد الذي كان المحترف الوحيد خارج البلاد ضمن القائمة التي استدعيت إلى كأس آسيا، استبعد عن المشاركة في كوبا أميركا، علماً أنه عاد من إسبانيا للعب ضمن صفوف فريق قطر في الدوري المحلي. أمرٌ لن يغيّر من واقع أن المنتخب القطري سيكون ضيفاً ثقيلاً على المنتخبات المنافسة، إذ إن القائمة تضم تسعة لاعبين من فريق السد، المتوّج باللقب أخيراً بمشاركة النجم الإسباني تشافي هيرنانديز، الذي بات المدرب، خلفاً للبرتغالي غوسفالدو فيريرا.

يذكر أن رئيس اتحاد كرة القدم الأميركي الجنوبي (كونميبول)، البارغوياني اليخاندرو دومينغيز، وجّه دعوة لقطر وأستراليا للمشاركة في مسابقة كوبا أميركا 2020 التي تستضيفها الأرجنتين وكولومبيا.

غرباء لا يفوزون

منذ بدء استضافة بطولة كوبا أميركا لضيوفٍ من خارج اتحاد «كونميبول»، لم يفز أي منتخبٍ من المشاركين باللقب. المنتخب المكسيكي حقق النتيجة الأفضل ببلوغه النهائي مرّتين عامي 1993 و2001، في حين نال المنتخب الأميركي المركز الرابع مرتين، وحصلت الهوندوراس على المركز الثالث مرة، فيما لم تُسجَّل مشاركاتٌ جيّدة لمنتخبات كوستاريكا، بناما، اليابان، جامايكا وهايتي.

مشاركةٌ يابانيةٌ ثانية

ستكون مشاركة المنتخب الياباني الثانية له في بطولة كوبا أميركا، بعد نسخة عام 1999 حين خرج من دور المجموعات. وصيف بطولة كأس آسيا الأخيرة خاض ثلاث مبارياتٍ، تعادل في واحدةٍ منها أمام بوليفيا، فيما خسر في مواجهة بيرو وباراغواي. المنتخب الذي يقوده المدرب الياباني هاجيمي موريياسو، لا يملك سجلاً جيّداً في مواجهة منتخبات اتحاد كونميبول، إذ لاعبها 58 مرة، فاز في 15 مباراة، تعادل 16 لقاء وخسر 27 مرة. مجموعة اليابان ستضم الأوروغواي، الإكوادور وتشيلي، وهي منتخبات فاز «الساموراي الأزرق» عليها خمس مرات في 11 مواجهة.

يمتلك المنتخب القطري تشكيلة مميزة (أ ف ب)

سبوت لايت

تلهى كثيرون بالشكل الذي ظهرت عليه المنتخبات الكبرى في الجولتين الماضيتين من تصفيات كاس اوروبا 2020 لكرة القدم، لكن قلّة تنبهت إلى ان هناك منتخباً صغيرا ويافعاً لا يزال من دون خسارة منذ اكثر من سنة، وهو منتخب كوسوفو الذي لا يبدو انه يخشى اي خصمٍ في القارة التي انضم إلى اتحادها منذ اعوامٍ قليلة

14 مباراة متتالية من دون خسارة

«كوسوفو الصغير» الأفضل في أوروبا

شربل كريّم

هو منتخب الإقليم الذي أثار غضب قسم غير بسيط من دول العالم يوم قرر انتزاع استقلاله والانفصال عن صربيا. هذا الحدث كان قبل 11 عاماً، لتشرع بعدها البلاد التي لا يصل عدد سكانها إلى المليونين في بناء نفسها على مختلف الأصعدة، ومنها على الصعيد الرياضي وتحديداً كرة القدم التي جمعت أبناءها وشرعت في بناء منتخبٍ لفت الأنظار إليه بشكل سريع.

منتخب كوسوفو الذي لم يكن معترفاً به من قِبل الاتحادين الدولي والأوروبي لكرة القدم قبل عام 2016، أثار أيضاً موجة اعتراضات يوم انتزع هذا الاعتراف، إذ كانت هناك خشية من دول أوروبية أخرى من أن تجد نفسها مجبرة على الجلوس على طاولة واحدة في الاتحاد القاري أو «الفيفا»، مع ممثلين لأقاليم تابعة لها، ومنها إسبانيا التي تعيش دائماً هاجس إقليم كاتالونيا، والذي لا يوفّر المسؤولون فيه أو الذين ينادون بالاستقلال، فرصة لتنظيم مباريات لمنتخب الإقليم، والذي يضم غالباً أسماء ثقيلة في عالم اللعبة.

> تعود الخسارة الأخيرة لمنتخب كوسوفو إلى اواخر عام 2017

المهم أنه وبعد ثلاثة أعوام فقط على تحوّل منتخب كوسوفو إلى منتخبٍ «شرعي»، أطلّ إنجاز غير متوقعٍ، إذ إن المنتخب الفتيّ هو صاحب أطول سلسلة من المباريات من دون خسارة بين كل المنتخبات الأوروبية! لم يعرف منتخب كوسوفو طعم الهزيمة في 2018 و2019، إذ خاض 14 مباراة ففاز في 9 منها وتعادل في 5، وتعود هزيمته الأخيرة إلى أواخر عام 2017. هي صدفة قد يراها البعض أو قد يعتبر البعض الآخر أنه لم يواجه منتخبات كبيرة، لكن الحقيقة مختلفة، فهو فاز في أرض بلغاريا (3-2) بطريقة مثيرة جداً وبهدفٍ قاتل في الجولة الماضية من تصفيات البطولة القارية ليضع نفسه في موقفٍ جيّد في المجموعة الأولى متحدّياً منتخبي إنكلترا وتشيكيا اللذين يتقدّمان عليه بفارق نقطة واحدة فقط حالياً.

الأكيد أن كوسوفو اليوم قلبت كل التوقعات والرهانات بنتائجها المفاجئة مع المدرب السويسري برنار شالانديس الذي يعرف التعامل مع الوضع الجديّ للمباريات، والذي لم تعدّ عليه البلاد سابقاً كونها سارت ببطء نحو دخول دائرة المنافسات الرسمية، وهي منذ استقلالها في عام 2008 خاض منتخبها مباريات وديّة فقط، في وقتٍ كان تركيز الدولة على تمتين أسسها وسط صراعاتها مع جيرانها، والتي تُرجمت حتى في الإطار الكروي وبشكل فاضح عندما رفض مدرب منتخب مونتينغرو ولاعبان في تشكيلته مواجهة كوسوفو ضمن التصفيات القارية أخيراً بسبب عدم اعترافهم بها كدولة مستقلة.

لكن الواقع أن كوسوفو لا تكترث لأي شيء في ما خصّ تطورها الكروي، لا بل إنها تصدّرت إحدى مجموعات دوري الأمم الأوروبية، ولو أن هذه المجموعة ضمّت منتخبات ضعيفة مثل أذربيجان ومالطا وجزر فارو، لكن أقله فإن المنتخبات المذكورة تنشط على الصعيد الرسمي منذ زمنٍ بعيد، لكنها رغم ذلك انكفأت أمام المنتخب اليافع الذي سجل 15 هدفاً وتلقى هدفين فقط في 6 مباريات.

هذه الأرقام عكست بلا شك تفاؤلاً بإمكانية تقديم شيء أفضل في المستقبل، لكن أحداً لم يتوقّع أن يكون التطور بهذه السرعة فالمنتخب الذي يحتلّ المركز 127 في تصنيف «الفيفا» تعادل مع الدانمارك ومونتينغرو وفاز على بلغاريا، ليقف حتى أمام البرتغال كصاحب سلسلة النتائج النظيفة الأطول، إذ إن بطل أوروبا لم يخسر في 10 مباريات متتالية.

كل هذا جاء بفضل مجموعة من اللاعبين الذين ينشطون خارج البلاد، إذ وحده الحارس الثالث فيسار بيكاي الذي يلعب لنادي بريشتينا ينشط في الدوري المحلي، بينما يتوزّع اللاعبون الآخرون في بلدانٍ مختلفة في أوروبا، فهناك من يلعب في ألمانيا وإنكلترا، وهناك من يدافع عن ألوان أندية في السويد والنروج والدنمارك وسويسرا وكرواتيا وتركيا وبلجيكا والمجر.

أسماء عدة لفتت الأنظار منها مهاجم فيردر بريمن الألماني ميلوت راشيكا الذي سجل 13 هدفاً ومرر 6 كرات حاسمة في 22 مباراة خاضها مع ناديه ومنتخب بلاده خلال السنة الحالية. لكن هناك اسم معروف آخر وهو لاعب سوانزي سيتي برسانت سيلينا الذي سجل واحداً من أجمل الأهداف التي شهدتها البطولات الإنكليزية في الموسم المنتهي، وذلك عندما هزّ شباك مانشستر سيتي في مسابقة كأس إنكلترا. وبالحديث عن بطل إنكلترا فهو سبق أن ضم حارساً من كوسوفو إليه وهو ابن الـ 20 عاماً أريبيانت موريتش. ويضاف إليهم مدافع دينامو زغرب أمير رحماني، ومهاجم شيفيلد ونسداي الإنكليزي أندي نوهيو.

هي مجرد أسماء قد تبرز لاحقاً بشكل أكبر وقد تختفي كلياً، لكن الأمر الذي يمكن الجزم به هو أن منتخب كوسوفو يعطي درساً حالياً في عملية البناء المرتكزة على روح الانتماء قبل أي شيء آخر.

ينشط لاعبو كوسوفو في عدد من الدوريات الاوروبية (عن الويب)

وجوه

مارادونا يتفرّغ للاهتمام بصحته

تخلى مارادونا عن منصبه (أ ف ب)

تخلى أسطورة كرة القدم الأرجنتيني دييغو أرماندو مارادونا عن منصبه مدرباً لفريق دورادوس دي سينالوا من الدرجة الثانية في المكسيك لظروف صحية ستضطره للخضوع لعمليتين، بحسب ما أعلن محاميه.

وكتب المحامي ماتياس مورلا على تويتر، «قرر دييغو مارادونا عدم متابعة مهامه كمدرب لفريق دورادوس. بناء لنصيحة الأطباء سيكرس وقته للاهتمام بصحته وسيخضع لعمليتين جراحيتين: في الكتف والركبة. شكراً لكل عائلة دورادوس».

ورد الفريق المكسيكي التحية إلى مدربه بعد إعلان رحيله فكتب عبر حسابه على تويتر، «دورادو إلى الأبد. شكراً على كل شيء، دييغو».

وكان مارادونا (58 عاماً) تسلم تدريب الفريق المكسيكي الذي يخوض غمار الدرجة الثانية، في أيلول/سبتمبر الماضي خلال الأسبوع الثامن من الدوري المحلي، حين كان الفريق يحتلّ المركز الثالث عشر من 15 في الترتيب. وتمكّن النجم الأرجنتيني السابق من قيادة فريقه إلى نهائي الدرجة الثانية مرتين في دوري الافتتاح والختام، ولكنه خسر في المرتين أمام فريق أتلتيكو سان لويس، وفشل في العبور به إلى الدرجة الأولى.

وعانى النجم الذي قاد منتخب بلاده للقبه الثاني في نهائيات كأس العالم (المكسيك 1986)، من مشاكل على الصعيدين الصحي والجسدي خلال الأعوام الماضية، أبرزها تعاطي الكوكايين والإدمان، لا سيما بعد ازدياد وزنه بشكل كبير.

وفي كانون الثاني/يناير، كشفت تقارير صحافية أرجنتينية أن مارادونا أدخل المستشفى وخضع لعملية جراحية لمعالجة نزيف معوي. وخلال حضوره في المدرجات مباراة منتخب بلاده ضد نيجيريا (2-1) في الجولة الثالثة الأخيرة من نهائيات كأس العالم 2018 في روسيا الصيف الماضي، أصيب بحالة من الإعياء، أشارت التقارير الصحافية حينها إلى أنها نتجت عن انخفاض في ضغط الدم تسبّب له بالإمّ في العنق.

وفي المكسيك، لم يتخلّ النجم الأسطوري عن عادته المثيرة للجدل، لا سيما طباعه الحادة. فهو أعلن مطلع نيسان/أبريل عزمه على مغادرة النادي لاعتباره أن مجرد حضوره يؤدي إلى قرارات تحكيمية مجحفة بحق فريقه.

وفي كانون الأول/ ديسمبر الماضي مُنع من حضور مباريات فريقه من قبل اللجنة التأديبية للدوري المكسيكي، بعدما أقدم على توجيه إهانات للاعبين وأعضاء أحد الأندية المنافسة.

وبعد خسارته للنهائي، قام بإهانة جماهير الفريق المنافس وحاول الاشتباك معهم. ومؤخراً، فرضت عليه اللجنة التأديبية غرامة مالية بعدما أهدى فوز فريقه في إحدى المباريات، إلى الرئيس الفنزويلي نيكولاس مادورو، وذلك في خضم الأزمة السياسية الحادة التي تشهدها بلاد الأخير.

(الأخبار)

سينفق فريق جامعة كنتاكي لكرة السلة 86 مليون دولار على عقد جديد لعشر سنوات مع مدربه جون كاليباري، في واحد من أكبر العقود لمدرب جامعي في تاريخ الولايات المتحدة الأميركية. وسيحصد كاليباري البالغ 60 عاما مردودا ماليا أكبر من بعض مدربي دوري المحترفين «ان بي ايه»، علما بأن بطولة الجامعات في الولايات المتحدة تحظى بشعبية كبيرة. وبحسب صحيفة «يو إس إيه توداي» فإن إيراداته ومن ضمنها المكافآت بلغت 9,3 مليون دولار في 2018 مع راتب سنوي بقيمة 7,95 مليون دولار. ويصل راتب الأسطوري مايك كريشفيسكي، ثاني مدرب من حيث الإيرادات في دوري الجامعات والذي يشرف على جامعة ديوك منذ 1980، إلى 7,05 مليون دولار.

استراحة

كلمات متقاطعة 3183

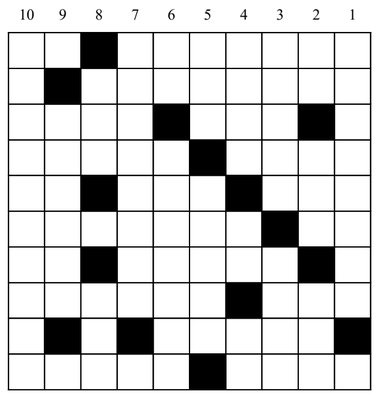

أفقيا

1- عالم بولندي من أعظم علماء عصره هو أول من صاغ نظرية مركزية الشمس وكون الأرض جرماً يدور في فلكها ويُعتبر مؤسس علم الفلك الحديث – غير ناضج من الفاكهة – 2- مؤرخ عربي تونسي مؤسس علم الإجتماع الحديث – 3- كاس – عاصمة ولاية داكوتا الجنوبية – 4- يصيح السنّور – مصرف لبنّاني مفلس – 5- حيوان خرافي – خالق ورب – سئم وضجر – 6- من الطيور – الصهر أو العريس بالفارسي واشتهر إسماً لمن يصاهر السلطان العثماني أو بعض الأمراء – 7- طبق لبناني دسم – آلة موسيقية – 8- حبّس الجندي خلال الحرب – مدينة فيليبينية – 9- جمع عالم – 10- من الفاكهة – صحيفة مصرية

عمودياً

1- امبراطور روماني قريب نيرون يُعتبر أشهر طاغية في التاريخ الإنساني – 2- تهيّأ للحملة في الحرب – من الفاكهة – جريد النخل وورقه – 3- عاصمة غامبيا – هربوا من السجن – 4- سعة العيش وحُسن الحال – حرف عطف – سعل – 5- نجمع ونضمّ الزهور – الرجاء بغد مشرق – 6- في الجسم – نوع من النصوص الأدبية التي تؤدّى تمثيلاً في المسرح أو السينما ويجتمع في هذا النوع من التمثيل خليط من الضحك والجد والواقع والخوف والحزن – 7- عاصمة أوروبية – 8- عكسها فاكهة صيفية – وعاء للماء – 9- أسطول ضخم لا يُقهر أرسله فيليب الثاني ملك إسبانيا لغزو إنكلترا فاغرقته العواصف عام 1588 – 10- رئيس أميركي راحل

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- أوج – عام – جب – 2- برازافيل – 3- عيلام – روما – 4- نزيد – هكّ – سل – 5- كد – عرنوس – 6- برك – سان جيل – 7- ودود – نيو – 8- ليدو – نهب – 9- بيان – اش – 10- جوهر الصقلي

عمودياً

1- العنكبوت – 2- يزدرد – بو – 3- جيلي – كوليه – 4- رادع – ديار – 5- عام – رسَ – دنا – 6- أزّ – هنانو – 7- ماركوني – بصَ – 8- فوّ – سجون – 9- جيمس – هال – 10- بلال الحبشي

sudoku 3183

3		2	8		7			6
	7			4		9		
6				5				1
4	5							
		7		3	1	4		5
1				2			6	
	6	1	2			3		
					4		7	
8		5	7	1				9

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 3182

1	6	8	5	4	2	9	7	3
2	7	9	8	3	1	4	5	6
4	5	3	6	9	7	1	2	8
8	4	5	1	2	6	7	3	9
9	3	1	4	7	5	6	8	2
6	2	7	3	8	9	5	4	1
7	9	4	2	6	3	8	1	5
5	8	2	9	1	4	3	6	7
3	1	6	7	5	8	2	9	4

مشاهير 3183

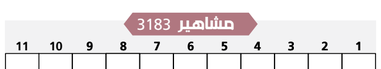

المثلّ الأعلى لملك بريطانيا في مصر (1862- 1949)، إشتهر بمراسلاته مع شريف مكة حسين بن علي خلال الحرب العالمية الأولى

6+8+2+3 = طائر حسن الصوت ■ 1+5+10+7 = أحزان تُشغل البال ■ 9+4+11 = سهل الفهم

حل الشبكة الماضية: عفيف البهنسي

إعداد نعوم مسعود

حول العالم

فيراري يتخلّى عن استئناف عقوبة فيتل

قرر فريق فيراري عدم استئناف العقوبة التي حرمت سائقه الألماني سيباستيان فيتل من فوزه الأول هذا الموسم، ومنحته لسائق مرسيدس البريطاني لويس هاميلتون بنهاية جائزة كندا الكبرى، المرحلة السابعة من بطولة العالم للفورمولا واحد، مع الاحتفاظ بحق المراجعة. وأفاد الفريق: «قررنا عدم استئناف عقوبة إضافة خمس ثوانٍ إلى التوقيت النهائي لفيتل، ولكننا نحتفظ

بحق المراجعة». وتابع الفريق الإيطالي في حديث صحافي: «لن نصرح عن أي جدول زمني أو نحدد أي شيء. سنترك الأمر للاتحاد الدولي للسيارات (فيا) لإعطاء التفاصيل. هذا كل ما سنقوله في الوقت الحالي». ولا تعد خطوة فيراري مفاجئة، إذ ينص قانون الرياضة الدولي لـ «فيا» على أن العقوبات التي تُفرض خلال السباقات لا تخضع للاستئناف، مقابل إمكانية المطالبة بمراجعة في «حال اكتشاف عنصر جديد، هام وملائم لم يكن متاحاً للأطراف التي بدأت الإجراء القانوني أثناء المسابقة المعنية» وهو الاحتمال الذي يدرسه فريق فيراري.

بلجيكا تحتفظ بصدارة التصنيف الدولي

حافظت بلجيكا على صدارتها أمام فرنسا بطلة العالم في التصنيف الشهري الصادر عن الاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا). فيما قفزت البرتغال مركزين وأصبحت خامسة بعد تتويجها في دوري الأمم الأوروبية.

وبعد فوزها على كازاخستان واسكتلندا في تصفيات كأس أوروبا 2020، عززت بلجيكا تقدمها على المنتخب الأزرق الذي عوض خسارته أمام تركيا (0-2) بفوزه على أندورا المتواضعة (4-0). واحتفظت البرازيل التي تستضيف بطولة كوبا

أميركا على أرضها، بالمركز الثالث وإنكلترا بالرابع. وكانت البرتغال الأبرز بين العشرة الأوائل مع تقدمها مركزين نحو الخامس بعد فوزها في نهائي دوري الأمم على هولندا (1-0) التي أصبحت في المركز الرابع عشر (+2). وارتقت إسبانيا إلى المركز السابع (+2)، ألمانيا إلى الحادي عشر (+2) وإيطاليا إلى الرابع عشر (+3). وتصدرت إيران المنتخبات الآسيوية في المركز العشرين والسنغال المنتخبات الأفريقية في المركز الثاني والعشرين، متقدمة على الصعيد القاري على تونس التي باتت صاحبة أفضل ترتيب بين المنتخبات العربية (25 عالمياً) بتقدمها ثلاثة مراكز.

الأخبار
al-akhbar

■ رئيس التحرير ـ المدير المسؤول:
ابراهيم الأمين

■ نائب رئيس التحرير:
بيار أبي صعب

■ مدير التحرير:
وفيق قانصوه

■ مجلس التحرير:
محمد زبيب
حسن عليق
إيلي حنا
أمل الأندري
شربل كريّم

■ صادرة عن شركة
أخبار بيروت

■ المكاتب بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد ـ الطابق السادس
■ تلفاكس:
01759500
01759597
■ ص.ب 113/5963

■ الإعلانات
الوكيل الحصري
ads@al-akhbar.com
01/759500

■ التوزيع
شركة الأوائل
01/666314ـ15 ـ
03 / 828381

■ الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

■ صفحات التواصل
/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/alakhbarnews-paper

من أجل إقصاء الحاكم وتغيير النظام في العالم العربي

أسعد أبو خليل *

تصطدم الحركة الشعبيّة في الجزائر والسودان بواقع صعب: نجحت الحركتان في إقصاء الحاكم لكنهما لم تغيّرا النظام بعد. الحركة الشعبيّة في البلديْن تستمرّ لأنها استفادت من تجارب فشل الانتفاضات الشعبيّة — كلّها من دون استثناء —في الدول العربيّة. لم يعد الحديث عن «ربيع عربي» إلا تذكيراً بتكالب أعداء الشعوب في كل البلاد العربيّة من أجل إجهاض التغيير الجذري. تغيّرت رؤوس لكن لم تتغيّر أنظمة. هناك أخطاء ارتُكبت في تجارب الانتفاضات العربيّة. وهناك دلائل على أن التحرّك في السودان والجزائر يستفيد من تلك الأخطاء عبر الإصرار المستمرّ على تلبية مطالب المعارضة من أجل الإعداد لمرحلة جديدة وإعادة تشكيل نظام جديد. ما حدث في تونس دليل على صعوبة التغيير الجذري، لا على سهولته (وتونس باتت المثال الذي يُسوَّق لنا من الغرب على أنه الأفضل، مثلما كان نظام بن علي يُسوَّق لنا على أنه كان الأفضل، وقد كانَ «صندوق النقد» يروّج له، كما كانت مؤسّسة «مو إبراهيم»). يمكن المحاججة أن النظام في تونس لم يتغيّر عن ما كان عليه زمن بن علي، وأن شعارات ما سُمّي اعتباطاً بـ«ثورة» لم تتحقّق. والرئيس التونسي الحالي من بقايا نظام بائد وله باع في القمع، لكنه مرضي عنه من قبل دول الخليج والغرب.

إن أدب ذمّ الناصريّة وعبد الناصر تجارة لا تزال مُربحة. حتى المواقع السياسيّة والإخباريّة العربيّة التي تنبثّ — بتمويل أوروبي في الغالب — تشارك في ذم الناصريّة. وهناك مَن يجرؤ على رفض إطلاق صفة ثورة على العهد الناصري والإصرار على وصف الانقلاب. لكن التغيير السياسي والاقتصادي والاجتماعي الهائل الذي أتى به انقلاب «الضبّاط الأحرار» هو الثورة بحدّ ذاتها ولو اختلف المرء معها. يمكن أن تقول إن العهد الملكي (هناك على «فايسبوك» صفحة بديعة تسخر من العهد الملكي باسم «أفندينا ولي النعم») كان أفضل من عهد عبد الناصر — والحنين إلى الاستعمار والإطراء عليه بات لازمة في ثقافة النفط والغاز السائدة — لكن لا يمكن نفي صفة الثورة عن عهد عبد الناصر. لم يقطع عبد الناصر مع حقبة الاستعمار الغرب بل قطع مع الطبقة الاجتماعيّة التي كانت تحكم بالتآلف مع الغرب.

في كتيّب حنا بطاطو عن الثورات المصريّة والسورية والعراقيّة (وهو المبني على ورقة حضّرها لتدشين الكرسي الذي تبوّأه في جامعة جورجتاون)، يلاحظ الكاتب أن تغييراً كبيراً حدث في دور الدولة في الاقتصاد والمجتمع في الدول التي تناولها بالبحث. ودور الدولة في السوق هو المقرّر الأساس للفروقات بين الأيديولوجيّات. فالرأسماليّة المحافظة تريد دوراً متدنياً جداً للدولة في السوق (هنري ديفيد ثورو قال — والقول يُنسبُ خطأ لتوماس جفرسون — في القرن التاسع عشر إن «الدولة تحكم أفضل عندما تحكم أقلّ»). والليبراليّة المحافظة تريد دوراً أكبر لكنه يختلف بين دولة وأخرى، ويتجلّى ذلك في نسبة الدخل المُستقى من الضرائب حيث هو أقلّ في دولة شديدة الرأسماليّة مثل أميركا وأكبر في الدول الإسكندنافيّة (لكن دور الدولة في السوق في الفكر الليبرالي الرأسمالي لا يشكّل خطورة على الهيمنة الطبقيّة، بعكس الحكم الاشتراكي).

الثورات (حتى الانقلابات العربيّة) عظّمت من حجم الدولة وزادت من توزيع الثروات بين المواطنين وحسّنت دخل العمّال وعمّمت التعليم المجّاني وأدخلت الإصلاح الزراعي (طبعاً، شاب كل هذه الإصلاحات أخطاء وفساد جسيم). ارتفع دخل العامل في مصر في غضون عقد واحد بعد الثورة بنسبة 44%، كما أن القطاع الصناعي نما عمّا كان عليه في المرحلة الاستعمارية أو الملكيّة. والتغيير في دور الدين وفي عناصر الثقافة والإعلام أحدث تغييرات جذريّة والأهم أنه غيّر في طبيعة الطبقة الحاكمة. أيّ من هذا لم يحدث في الدول العربيّة التي شهدت انتفاضات.

إن تجربتي مصر وتونس تظهران بوضوح أن الجيوش العربيّة المرتبطة بالغرب هي مرآة للسفارة الغربيّة في العاصمة. وحروب مكافحة الإرهاب — بالتعريف الإسرائيلي، دوماً — أدخلت الجيوش الأميركيّة إلى كل الدول العربيّة — بما فيها لبنان المفترض، حسب إعلام النفط والغاز، أنه واقع تحت سيطرة حزب الله — في مهمّات لا تقرّرها المجالس الاشتراعيّة المنتخبة (مجلس النواب التونسي لم يدرِ حتى بوجود الجيش الأميركي في البلاد).

الدرس الأوّل في الانتفاضات العربيّة هو في بطلان نظريّة تحييد الجيش وقوى الأمن. الجيش، كما ظهر في المثال المصري، هو الضامن الحقيقي للمصالح الأميركيّة-الإسرائيليّة ولمصالح الطبقة الاجتماعيّة المُرتبطة معها. الجيش هو الذي يحفظ السياسة الخارجيّة الموالية للحكومة الأميركيّة والإسرائيليّة. كان كثيرون يتوقّعون أن يكون حكم الإخوان في مصر وتونس مختلفاً في السياسة نحو الاحتلال الإسرائيلي أو نحو السيطرة الأميركيّة في المنطقة العربيّة. أظهر الإخوان أنهم يفضّلون الوصول إلى الحكم على تطبيق برامجهم أو تحقيق شعاراتهم القديمة والمُتكرّرة (حتى حينه). «النهضة» في تونس وصلت إلى تفاهم سرّي مع اللوبي الإسرائيلي (ومع أقطابه في مجلس الشيوخ مثل جون ماكين) من أجل ضمان مصلحة إسرائيل والحفاظ على المصالح الأميركيّة كما هي بعد سقوط بن علي. و«النهضة» هي التي حرصت على رفض تجريم وتحريم التطبيع بقانون مقابل السماح بوصولها للحكم استجداءً.

إن العلاقات التي ترتّبها واشنطن مع قيادة الجيش في كل الدور العربيّة — وهذا ينطبق على الجزائر وإن كان البعض ينظر إليه كأنه لا يزال جيش هواري بومدين— لا تسمح بتغيير نظام سلميّاً، عبر المناشدة الديموقراطيّة.

أميركا ترعى النظام العربي الرسمي برمّته (باستثناء الأنظمة التي لا تنضوي في محورها) وهي من أجل ذلك تعتمد على عناصر لضمان استمرار هذه الأنظمة وحمايتها من التغيير (هذا ما تعنيه أميركا بـ«الاستقرار» — أي استقرار حكم الطغاة الموالين لها). وفي الدول السلطانيّة، تعتمد أميركا على سلالة حاكمة وهي تشارك في عمليّة انتقال السلطة من فرد في العائلة المالكة إلى آخر، أو أنها تتكيّف مع انتقال السلطة، كما تكيّفت مع انتقال ولاية العرش إلى محمد بن سلمان في السعوديّة مع أنها كانت تفضّل محمد بن نايف لتمرّسه في خدمة المصالح الأميركيّة. أما في الجمهوريّات، فأميركا تعتمد على قيادة الجيش الوثيقة الصلة بها (بحكم التعاون الوثيق في مسرحيّات «محاربة الإرهاب»، كما تعاونت معه في مراحل سابقة في مكافحة الشيوعيّة) من أجل ضمان بقاء النظام ولو تغيّر الحاكم. وعندما سقط حكم بن علي، سارعت الحكومة الأميركيّة إلى حثّ رشيد عمّار على تسلّم السلطة لكنّه رفض (حسب اعترافه لصحيفة مصريّة). لكن أميركا تعاونت مع أنظمة «الثورة المضادة» من أجل ضمان مصالحها وضمان مصالح إسرائيل بعد تغيير شكل السلطة (وليس تغيير النظام كما خُيِّل لكثيرين). وأنظمة الثورة المضادة ذات جناحيْن: جناح سعودي -إماراتي وجناح قطري، والجناحان يتعاونان أحياناً (كما ضد القذّافي أو بشار الأسد أو علي عبد صالح) ويتناحران أحياناً أخرى (كما في مصر أو ليبيا بعد سقوط القذّافي أو تونس حيث دعم كل جناح طرفاً خاصاً به).

إن شعار إسقاط النظام كان إيجازاً لأهداف تتعلّق بإسقاط نظام قائم، وأميركا فهمت سهولة تضليل الجماهير عندما كانت ترضخ لترحيل الطاغية (كما فعلت في حالة بن علي، وكما فعلت متأخرة في حالة مبارك، التي اقترحت تنصيب عمر سليمان مكانه). إن شعار إسقاط النظام لا يكتمل من دون إسقاط قيادة المؤسّسة العسكريّة التي تستطيع أن تحافظ على النظام وعلى علاقاته الخارجيّة والاستخباراتيّة حتى بعد سقوط الطاغية وحتى بعد تنظيم انتخابات «حرّة»، كما حالة تونس. وشعار «إسقاط النظام» يجب أن يتضمّن حلّ القيادة العسكريّة، وخصوصاً «القوّات الخاصّة» وأجهزة المخابرات التي تشكّل العامود الفقري للسيطرة الغربيّة - الخليجيّة في دعم نظام الهيمنة الطبقيّة.

> **دور الدولة في السوق هو المُقرّر الأساس للفروقات بين الأيديولوجيّات**

ثانياً، حسناً تفعل المعارضة الجزائريّة والسودانيّة في عدم الاستعجال في تنظيم انتخابات برلمانيّة. الانتخابات يمكن أن تكون مطية للثورة المضادة خصوصاً عند التعجيل بها، لأنها تقوم وفق شروط وضوابط من صنع النظام البائد. يمكن الفصل في علم القانون الدستوري بين نظام «الجمهوريّة» وبين نظام «الديموقراطيّة». في الحالة الأولى تكون هناك مبادئ وثوابت لا تستطيع أن تلغيها بالانتخابات وفي الحالة الثانية، تستطيع الأغلبيّة السائدة أن تغيّر كل شيء من دون استثناء. «الآباء المؤسّسون» في أميركا شكّلوا نظاماً جمهوريّاً لأنهم شاركوا فلاسفة الإغريق السياسيّين في ذمّ واحتقار العامّة وفي نفي قدرتهم على الاختيار الصائب، وفق حكم النخبة. إن مصطلح «الحقوق غير القابلة للتصرّف» (والذي ورد في «إعلان الاستقلال الأميركي») يعني أن هناك ما لا تستطيع الأغلبيّة أن تلغيه بقرار نابع من المجلس الاشتراعي المُنتخب. وعليه، يمكن للمعارضة التي تقود عمليّة التغيير في السودان، مثلاً، أن تقرّر قبل الانتخابات مجموعة ثوابت تدخل في نطاق «الحقوق غير القابلة للتصرّف» لوضع دستور، أو مسودّة دستور، وذلك لحماية مكتسبات التغيير وحماية الجمهوريّة من قرارات إخوانيّة لا تحترم حقوق المرأة أو الأقليّات، أو تفرض قوانين دينيّة، أو لوضع ثوابت في السياسة الخارجيّة لا يسهل العبث بها (هذه يمكن أن تمنع حاكماً من المبادرة إلى السلام مع العدوّ مثلاً). إن تنظيم أي دولة ديموقراطيّة وتشكيل نظامها لا يكون عملاً ديموقراطيّاً وعليه، إن بناء الأنظمة التالية ليس عملاً ديموقراطيّاً بحتاً، ولا يجب أن يكون.

الانتخابات في البلاد العربيّة، كما جرى في تونس وكما يجري في لبنان، هي أكبر خرق للسيادة الوطنيّة لأنها منفذ غير مُقيّد لمخابرات دول الغرب ومالها، ولمخابرات دول الخليج ومالها. لم تكن الانتخابات في تونس إلا عمليّة قادتها دول الغرب ودول الخليج من أجل ترتيب نظام يقتفي آثار نظام بن علي من دونه. إن التريّث في تنظيم انتخابات ينطلق من ضرورة وضع ضوابط صارمة للمال الانتخابي ولتدخّل دول الثورة المضادة ودول الغرب. لكن كل ذلك يتطلّب تغييراً جذريّاً في النظام المصرفي وفي علاقة المصرف المركزي مع وزارة الخزانة الأميركيّة وصندوق النقد الدولي. كما أن الانتخابات النيابيّة، في الشرق وفي الغرب، باتت أقصر طريق للسلطة عند أصحاب المليارات الذين يتحالفون حكماً مع دول الخليج ومع دول الغرب. نجيب ميقاتي، الذي استفاد من النفوذ السوري ليدخل الحياة النيابية اللبنانيّة، لم تطل إقامته في معسكر حلفاء سوريا والمقاومة. أصحاب المال أو الأنظمة الثريّة تحتكر تملّك وسائل الإعلام والدعاية التي تؤثّر على الناخب، خصوصاً في فترة تعجّل فيها الانتخابات. تعلم أن الانتخابات العاجلة باتت طريق الثورة المضادة لترتيب الأمور عندما يطالب عبد الرحمن الراشد، داعية النظام السعودي الذي لا يسمح بانتخابات، بإلحاح قيادة المعارضة في السودان بالرضوخ لنتائج الانتخابات، ويفتي قبل أيّام فقط في «الشرق الأوسط» أن «الانتخابات هي الحلّ».

وحياكة النظام الاقتراعي تقرّر الفائز، بعيداً عن التهويل الغربي المُستورد بقدسيّة الانتخابات وكيف أنها تحقّق الحريّة. إن النظام الاقتراعي الأميركي لا ينتج إلا حزبيْن لأن الحزبيْن لا يريدان التشارك في السلطة مع أحزاب أخرى. وعليه، فإن صنع نظام اقتراعي يمكن أن ينتج سلطة سياسيّة بناءً على انحياز واضحيه: تستطيع أن تخدم مصالح الأثرياء، كما يجري في كل الانتخابات في الدول العربيّة، أو أن تتعاطف مع مصالح الفقراء، عبر قوانين تصدر من فوق، كما حصل مع النظام الناصري والذي لا يمكن التشكيك بشرعيّته أو شعبيّته بعد سنوات من الحكم من دون انتخابات. إن طرد وإقصاء أعداء الثورة لا يجري بالانتخابات، بل بالوسائل غير الديموقراطيّة، وهي ضروريّة إذا كان المُبتغى هو تغيير النظام بالكامل. إن الانتخابات هي أقصر الطرق للمحافظة على النظام لأن حظوة المال تساعد الطبقة الحاكمة على الاستمرار في الحكم (وبدعم خارجي)، وإن جرى ذلك بعد إقصاء الحاكم الوثيق الصلة بالطبقة الحاكمة عينها.

ثالثاً، الإعلام والدعاية. تلعب وسائل الإعلام الغربيّة دوراً ملحوظاً في الانتفاضات العربيّة، ويسعى ناشطون وناشطات لجذب اهتمامها. وبعض المتظاهرين، في السودان وفي غيرها، يرفعون شعارات باللغة الإنكليزيّة. لكنّ للتوجّه إلى إعلام الغرب ومنظمّات حقوق الإنسان ثمناً باهظاً. هي تغطّي الانتفاضات لكن على أن تلتزم بشعارات وحدود لا تشكّل خطراً على إسرائيل ومصالح الغرب. إن اختيار وائل غنيم (الذي يستشهد بأقوال توماس فريدمان) من قِبل الغرب لم يكن عفوياً، بل كان لأنه في شعاراته وسياساته لا يشكّل خطراً على النظام الرسمي الإقليمي والعالمي القائم (هو لا يذمّ إلا الأنظمة التي لا تماشي مصلحة أميركا). والارتباط بوسائل إعلام الغرب يفرض على المتظاهرين الالتزام بحدود معيّنة: ما كان وائل غنيم الشخص المفضّل عند أوباما (نظريّاً، لأن أوباما حسم أمره لصالح الطاغية السيسي) لحكم مصر (كما نقل عنه، مستشاره، بن رودس في كتابه) لو أنه شارك في التظاهرة العارمة أمام سفارة الاحتلال الإسرائيلي في القاهرة. التوجّه إلى وسائل إعلام الغرب سيفرض وسائل لا عنفيّة على الجماهير حتى في حالات الدفاع عن النفس. هاكم منظمّات حقوق الإنسان الغربيّة التي تساوي بين جرائم حرب إسرائيل والوسائل المشروعة للدفاع لدى الشعب الفلسطيني. ووسائل الإعلام العربيّة والغربيّة مرتبطة بالنظام الإقليمي القائم وبمصلحة الاحتلال الإسرائيلي. وعليه، فإن تشكيل وسائل إعلام إنترنتيّة جديدة يكون أفضل وسيلة للتواصل كما فعل «تجمّع المهنيّين السودانيّين». علم التجمّع أن وسائل إعلام النظام، كما وسائل إعلام الأنظمة المتحالفة معه، ستلجأ إلى التضليل والتهويل، ففتح حساباً ممهوراً بشعاره حتى لا يبقى ليس حول هويّة المادّة الإعلاميّة. الإعلام الغربي لا يعتنق قضيّة تحرّك إلا إذا كان متوافقاً مع موقف الدول الغربيّة: لهذا، فإن مواقف المراسلين والمراسلات الغربيّات في بلادنا على مواقع التواصل، كما مواقف وسائل الإعلام التي يعملون فيها، كانت أقرب إلى التبشير والدعوة والحضّ منها إلى التغطية الصحافية فقط في الحالة السوريّة. ولو اتبع هؤلاء نفس الأسلوب في تغطية الوضع الفلسطيني لما بقوا يوماً واحداً في وظائفهم. لكن الإعلام البديل يصطدم بقدرة النظام على تعطيل الإنترنت، كما حدث في السودان من قبل المجلس العسكري الحاكم، وكما حدث في سوريا في عام 2011 من قبل الحكومة الأميركيّة (كان الظنّ في حينه أن النظام هو المسؤول، لكن اتضح فيما بعد من خلال تسريبات سنودن أن الحكومة الأميركيّة هي التي عطّلت الإنترنت في سوريا). وإذا كانت الانقلابات العسكريّة التقليديّة تتجه في الماضي نحو مبنى الإذاعة والتلفزيون، فإن الجماهير تستطيع أن تستولي على مركز الاتصالات المعني بالإنترنت مبكراً لقطع الطريق على النظام للتأثير على وسائل الاتصال الحديثة.

رابعاً، السياسة الخارجيّة. تحاول التحرّكات الشعبيّة العربيّة أن تحيّد الأنظمة العربيّة كافة، أو أن تتصنّع الحياد فيما بينها. حتى أن بعضها يتوجّه بخطاب لطيف نحو دول الغرب. الفارق بين السذاجة والغباء والتدمير الذاتي يكمن أحياناً في تحديد معسكر الأعداء، على طريقة ماو. لم يعد معسكر «الثورة المضادة» مستتراً، ودور النظام المصري وكذلك السعودي والإماراتي لم يكن مستتراً لا في السودان ولا في الجزائر، وكانت السفارات الغربيّة ناشطة في البلديْن أيضاً. وقد اجتمع وفدٌ من «تجمّع المهنيّين السودانيّين» مع وفد سعودي (وقد زوّر إعلام النظام السعودي تصريحات وفد المعارضة)، لكن ما الجدوى من اللقاء؟ وهل النظام السعودي سيغيّر من حساباته ومن خططه بسبب كلام مقنع أو عاطفي من شعب ثائر؟ إن القدرة على إحداث تغيير جذري للسلطة في البلد المعني يتطلّب قطعاً في تحالفات النظام البائد ورصد خطط دول الغرب المتربّصة بأية محاولة لتحقيق نظام عربي حرّ ذي سيادة حقيقيّة.

والمعيار الحقيقي لثوريّة أي نظام جديد يكمن في ملفيْن: العداء لإسرائيل ودعم مقاومتها وفي الإصرار على تغيير جذري في السياسات الماليّة. إن حكّام المصارف المركزيّة في الدول العربيّة لا يُعيّنون من قبل حكّامهم بقدر ما يُعيّنون بالتوافق مع دول الغرب. وهي ترى فيهم وسيلة من وسائل حروبها.

خامساً، إن الصفح والغفران من سمات الحركات التي لا تريد أن تقطع مع الماضي. لم تجر في تونس ولا في مصر ولا في اليمن محاسبة حقيقيّة للمرحلة الماضية ورموزها من المجرمين. وأسباب التمنّع عن طلب المحاسبة والمعاقبة داخليّة وخارجيّة: النظام السعودي، رعى مثلاً الطاغية بن علي، ولم يجرؤ النظام الجديد المتحالف مع قطر على تحدّي السعوديّة وسكت القادة الجدد عن طلب الاسترداد، لا بل إن الرئيس التونسي الحالي (وحتى المرزوقي) أسبغا أجمل العبارات على النظام السعودي. ودول الغرب لا تحبّذ المحاسبة لأن الكثير من ملفات النظام البائد مرتبط بخطط دول الغرب ومؤامراتها، لهذا فإن الغرب الذي يمتهن الثأر بالحروب بعظ العرب بضرورة الغفران. والمعارضات الجديدة تظنّ أن مهادنة أجهزة الأمن والقوى العسكريّة تضمن تعاونها، فيما هي تضمن استمرارها في تآمرها لحفظ مصالح النظام القائم.

سادساً، غاب عن مطالب المعارضات الشق الاقتصادي الذي يشكّل خرقاً للسيادة الوطنيّة ليس أقلّ من الاحتلال الأجنبي المباشر. وعند اندلاع الانتفاضة التونسيّة كان هناك حرص من الحكومة الأميركيّة على الحفاظ على حاكم المصرف المركزي ووزير المالية. السيطرة الغربيّة المباشرة على مقدّرات الحكم في الدول العربيّة تتم عبر المشاريع الاقتصاديّة التي تحدّد سياسات الدول المالية وغير المالية. هل يستطيع لبنان مثلاً أن يستعمل قروضه من الدول الغربيّة لشراء منظومة صواريخ تقيه شرّ الطيران الإسرائيلي؟ ولم تستطع أعتى مقاومة في تاريخ الشرق العربي مقاومة أو صدّ هجمة اتفاق «سيدر» (وهذا الاسم تعبير كلاسيكي عن التمريز الاستشراقي للبنان) لأن ذلك يقوّض دعائم التفاهم الوطني ويفتح حرباً ضد المعسكر الغربي. إن تغيير وجهة الاقتصاد والماليّة وحده يستطيع أن يقطع جذريّاً مع النظام الماضي ويعيد تشكيل طبقات اجتماعيّة جديدة كما حدث في الثورة المصريّة. حتماً، لو أن الانتفاضات اعتمدت على طلّاب الجامعات الغربيّة الخاصّة أو موظّفي الـ«إن جي أو» فإن جل ما يحقّقه هؤلاء هو استبدال طاغية بآسوأ منه، كما حدث في مصر. التغيير الحقيقي يغيّر ليس فقط البنية الطبقيّة للحكم، بل هو يغيّر أيضاً من البنية الإعلاميّة والثقافيّة الحاكمة. عندما تحدث ثورة حقيقيّة، لا يمكن أن ترى عمرو أديب على الشاشات أو أن يفتي نجيب سويرس في قضايا الإصلاح والتغيير. وجود هؤلاء علامة على استمرار الطبقة الحاكمة عينها.

* كاتب عربي (حسابه على «تويتر» @asadabukhalil)

تونس، كانون الثاني 2011 (كريستوفر فيرلونغ ـ غيتي)

مخاطر المسار الطائفي على وحدة لبنان

سعد الله مزرعاني *

لا شك في أن التعبئة الطائفية، وأختها المذهبية، إلى تصاعد مستمر. مرة جديدة، وخلافاً للدستور، استمر القيد الطائفي حاكماً للمسار الانتخابي. كاد «المشروع الأرثوذكسي» أن يُعتمد لولا بعض الاعتراضات الجزئية التي عززت، مع ذلك، جوهر العامل الطائفي والمذهبي في النظام الجديد. هي كرّسته في نسبية مُشتتة ومشوَّهة في كثرة الدوائر، وفي الصوت «التفضيلي» المذهبي. المسيرة العونية «المظفّرة» كانت ولا تزال تتقدم الجميع في اعتماد التعبئة الطائفية وفي تغذيتها. هي رفعت رايتها تحت عنوان «استعادة الحقوق». ثمّ ما لبثت أن تخطت «المناصفة»، المؤقتة والمحدد بديلُها في المواد الدستورية (22، 24 و95 من الدستور)، إلى أمرين بالغي الخطورة: الانقضاض على كل ما بقي من مفعول النص الدستوري الذي يحصر القيد الطائفي، وفي كل الأسلاك المدنية والعسكرية، (ودائماً بشكل مؤقت ريثما يُلغى القيد الطائفي كلياً) في الفئة الأولى. والثاني التوسُّع، من قبل «التيار الوطني الحر» (خصوصاً بعد وصول زعيمه إلى سدة الرئاسة الأولى)، باتجاه استعادة ما كان قائماً من «امتيازات» في مرحلة ما قبل الحرب الأهلية وتسوية «الطائف» لعام 1989 (التي تكرّست بنودها في الدستور عام 1990). في هذا السياق الأخير، أُثير أخيراً موضوع حلول «السُّنية السياسية» محل «المارونية السياسية» وعلى «جثّتها» كما صرّح رئيس «التيار الوطني الحر» الوزير جبران باسيل. قبل أكثر من سنة، وفي مجرى الصراع على قانون الانتخاب، وأثناء العملية الانتخابية، ومن ثم التعبئة الطائفية العالية النبرة التي رافقتهما، آنذاك، وُصفَت الامتيازات السابقة على تسوية «الطائف» بأنها «ضمانات» وليست امتيازات. ويكرِّس السجال والسلوك اليوميان «المسيرة المظفّرة» المشار إليها آنفاً، في كل الحقول والساحات: في الإدارة والمواقع والمناصب والإنفاق العام والتحالفات... شمل ذلك، بالطبع، الداخل والخارج. في هذا السياق، دارت في بلاد الاغتراب والسفارات والمؤتمرات رحى معركة مفتوحة لدفع فريق من اللبنانيين المغتربين إلى استعادة جنسيتهم من أجل محاولة إقامة توازن ديموغرافي (سكّاني) لا يزال يختلّ يوماً بعد يوم وسنة بعد سنة.

إن معركة استعادة «الحقوق» باتت، تباعاً، دون قفازات. فهي في أكثر اللقاءات والمناسبات، ومن قبيل التباهي بالإنجازات أو السعي لكسب الشعبية والدعم وتعزيزهما، تجنح نحو طابع استعادة «القرار المسيحي» في السلطة اللبنانية، كما كان الأمر في مرحلة ما كان يعرف بالامتيازات المارونية. صلاحيات رئيس الجمهورية، آنذاك، كانت مطلقة تقريباً في الشؤون والعلاقات الداخلية (في السياسة والإدارة والأمن والتربية والإنماء...) وفي السياسات والعلاقات الخارجية (عبر الارتباط بالغرب الأوروبي والأميركي تبعاً للمراحل والتوازنات الدولية على وجه الخصوص). نقع اليوم، وكل يوم، على سلوك أو دعوة من نوع أن «بعبدا» هي مركز القرار. من الشكليات إلى الأساسيات، يحاول فريق العهد أن يطيح معادلات تسوية «الطائف» وما استحدثته من مشاركة وتوازنات... فضلاً عن الإصلاحات التي تناوب وتضامن على تعطيلها الجميع في الداخل والخارج.

هذا الرفض الضمني لتسوية «الطائف» المكرسة في الدستور، عُبِّر عنه، منذ البداية حتى الآن، بنحو مباشر أو غير مباشر، بشعارات «الرئيس القوي» و«تكتل لبنان القوي» وبتعزيز وباستعادة و«تحرير الحصة المسيحية»... توسّل ذلك عملية خلط أوراق لمصلحة إعلاء الشأن الطائفي في ممارسة الصلاحيات وبلورة السياسات والأدوار والتحالفات والتوجهات... ولئن كان السعي لاستعادة «الحقوق» يرتدي لبوساً وطنياً عاماً، إلا أن ما يوجهه فعلياً هو نهج فئوي حصري في نطاق منظومة المحاصصة. من هنا يتذمّر كل الأفرقاء السياسيين في الوسط «المسيحي» من استئثار «التيار الوطني الحر». لكن ردود الفعل لا تذهب، غالباً، في الوجهة الصحيحة، فها هي «القوات اللبنانية»، مثلاً، على لسان رئيسها أخيراً، تتأفّف من الاستئثار العوني، لكنها لا ترفض منطق المحاصصة، بل تحاول جعلها موزعة على أكثر من فريق، وفق «آليات» مكرسة في الأعراف، رغم مخالفة ذلك للدستور.

> **يحاول فريق العهد ان يطيح معادلات تسوية «الطائف» وما استحدثته من مشاركة وتوازنات**

مخاطر هذا التوجه لا تقتصر على خرق الدستور واعتماد تفسير انتقائي فئوي لبنوده، مع ما ينطوي عليه هذا الخرق من خلل فادح ومخيف في دفع منطق التحاصص الفئوي والمذهبي والطائفي إلى حدِّه الأقصى. إنه في الواقع أحد أهم أسباب أزمتنا السياسية والاقتصادية. ففي ظل توسيع المحاصصة وتكريسها، تُنهَب الدولة ويُضرَب الاستقرار ويُطلَق الفساد دون محاسبة أو رادع. أيضاً تُحوَّل الدولة إلى دولة فاشلة تعجز عن القيام بمسؤولياتها حيال حاجات المواطنين في التعليم والصحة والأمن والاستقرار والخدمات والبيئة... فضلاً عن التوتر الاجتماعي والسياسي المتجدد بالعصبيات والانقسام المحكوم بحاجة الولاء للخارج: للحماية أو للاستقواء.

ليس من الصعب، وسط الأزمة السياسية المتطاولة والأزمة الاقتصادية المتفجرة والداهمة، إدراك أن مسألة إدارة البلاد تصبح أكثر تعقيداً، ووحدتها أكثر وهناً، والاستحقاقات تتأجل أو تتعطل، هذا فيما الإنتاجية، بخلاف النهب والفساد، تصبح شديدة الضعف والمحدودية. وإذا استعدنا ما جرى في الماضي القريب، فضلاً عن صراعات المنطقة الشحونة برائحة الدم والدمار والانقسام والتفتت السياسي والمجتمعي والحروب الأهلية والتدخلات الخارجية، وتحوُّل دور الكثير من الجيوش عن مهمتها الأصلية، إلى السعي للاستيلاء على السلطة بارتباط مع الخارج الاستعماري، غالباً بتدبير وتخطيط أساسيين من قبل واشنطن وتل أبيب، وسط كل ذلك، يصبح مشروعاً، بل مطلوباً، دفع الحذر والتخوف إلى مداه الأقصى، أي إلى حدّ التفكير في مخاطر عودة مشاريع التقسيم التي يغذيها الانقسام والفئوية والصراعات المذهبية والتطرف الإرهابي التكفيري الموجّه والمعتمد من قبل دول كبيرة عالمية وإقليمية. لقد خيّم هذا الخطر على لبنان سابقاً. وفي مجريات مسار صراعات الداخل والإقليم والخارج ما يبعث على الكثير من القلق الذي يبدو أن له أدواته أو فرسانه في هذه المرحلة أيضاً!!

* كاتب وسياسي لبناني

الحدث

معادلات ما بعد «خليج عُمان»: خيارات واشنطن ضيّقة

حتى ليل أمس، بدت مواقف واشنطن، وهي تعكف على تحضير ردّها، أقل من توقّعات الروّس الحامية في المنطقة ومحكومة بضيق الخيارات. ولئن يذخر تبنّي الإدارة الأميركية إن حصل للمعلومات حول محاولة إيرانية لقصف طائرة أميركية قبيل هجوم خليج عُمان، بتصعيد أبعد في خطورته من ضرب ناقلتي نفط، فإن عودة الهدوء إلى الإقليم ما بعد هجوم خليج عمان تبدو مهمّة مستحيلة

خمدت الحرائق في «فرنت ألتير»، فيما عمليات تبريدها «مستمرّة والناقلة مستقرّة» وفق ما أفادت به شركة «فرنتلاين» النرويجية. لكن الحال في الإقليم بعد عملية خليج عمان ليست مشابهةً البتّة لمصير إحدى ناقلتي النفط العملاقتين المستهدفتين. عملية لم تكن الأولى وربما لن تكون الأخيرة، منذ استعار الاشتباك بين الولايات المتحدة وإيران، لكن لا شك في أنها كانت الأخطر بين المحطات الأمنية الممزوجة برسائل سياسية والمفتوحة على غاية من الاحتمالات والتأويلات. أياً يكن مدبّر عملية خليج عمان، فإنه نجح في إحالة المشهد الإقليمي إلى لعبة أشد خطورة لم يعد ممكناً الإمساك بقواعد مضبوطة لها بكل بساطة.

تحرص طهران على نفي الاتهامات المرفقة أميركياً هذه المرة بأدلّة شكّك فيها كثيرون، على رغم أن الإيرانيين لا يتناهون عن الاستفادة من واقع الاهتزاز الأمني للضغط باتجاه تراجع الأميركيين الذين تحمّلهم طهران مسؤولية تفجير الأوضاع من خلال «الحرب الاقتصادية»، وصوب التهدئة إقليمياً عبر فصل المسارين الخليجي والأميركي من بوابة مبادرة توقيع معاهدة «عدم اعتداء» بين ضفتَي الخليج، يبدو واضحاً أن الرياض ليست في صدد الاستجابة لها. النأي الإيراني الرسمي عن المسؤولية وراء سلسلة العمليات الأمنية لا يقنع خصوم طهران، وكذلك بعض أصدقائها، ممّن يرى المبرّر لردّ الفعل الإيراني الناجع، في وقت لا يتوقّع فيه أحد تبني أنشطة مماثلة بطبيعة الحال، رغم كثرة القائلين، سواء في طهران أو واشنطن، بالانعكاس السلبي لهذه الأعمال على مصالح إيران في مفاوضاتها مع الأوروبيين، وفرضية علاقة المتحمّسين (تل أبيب والرياض وصقور الإدارة بقيادة جون بولتون) لخوض الولايات المتحدة مواجهة عسكرية لا ترغب فيها إدارتها في الوقت الحالي.

لكن، وفي حال ضلوع طهران في الهجمات، فإن الأخيرة تكون قد حقّقت جملة أهداف، ليس بينها إعطاء الذرائع للحرب وإشعال فتيلها كما يروّج البعض، إنما على العكس تماماً، إفهام الجميع أن الحرب ستكون مكلفة وصعبة، ابتداء من الأثمان الاقتصادية لها، وصولاً إلى النتائج العسكرية والأمنية والسياسية. وبالعوائد المباشرة في سياق ما أطلق عليه المرشد علي خامنئي مرحلة «حرب الإرادات»، فإن العمليات في الخليج ترسّخ ضريبة مقابلة لآثار العقوبات، بدأت تتّضح من خلال رفع أسعار النفط، التي يتوقّع البعض أن تستمرّ في الصعود رغم إعلان الرياض أمس أنها ملتزمة رفع إنتاجها استجابة للطلب الأميركي بتعويض إمدادات الطاقة الإيرانية حتى لا ترتفع الأسعار. وعدم ارتفاع الأسعار كان أمراً متوقّعاً قبل الاضطراب الأمني نتيجة قدرة السعودية على زيادة الإنتاج، في وقت لا ترضى فيه إيران بأن يكون حصارها بلا ثمن. ورغم عدم تلمّس الأسواق ارتفاعاً جنونياً في الأسعار، ثمة مؤشرات أولية على تأثيرات محتملة قادمة، كإعلان شركات التأمين البحري أمس رفع تكاليفها على السفن التي تمرّ عبر المنطقة (يعبر منها 30 % من الخام المنقول بحراً) بنسبة 10 % على الأقل قابلة للارتفاع في ظلّ الاضطرابات التي لم يشعر بها هذا القطاع منذ عام 2003.

وأمس، انقسمت ردات الفعل تجاه ضرب الناقلتين العملاقتين، بين مواكب لواشنطن في اتهامها لطهران، كالسعودية وبريطانيا، وآخر متريّث، كالكويت وألمانيا، لكن يبقى الأهم رد الفعل الأميركي في مقبل الأيام.

> «سي أن أن»: طائرة أميركية تعرّضت قبيل الهجوم لقصف إيراني بصاروخ أرض جو

لم تؤكد الولايات المتحدة أو تنفي بعد ما نقلته شبكة «سي أن أن» عن مصدر أميركي (رسمي) من أن طائرة أميركية بلا طيار تعرّضت قبيل هجوم خليج عمان لقصف إيراني بصاروخ أرض جو أخطأها، بعدما لاحظت الطائرة الزوارق العسكرية الإيرانية تقترب من الناقلتين. ولئن أوحى نشر الجيش الأميركي سريعاً فيديو التقطته طائرة تابعة له لما قال إنه عملية نزع لغم لم ينفجر عن إحدى السفينتين من قِبَل قارب إيراني، بأن الأميركيين عازمون على التصعيد هذه المرة، فإن مواقف الرئيس دونالد ترامب لم تشِ بتوجّه مماثل. تصريحات الأخير بدت متمهّلة، ولم تشر إلى خيار واضح، مع قول ترامب رداً على سؤال حول كيفية التعامل مع إيران ومنع تكرار مثل تلك الحوادث: «سنرى ما سيحدث»، رغم اتهامه طهران بالهجوم وقوله: «إيران فعلتها... أعتقد أنهم لم يريدوا الدليل الذي تركوه خلفهم»، في إشارة إلى فيديو الجيش الأميركي. وحول احتمال إغلاق الإيرانيين مضيق هرمز، علّق الرئيس الأميركي بالقول: «لن يغلقوه. لن يتم إغلاقه. لن يتم إغلاقه لفترة طويلة». كما أن ترامب، وبعدما استبعد في تغريدة رداً على موقف المرشد الإيراني من الوساطة اليابانية، إمكانية عقد «صفقة» جديدة مع إيران، قال أمس لشبكة «فوكس نيوز»: «نريد أن نعيدهم إلى طاولة التفاوض... أنا مستعد عندما يكونون مستعدين... لست في عجلة». ما يفسّر ضبابية مواقف ترامب هو انتظاره للتقييم الذي يجريه أركان إدارته، ومداولاتهم لتقديم خيارات الرد. في هذا الإطار، برزت مواقف وزير الدفاع بالوكالة، باتريك شاناهان، الذي قال إن «الوضع في الخليج مسؤولية دولية، ونعوّل على الدبلوماسية كوسيلة لخفض التوتر». وبلهجة تنطوي على عدم الالتزام برد فعل واسع، أوضح أن «ما نركّز عليه أنا و(مستشار الأمن القومي) السفير جون بولتون و(وزير الخارجية) مايك بومبيو هو بناء إجماع دولي بشأن هذه المشكلة الدولية». بموازاة رد الفعل الدبلوماسي الذي تنتظره طهران بعد عملية التحشيد التي يعدّها الأميركيون، ثمة معلومات عن تداول آليات عمل جديدة في المنطقة، تهدف إلى الحيلولة دون تكرار مثل هذه الحوادث. ونقلت «رويترز»، أمس، عن مسؤولين أميركيين أن مثل هذه الإجراءات يجري تداولها مع «الحلفاء»، وقد يكون بينها «نظام مرافقة» يقوم على تسيير حراسات للسفن التجارية تتولاها سفن حربية.

ردا على سؤال حول كيفية التعامل مع إيران، قال ترامب: «سنرى ما سيحدث» (أ ف ب)

اليمن

«أبها» تحت النار للمرة الثانية

بعد أقلّ من 48 ساعة على استهداف مطار أبها جنوب السعودية بصاروخ «كروز»، أطلقت القوات المسلحة اليمنية، أمس، عدداً من الطائرات المسيّرة (من طراز «قاصف 2k») على المطار نفسه، ما أدى إلى توقف الملاحة الجوية فيه، بحسب تأكيد مصدر في سلاح الجو اليمني. وفيما ادعى «التحالف» أنه اعترض الطائرات، قال الناطق باسم الجيش واللجان الشعبية، يحيى سريع، إن تلك الادعاءات «غير صحيحة»، جازماً بأن الطائرات «وصلت وأصابت أهدافها بدقة عالية». ونبّه سريع إلى أن «عملياتنا مستمرة باتجاه المطارات والمواقع العسكرية في دول العدوان بصورة متصاعدة»، مكرراً «الدعوة إلى شركات الطيران والمدنيين للابتعاد عن» تلك المرافق، «كونها أصبحت أهدافاً مشروعة».

(الأخبار)

تحليل إخباري

إسرائيل الصامتة رسمياً: إنها البداية!

يحيى دبوق

المواجهة العسكرية بين الولايات المتحدة وإيران هي واحد من أهم الأهداف الإسرائيلية في العقود الأخيرة. وتُعدّ، من ناحية تل أبيب، السلاح الأمضى لمواجهة مصدر التهديد الأوّل للدولة العبرية، في ظلّ القصور الذاتي عن المواجهة بأنواعها. أمّا التفاوض والاتفاقات والتسويات، فلا مكان لها في القاموس الإسرائيلي تجاه إيران، ما لم تكن الاتفاقات نفسها انعكاساً للهزيمة الإيرانية المرجوّة.

لكن ما بين إرادة تل أبيب وتفضيلها الخيارات العسكرية، وبين القدرة المادية الفعلية الموجودة لديها، هوّة واسعة يتعذّر جسرها، الأمر الذي يدفع إسرائيل نحو تحريض الآخرين على المواجهة مع إيران، وتحديداً الجهة القادرة وهي الولايات المتحدة، في ظلّ إدارة تكنّ العداء لطهران بما لا يقلّ عن عدائها هي لها. إلا أنه ما بين طلب الحرب، وتظهير هذا الطلب، محذور تخشى تل أبيب تبعاته، تحديداً من أن يرتبط اسمها بالتحريض على حرب أميركية قد تكون تداعياتها النهائية كارثية، ما يدفع صاحب القرار في تل أبيب إلى عدم تظهير تحريضه، وإن كان يجهد في الغرف المغلقة في الدفع باتجاه المواجهة وتأمين كل مقدّماتها.

على هذه الخلفية، تلزم إسرائيل الصمت الرسمي في كل ما يرتبط بالتوتر بين الولايات المتحدة وإيران، وخصوصاً إن كانت في التوتّر إمكانات معقولة للتدحرج إلى تصعيد أمني بين الجانبين. وهو ما ينسحب بطبيعة الحال على التوتّر في منطقة الخليج، وآخره استهداف ناقلتَي النفط في بحر عمان. مع ذلك، شذّ أمس واحد من الوزراء الإسرائيليين، خلافاً للسياق العام في الامتناع عن إبداء مواقف وتعليقات، وهو عضو المجلس الوزاري المصغر، يوآف غالنت، الذي سارع إلى اتهام إيران بالحادثة، وطالب بضرورة الاستعداد لما سيلي، في إشارة منه إلى إمكان أن تتسبّب الحادثة بمواجهة. وقال غالنت، في حديث إلى القناة الـ«13» العبرية، إن علينا أن نكون متأهّبين لما يمكن أن يحدث في منطقة الخليج، فهم خلال شهر هاجموا بواسطة غواصين أربع سفن، وهاجموا الآن ناقلتين بواسطة «طوربيد» من غواصة، و«لا نحتاج إلى دليل كي نقول إن إيران هي الجهة التي تقف وراء هذه الهجمات». وحول احتمال نشوب مواجهة عسكرية بين الولايات المتحدة وإيران، قال غالنت إنه لا يتكلم باسم الأميركيين، على «رغم أنه من الواضح أن المواجهة بدأت، ولم يعد الأمر يتعلّق بالكلمات والتصريحات، وبات يتعلّق باستخدام القوة، وعلى الإيرانيين أن يفهموا مع مَن يتعاملون، وليقرأوا التاريخ، وليعلموا من هي الولايات المتحدة».

من جهتها، تساءلت صحيفة «هآرتس» إن كانت إيران فعلاً هي المسؤولة عن الهجمات، لأن المنطق يشير إلى أنها ستخسر كثيراً من هذه الحادثة. وقالت إن طهران غارقة في صراع سياسي ضخم لضمان عدم انسحاب أوروبا وروسيا من الاتفاق النووي، وأي مبادرة عنيفة من جانبها، كمهاجمة ناقلات نفط أجنبية في الخليج، قد تؤزّم الوضع عليها. وفي تقرير للقناة «13» العبرية، ورد أن الإيرانيين أدركوا نقطة ضعف الغرب مقابل إيران التي تتحرك بناءً على هذا الإدراك، أي لا إرادة الحرب والخشية كذلك على أسعار النفط وإمكان ارتفاعها، و«في المحصلة ما يحدث هو فشل لسياسات ترامب مقابل الإيرانيين».

برغم ذلك، نقلت القناة عن مصدر أميركي رفيع المستوى، من دون أن تسمّيه، قوله إن الوضع يقترب مع إيران من الخط الأحمر، وإذا تجرّأ الإيرانيون على اجتيازه، فسيتلقّون ضربة من الولايات المتحدة. وأضاف المصدر: «لدينا خيار عسكري أعددناه عام 2012 وأطلعنا إسرائيل عليه، ويمكننا أن نضربهم بقوة كبيرة جدّاً». هذا التسريب، من ناحية عملية، يشير إلى أن ما حدث حتى الآن، وبمستواه ودلالات التحدّي فيه، إن صحّت الاتهامات بأن إيران وراء الهجمات، لا يدفع الولايات المتحدة إلى مواجهة مع الإيرانيين.

> مصدر أميركي لقناة عبرية: لدينا خيار عسكري أعددناه عام 2012 وأطلعنا تل أبيب عليه

سوريا

السبهان في شرقي الفرات... واعِداً بـ«دور أكبر»

أيهم مرعي

لم يتوقف النشاط السعودي في مناطق سيطرة «قوات سوريا الديموقراطية»، منذ الإعلان عن زيارة وزير الدولة السعودي لشؤون الخليج العربي، ثامر السبهان، للرقة قبل عامين. ويتقاطع هذا الحضور مع المقاربة الأميركية هناك، إذ يركّز على العشائر العربية، لاستثمارها كورقة مهمة في سياق التجاذبات مع دمشق وحلفائها، ولا سيما إيران. ومجدداً، زار السبهان، الخميس الماضي، محافظة دير الزور، قادماً من أربيل، في وقت تشهد فيه المنطقة توتراً بين العشائر العربية و«قوات سوريا الديموقراطية»، احتجاجاً على سياسات الأخيرة في المنطقة، وفقدان عدد من المدنيين من أهالي ريف دير الزور حياتهم بنيرانها، إلى جانب الاعتقالات العشوائية، وتهميش دور العشائر.

الزائر السعودي حضر مع مستشاري الخارجية الأميركية، جويل رايبورن ووليام روباك، والتقى وجهاء العشائر في حقل العمر النفطي في ريف دير الزور. ووفقاً لمصادر عشائرية، فإن السبهان «أبدى استعداد بلاده لدعم المجلسين العسكري والمدني لدير الزور، عسكرياً وخدمياً»، كما طالَب العشائر «بالتفاوض مع قسد وعدم الاصطدام معها». وبحسب المصادر نفسها، قال السبهان إن «الدور السعودي سيكون أكبر خلال المرحلة المقبلة، بما يضمن حقوق سكان المنطقة». ويبدو التعويل على صلات القرابة العشائرية حاضراً في حسابات الوزير السعودي، ضمن مساعي بلاده للقيام بدور مهم على طاولة التفاوض السورية والإقليمية. وكانت «الأخبار» قد كشفت عن وجود تحرّك سعودي يهدف إلى توحيد الفصائل العسكرية الموجودة في التنف مع مجلس دير الزور العسكري (راجع «الأخبار» السبت 18 أيار 2019). ويتساوق التوجّه السعودي هذا مع تحرك أميركي مماثل، تمثّل في عقد مسؤولين عسكريين من القوات الأميركية اجتماعاً مع قادة «مجلس دير الزور العسكري» لإعادة الأخير إلى الواجهة، بعد تغييب دوره خلال معارك الباغوز الأخيرة. كذلك، تفيد أوساط إعلامية مقربة من «قسد» بأن اجتماعاً آخر عُقد في بلدة البصيرة مع عدد من وجهاء العشائر في دير الزور، بحضور السبهان وممثلي الخارجية الأميركية.

وطبقاً لتلك الأوساط، فإن العشائر العربية دعت الجانب السعودي إلى دعم تأهيل البنى التحتية والمرافق العامة شرقي الفرات.

وتزامناً مع الزيارة السعودية، برز نشاط دبلوماسي غربي تمثل في زيارات لوفود خارجية غربية من فرنسا وهولندا وبلجيكا والنرويج، سبقتها زيارات أخرى لدبلوماسيين من كازاخستان والسودان، بهدف تسلم أسرى من «داعش» لدى «قسد». تضاف إلى ذلك زيارات لوفود أوروبية وأميركية غير رسمية لعدد من مدن الشمال والشرق السوريَين، ستسهم في فتح علاقات اقتصادية وسياسية وأمنية مع «الإدارة الذاتية»، على حدّ ما نقلت وسائل إعلام قريبة من الأخيرة.

النار تحصد مواسم القمح والشعير: خسائر مؤلمة... ومحدودة!

لم تمرّ فرحة السوريين بإنتاج قمح وفير قد يقارب هذا العام 2.5 مليون طن بعد سنوات عجاف، حوّلت البلاد من منتج إلى مستورد بفاتورة مرتفعة، على خير إذ سارعت جهات مجهولة إلى إشعال حرائق في حقول القمح والشعير في جميع المناطق المنتجة من دون استثناء. وعلى رغم الأضرار الكبيرة التي لحقت بالحقول، خرجت تأكيدات متفائلة بأن التأثير سيكون محدوداً في ظلّ إنتاج مبشّر يعدّ الأفضل منذ عقود

أيهم مرعي ــ رحاب الإبراهيم

تحوّلت حرائق حقول القمح والشعير إلى كابوس يومي للفلاحين الذين ينتظرون دورهم في الحصاد، وسجّلت سابقة من حيث المساحات التي طاولتها، لم يسبق أن شهدتها البلاد من قبل. وعلى رغم أن هذا الكابوس شمل جميع المناطق المنتجة لمحصولَي القمح والشعير، إلا أن الحسكة كانت صاحبة النصيب الأكبر من الحرائق، علماً بأن الإنتاج المتوقع حالياً لهذه المحافظة تجاوز 800 ألف طن من القمح، ومثلها للشعير.

في جولة على امتداد طريق تل براك ــ القامشلي، تتصاعد السنة اللهب والدخان من الحقول الزراعية في القرى الممتدة من قرية خربة الجدوع، وصولاً إلى قرية خراب عسكر، على طريق القامشلي ــ تل حميس. المعلومات المتداولة هناك تقول إن الحرائق (حتى الأربعاء الماضي) التهمت محاصيل 15 قرية بالكامل، لترتفع مساحة الأراضي المحروقة إلى أكثر من 140 ألف دونم للشعير، و110 آلاف دونم للقمح. وفي هذا السياق، يكشف معاون مدير الزراعة في الحسكة، رجب السلامة، في حديث إلى «الأخبار»، أنه «رغم الحرائق المؤلمة التي طاولت محاصيل الفلاحين هذا العام، إلا أن المساحات التي احترقت لا تصل إلى حدود 8 في المئة من المساحات المزروعة بالقمح والشعير»، لافتاً إلى «بقاء التفاؤل بموسم وفير». كذلك، يشير المدير العام لـ«السورية للحبوب»، يوسف قاسم، إلى أن مؤسسته «تسلّمت بعد أيام قليلة من فتح المراكز أكثر من 111 ألف طن، من بينها 56 ألف طن في الحسكة». ويتوقّع قاسم أن تشهد المراكز الحكومية «إقبالاً واسعاً خلال الأيام المقبلة، بما يضمن تحقيق نسب تسلّم عالية هذا العام».

اتهامات... وتقصير

في مناطق شرق الفرات الخارجة عن سيطرة الدولة، يتّهم الفلاحون «قوات سوريا الديموقراطية»، ومن خلفها قوات «التحالف الدولي»، بافتعال الحرائق، بينما تتجه أصابع الاتهام في المناطق الخاضعة لسيطرة الدولة إلى بعض التجار و«دواعش الداخل»، الساعين للحفاظ على مكاسب الاستيراد. وهو ما يشير إليه ابن محافظة الحسكة، دحّام السلطان، الذي تعرّض محصوله للحرق بفعل فاعل، حيث التهمت النار 250 دونماً في قرية رجم فرحان التابعة لناحية تل براك في ريف الحسكة، وشوهد الفاعل المجهول من دون التمكن من القبض عليه. هنا، لا يستبعد رئيس اتحاد الفلاحين في الحسكة، دياب الكريم، افتعال الحرائق للضغط على الفلاحين، لكنه لا يجزم بحصول ذلك نظراً إلى عدم وجود أدلة لديه. وبينما يرى أن تكرارها على نحو كثيف مقارنة بالأعوام السابقة يحمل مؤشراً قوياً على افتعالها، يلفت إلى وجود أسباب أخرى تتعلق بكثافة الأعشاب حول سنابل القمح والشعير، بسبب الأمطار الغزيرة، والحرارة المرتفعة، بما يجعل احتمال تعرض الحقول للحرائق وارداً. ويتحدث الكريم عن تشكيل «فريق عمل» من 40 شخصاً تقريباً ينشط على مدار اليوم للتقليل من ضرر الحرائق، مع قيام أصحاب الأرض أنفسهم بحراستها، مؤكداً أن «نسبة الضرر حتى الآن ليست كبيرة».

رئيس قسم التصنيع والتسويق في اتحاد الفلاحين، خطار عماد، شدد على أن جزءاً كبيراً من الحرائق كان مفتعلاً، «في استكمال لمخطط الحصار الاقتصادي وتنفيذ أجندة خارجية»، واصفاً هذه الحرائق بـ«الإجرام الاقتصادي... كونه لا يضرّ الفلاح فقط، وإنما جميع مكونات المجتمع»، متحدثاً في المقابل عن وجود حرائق سببها الإهمال والحرارة المرتفعة. وبؤكد وجود استنفار فعلي للإطفاء، مضيفاً إلى الجيش السوري تدخّل أيضاً مع الروابط والجمعيات الفلاحية والفلاحين للمساهمة في عمليات الإخماد، لافتاً إلى وقوع «شهداء جراء هذه الحرائق والمساعدة في إطفائها». وبيّن عماد أنه «مهما بلغت نسبة الحرائق، فذلك يشكل خسارة للفلاحين في ظل تعبهم وتكبّدهم تكاليف كبيرة لزراعة أرضهم». وفي اتصال «الأخبار» بمدير الإنتاج النباتي في وزارة الزراعة، عبد المعين قضماني، لمعرفة الأضرار الناتجة من الحرائق، أوضح أنه «لم يتم حتى الآن حصرها بدقة، مع وجود فريق معني يستقصي الخسائر ويقدّرها، ليتم بعد ذلك إبلاغ صندوق الكوارث والجفاف لتعويض الفلاحين». لا إطفاء!

يغيب مشهد انتشار سيارات الإطفاء على جانبي الطرقات والمفارق العامّة في محافظة الحسكة للعام التاسع على التوالي، بعدما اعتاد سكان المحافظة استنفار معظم فرق الإطفاء في المحافظات لمصلحة موسم الحصاد، ما كان يسهّل السيطرة على أي حريق سريعاً. غياب هذا المشهد في ظلّ خروج معظم جغرافية المحافظة عن سيطرة الحكومة السورية، وسيطرة «الإدارة الذاتية» على غالبية أفواج وسيارات الإطفاء، وعدم خبرة العاملين لديها في التعامل مع الحرائق، كلها عوامل كبيرة بالمزروعات، معتبراً أن افتعال هذه الحرائق يأتي ضمن «مخطط لتدمير اقتصاد سوريا وتجويع شعبها وإجبار الأهالي على الهجرة وسرقة أراضيهم». يوافقه الرأي أحد فلاحي دير الزور، الذي رفض ذكر اسمه خوفاً من حريق ثان يستهدف أرضه، التي تلبّد إنتاج أكثر من 300 دونم منها من القمح والشعير، إذ يعتبر أن ثمة «أيادي خفية تحاول العبث بالاقتصاد السوري وقوت الفلاحين»، وذلك بدعم من «التحالف» والتجار، قائلاً: «يكفي رمي عقب سيجارة أو وضع عدسة مقربة في الأرض ليتم حرق المحصول بأي لحظة عند ارتفاع درجات الحرارة، وقد يبدو الأمر غير مفتعل، لكنه بالحقيقة مدبّر لغايات معروفة الأهداف».

> كشف وزير الزراعة أن وزارته تعمل على إصدار قانون للتأمين الزراعي

هموم ومخاوف

أمام هذه الموجة غير المسبوقة من الحرائق، يبدي الكثير من الفلاحين ترددا في زراعة محاصيلهم العام المقبل، خشية تحوّل الحرائق إلى ظاهرة سنوية تطاول المحاصيل، وهو ما يشكل خطراً على مستقبل الزراعة. يقول أبو حمّد، الذي نجا محصوله هذا العام في إحدى قرى عامودا، بعدما حصده قبل وصول النيران إليه، إن «المحصول الذي نجا هذا العام قد لا ينجو العام المقبل، ما يجعل من فكرة الزراعة أمراً غير واقعي بغياب الأمان». كذلك، تبرز مشكلة عدم قدرة الكثير من الفلاحين الذين تعرضت أرزاقهم للحرائق على تأمين البذار والسماد وأجرة الفلاحة للموسم المقبل، ما يدفع الكثيرين منهم الى المطالبة بالتعويض. ويفيد وزير الزراعة، أحمد القادري، في تصريح إلى «الأخبار»، بأن «المساحات التي طاولتها الحرائق في عموم البلاد هي 55 ألف هكتار من إجمالي المساحة المزروعة في البلاد، والمقدّرة بـ 346 ألف هكتار»، مشيراً إلى أن الحرائق «غير مشمولة بصندوق الكوارث والجفاف، ولا تستوجب التعويض». ولا يبدي الوزير تخوفاً كبيراً، مشدداً على ضرورة «تضافر جهود المجتمع للسيطرة على الحرائق ومنع انتشارها». ويكشف الوزير أن وزارته «تعمل بالتعاون مع وزارة المال لإصدار قانون للتأمين الزراعي، يمكّن الفلاحين من التأمين على أراضيهم وزراعاتهم، ويتيح تعويضهم في حال حصول أي ضرر»، وهو ما سيشكل «حالة أمان بالنسبة الى الفلاحين لعدم تكرار مأساة الموسم الحالي مع الحرائق».

أدت إلى توجيه اتهامات إلى «الإدارة الذاتية» بالتقصير. وفي المقابل، أكد مسؤولو «الإدارة» أن «اتّساع رقعة المساحات المحروقة، لكونها في غالبيتها مفتعلة وتهدف إلى الإضرار باقتصاد المنطقة، رفع من صعوبة تغطية المساحات الواسعة بفرق وآليات الإطفاء اللازمة، والتي تحتاج الى إمكانات هائلة للسيطرة عليها».

الفلاح دحّام السلطان يتحدث عن صعوبة إطفاء الحرائق في المناطق الواقعة خارج سيطرة الدولة حالياً، والتي يصف مستوى الخدمات فيها بأنه «صفر»، إذ يعمد الفلاحون إلى إطفاء الحرائق بأدوات بدائية عبر استخدام الجرارات الزراعية وصهاريج المياه، بشكل أدى إلى إلحاق أضرار

ذكرى خمس سنوات على سقوط الموصل: **هل يعود «داعش»؟**

الـ 10 والـ 13 من حزيران/ يونيو 2014. تاريخان لن يُمحيا من الذاكرة الجمعية العراقية. في الأول إعلانٌ لسقوط الدولة، وفي الثاني دعوةٌ إلى استعادة هيبتها. أسباب السقوط المدوّي لمدينة الموصل بيد «تنظيم داعش» محلية وإقليمية ودولية، وتراكمية منذ اجتياح الولايات المتحدة وحلفائها البلاد عام 2003. دوافع فتوى «الجهاد الدفاعي» أيضاً، وتأسيس «الحشد الشعبي» لاحقاً، كثيرةٌ كذلك. صحيحٌ أن العراقيين قضوا على أكثر التنظيمات تطرّفاً، إلا أن عوامل عودته لا تزال قائمة، بدءاً بالفساد المستشري في مؤسسات الدولة، وافتقاد الثقة بها لعجزها عن النهوض بنفسها، وهشاشة الواقع الأمني، وارتخاء العملية السياسية، وصولاً إلى استمرار تخييم شبح التقسيم الذي زرع الاحتلال بذوره في «دستور المكوّنات» الطائفية والعرقية. وإذا ما أضيف إلى ذلك، استمرار سعي بعض النخب إلى مشاريعها الخاصة، بالتعاون مع أطراف إقليمية أو دولية، يصبح السؤال عن إمكانية انبعاث الإرهاب أكثر من مشروع. في السنوية الخامسة لـ«زلزال» الموصل، وما أعقبه من «فتوى» استُسنت لـ«الحشد الشعبي»، تنشر «الأخبار» مجموعة تقارير ومقالات تستعرض وقائع تُكشف للمرة الأولى، وتشرّح بعضاً من جوانب الحدث، وتحاول استشراف مستقبل التوحش في بلاد الرافدين

(الأخبار)

ما وراء الظاهرة «الداعشية»: الفشل في بناء مؤسسات الدولة... أولاً

ما زالت القراءات التي تتناول ظاهرة «داعش» تُغلّب الأبعاد الأمنية أو الطائفية على تلك السياسية في محاولات فهمها. زيد العلي، الخبير العراقي في القانون الدستوري المقارن والباحث في شؤون العراق، يقدم لـ«الأخبار» مقاربة تلقي الضوء على مركزية البعد السياسي، المتمثل في فشل النخب السياسية التي تحكم العراق منذ الاحتلال الأميركي في إعادة بناء الدولة ومؤسساتها، وبالتالي في صعود هذه الظاهرة. والعلي، الذي كان مستشاراً قانونياً للأمم المتحدة في العراق بين عامَي 2005 و2010، كتاب مهم بعنوان «الصراع على مستقبل العراق» صدر باللغة الإنكليزية، وعشرات الدراسات والمقالات

وليد شرارة

«الوضع شديد الغموض والتعقيد». هذا ما يصف به الباحث العراقي، زيد العلي، الحالة العراقية الراهنة، في ظلّ المخاوف من انبعاث تنظيم «داعش» أو غيره من التنظيمات الإرهابية. يرى العلي أنه لا يمكن الجزم بحتمية تحقق هذا الاحتمال، لكنه يشدّد على أن عوامل عديدة ملائمة لذلك الانبعاث لا تزال قائمة، على رأسها «الضعف البنيوي الشديد لمؤسسات الدولة العراقية، كالقضاء وأجهزة الشرطة والاستخبارات... نتيجة للفساد وللمنافسة بين الأحزاب وبين الميليشيات وبين دول الجوار»، مضيفاً أنه «قد تكون بعض التغييرات طرأت هنا أو هناك لكنها طفيفة جداً». ينبّه العلي إلى أن «بعض التحليلات، التي تتبنّى المنظور الطائفي، تركز على أن سياسات التمييز والقمع والتعذيب والاغتيال معتمَدة حصراً بحق المناطق السنية، والواقع أنها تشمل عدة مناطق أخرى»، لافتاً في هذا الإطار إلى «سوء الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والإنسانية في البصرة، التي تعرّض مئة ألف طفل فيها للتسمّم بسبب تلوث المياه، والتي تواجه أيضاً انقطاعاً شبه كامل للتيار الكهربائي. وقد ووجهت التظاهرات فيها بإطلاق النار، ووقع بعدها العديد من الاغتيالات، تحدث الإعلام عن بعضها، ولم يتمّ تناول تلك التي وقعت بعد انتهاء الاحتجاجات».

وعليه، يطرح سؤال عن أسباب نمو الظاهرة الإرهابية في المناطق «السنية» تحديداً، وغياب التمرد المسلح ضدّ الدولة في المناطق «الشيعية». يشدد العلي، عند مقاربة هذا الموضوع، على ضرورة «التمييز بداية بين القطاع الأوسع من المجتمع العراقي من جهة، والنخبة السياسية من جهة أخرى. القطاع الأوسع من المجتمع في المناطق الشيعية والسنية لا يعبر اهتماماً للمسألة الطائفية. لقد اعتبر البعض أن المناطق السنية بغالبيتها أيّدت داعش، وشاركت في عملياته لأنها تريد عودة نخب سنية لحكم العراق، والخلاص من سيطرة الأحزاب الشيعية. هذه السردية لا علاقة لها البتة بما تقوله الغالبية العظمى من الناس، من مختلف الفئات الاجتماعية، في الموصل وصلاح الدين والأنبار. منذ عام 2003، التقيت بآلاف الأشخاص في أرجاء هذه المناطق. العراقيون بصورة عامة، في هذه المناطق وفي غيرها، يميزون بين الشعب وبين النخبة السياسية والعسكرية والأمنية». يضيف العلي، تالياً، أن «العراق محكوم من قبَل نُخب فاسدة ومجموعات من أصحاب الرساميل، من خلفيات مختلفة، شيعية وسنية وكردية، وكذلك بينهم العلماني وحتى الملحد. أطراف هذه النخبة يتنازعون للحصول على حصص أكبر من السلطة ومن ثروات العراق. وإذا احسّ أحد هؤلاء الأطراف بأنه لم يحصل على النسبة التي يستحق، لا يتورع عن استخدام الطائفية للوصول إلى مبتغاه. قسم من هؤلاء الأطراف اندرج في مخططات إقليمية ودولية، وشارك في عمليات تمرد ضد الحكومة في بغداد، انطلاقاً من الحسابات المذكورة. أما الحكومة في بغداد، فهي ليست مضطرة إلى تشكيل مجموعات مسلحة لتحقيق غاياتها، لأن لديها ما يكفي من القوة والقدرة على استخدام العنف عبر سيطرتها على الشرطة والجيش. تتنازع النخب على السلطة والثروة، والشعب هو الذي يدفع الثمن».

ولكن ماذا عن الخلفيات الاقتصادية والاجتماعية؟ يلفت العلي إلى أن «الفقر يتزايد باطراد في العراق، ولا وجود لفرص العمل بالنسبة إلى أعداد ضخمة من الشباب (سنوياً، يبلغ نحو 200000 عراقي سن الرشد)»، مضيفاً أن «هناك أيضاً مسألة في غاية الخطورة، وهي التغيّر البيئي، إضافة إلى عدم وجود كهرباء في الكثير من المناطق الزراعية، وتهريب كميات ضخمة من المنتجات الزراعية من خارج العراق إليه بسبب عدم ضبط الحدود، (كلها عوامل) ضاعفت من صعوبة ظروف عيش الفلاحين». ويتابع العلي إلى أن «هذه الظروف ما زالت موجودة اليوم، بل هي زادت سوءاً لأن التغير البيئي في العراق يتعاظم، فمستويات المياه تنخفض نتيجة للسدود التركية. وإذا أضفنا إلى ذلك ارتفاع درجات الحرارة الكبير (50 درجة في حزيران)، وانقطاع الكهرباء (في محافظة كربلاء مثلاً يتوافر التيار لمدة ثلاث أو أربع ساعات يومياً)، نصل الى استنتاج أن البنية التحتية في العراق متداعية وخدمات الدولة غير متوافرة». وعليه، فإن «الفشل في بناء مؤسسات الدولة، قبل أي اعتبارات أخرى، هو الذي يفسر نمو هذه المجموعات. المواطن العراقي العادي لا يأبه للهوية الطائفية لرئيس وزرائه. ما يهمه هو تحسّن الأوضاع الأمنية والاقتصادية والخدماتية في بلاده».

> **المواطن العراقي العادي لا يأبه للهوية الطائفية لرئيس وزرائه**

من ذلك الواقع، يرى أن «الدواعش، الذين لديهم شبكات محلية، فهموا الأوضاع في المناطق الزراعية، وسعوا لاستقطاب الناس فيها، وشجّعوهم على التحول إلى مقاتلين ليسيطروا في ما بعد على المدن. لقد لاحظنا في تكريت والموصل مثلاً، بعد سيطرة داعش عليهما، أن لهجات المسلحين العراقيين ريفية». يضيف أنه «قبل سيطرتهم على المدن عام 2014، كانوا ينتظرون العواصف الرملية التي تضرب المدن والمناطق الريفية التي لديها تأثير كبير على أوضاع الناس، وحتى على قدرتهم على التنفس. أهل المدن لديهم عادة وسائل لمواجهة مثل هذا الظرف ولعلاج أنفسهم على عكس أهل الريف. كان الدواعش يأتون إلى الريف لمحاولة كسب المؤيدين، ولدينا عدد كبير من الشهادات التي تفيد بذلك». ينبّه العلي إلى أن «هذه الظروف ما زالت موجودة اليوم، بل هي زادت سوءاً لأن التغير البيئي في العراق يتعاظم، فمستويات المياه تنخفض نتيجة للسدود التركية. وإذا أضفنا إلى ذلك ارتفاع درجات الحرارة الكبير (50 درجة في حزيران)، وانقطاع الكهرباء (في محافظة كربلاء مثلاً يتوافر التيار لمدة ثلاث أو أربع ساعات يومياً)، نصل الى استنتاج أن البنية التحتية في العراق متداعية وخدمات الدولة غير متوافرة». وعليه، فإن «الفشل في بناء مؤسسات الدولة، قبل أي اعتبارات أخرى، هو الذي يفسر نمو هذه المجموعات. المواطن العراقي العادي لا يأبه للهوية الطائفية لرئيس وزرائه. ما يهمه هو تحسّن الأوضاع الأمنية والاقتصادية والخدماتية في بلاده».

الفقر يتزايد باطراد في العراق، ولا وجود لفرص العمل بالنسبة إلى أعداد ضخمة من الشباب (أ ف ب)

«الحشد» في ذكراه الخامسة: كيف تبقى خارج «اللعبة»؟

نور أيوب

ثلاثة أيام فقط، بين الـ 10 من حزيران/ يونيو 2014 والـ 13 منه، هي التي فصلت سقوط مدينة الموصل، عاصمة الشمال، بيد تنظيم «داعش»، عن التطور الذي أطلق صافرة البدء لانتظام عدد كبير من الشباب في إطار مسلّح، ستكون له لاحقاً اليد الطولى في هزم التنظيم، ومنعه من السيطرة على بلاد الرافدين. دعوة «المرجعية الدينية العليا» (آية الله علي السيستاني)، العراقيين، إلى «الجهاد الدفاعي» صوناً لـ«الوطن والمقدسات والحرمات»، كان لها الدور الأبرز في دفع الآلاف نحو معسكرات التدريب، التي ولدت من رحمها لاحقاً «هيئة الحشد الشعبي». هذه الهيئة، التي باتت لها كتلة ممثّلة داخل البرلمان العراقي، تبدو اليوم محلّ تساؤلات، في ظلّ المعضلات الكبيرة التي يمور بها الواقع العراقي، والتي لا يظهر أن ثمة أحداً محصّن إزاءها.

لعلّ ذلك هو ما أرادت المرجعية التنبيه إليه، في خطبتها أمس بمناسبة الذكرى السنوية الخامسة لتأسيس «الحشد»، إذ أشارت إلى أن «الخلاف دبّ مجدّداً في صفوف الأطراف الماسكة لزمام الأمور... بين قوى تريد الحفاظ على مواقعها السابقة، وقوى أخرى برزت خلال الحرب مع داعش تسعى إلى تكريس حضورها والحصول على مكتسبات معينة»، في تلميح إلى الذراع السياسية لـ«الحشد». وأضافت «المرجعية»، بلهجة حادّة، إن «التكالب على المناصب والمواقع لا يزال قائماً، والخلافات التنظيمية، جميعها عوامل تعوّق أي إمكانية أو قابلية للإصلاح. قوة «الحشد»، التي يربو عديدها على 130 ألفاً، وإن كانت تحت مظلّة جامعة هي «فتوى المرجعية»، إلا أن خلافات في الاستراتيجيا والتكتيك تعتريها. يرى مصدر قيادي رفيع في «الحشد» أن المشكلة تكمن في بعض القيادات الرافضة لأي نقد أو عمل مشترك، فهي تعتقد أن «تشخيصها هو الأدق، ومعالجتها هي الأصحّ»، عدا عن «حديث المنافع، والاستفادة من المواقع في المؤسسة الجديدة، والانتقال من حال إلى آخر»، وفي هذا الجانب تحديداً تُدور الكثير من الشبهات.

تضاف إلى ما تقدم خلافات متصلة بالولاء والانتماء، انعكست، إبان المعارك ضد «داعش»، تباينات في رسم الخطط العسكرية وفي أساليب إدارة المؤسسة، وصعّبت مهمة حصر هذا الجمع الشبابي الهائل ضمن نسق تحالف واحد مع أبرز معارضيهم، ومقتضيات لعبة المحاصصة، والخلافات التنظيمية، جميعها عوامل تعوّق أي إمكانية أو قابلية للإصلاح. قوة «الحشد»، التي يربو عديدها على 130 ألفاً، وإن كانت تحت مظلّة جامعة هي «فتوى المرجعية»، إلا أن خلافات في الاستراتيجيا والتكتيك تعتريها. يرى مصدر قيادي رفيع في «الحشد» أن المشكلة تكمن في بعض القيادات الرافضة لأي نقد أو عمل مشترك، فهي تعتقد أن «تشخيصها هو الأدق، ومعالجتها هي الأصحّ»، عدا عن «حديث المنافع، والاستفادة من المواقع في المؤسسة الجديدة، والانتقال من حال إلى آخر»، وفي هذا الجانب تحديداً تُدور الكثير من الشبهات.

> **تقرّر أن يكون العام الجاري عام «الانضباط» والالتزام بالقوانين المرعية الإجراء**

وتأتي هذه التحذيرات بعدما وُضعت آمال على «المجاهدين» في رفع لواء الإصلاح، على الضفة المقابلة لمعظم القوى السياسية الضالعة في الفساد. لكن الاعتبارات السياسية، التي تجلّت بوضوح في أن ممثلي «الحشد» البرلمانيين ينضوون تحت لواء واحد، عقيدةً وعملاً، ومن ثم العمل وفق مبدأ تحويل «التهديد إلى فرصة». كان ثمة تمايز واضح بين «حشد الولاية» (مقلّدو «حوزة قم»)، و«حشد المرجعية» (مقلّدو «حوزة النجف»)، و«الحشد العشائري»، و«سرايا السلام» (التابعة لـ«التيار الصدري») التي فضّلت الاحتفاظ بخصوصيتها، مع مراعاة الانتماء إلى المؤسسة العامة لـ«الحشد». وعلى رغم أن هذه الاختلافات تم حصرها حالياً في إطار ضيّق، إلا أنها لا تزال قائمة في بعض وجوهها. مع ذلك، لا يزال العمل قائماً على تطوير المؤسسة وهيكلتها، ومن أجل هذا تقرّر أن يكون العام الجاري عام «الانضباط» والالتزام بالقوانين المرعية الإجراء.

قوة «الحشد» يربو عديدها على 130 ألفاً (أ ف ب)

على الموقع:
«زلزال الموصل»: الرواية الثانية وثيقة | ساعات ما قبل «الزلزال»!

مقالة

دستور «دولة المكوّنات» ترسيخ الطائفية... وزرع بذور التقسيم

علاء اللامي *

بعد عامين تقريباً على الاجتياح الأميركي للعراق، بدأت عملية كتابة الدستور العراقي النافذ من قبل لجنة أُطلق عليها «لجنة كتابة الدستور». ففي 8 نيسان/ أبريل 2005، شَكَّلت «الجمعية الوطنية الانتقالية»، التي أشرف على هندستها الحاكم المدني الأميركي بول بريمر، تلك اللجنة من 55 عضواً على أساس المحاصصة الطائفية والقومية، بواقع 28 عضواً من الشيعة، و15 عضواً من الكرد، و8 أعضاء من العرب السُنّة، وما تبقى خُصّص للأقليات الصغيرة. ترأس اللجنة همام حمودي، وهو رجل دين شيعي يحمل شهادة البكالوريوس في علم النفس. وقد تقرّر لاحقاً إضافة 15 عضواً من ساسة العرب السُنّة إليها، بعد احتجاجهم على الإجحاف الذي لحق بهم في هذه المحاصصة، من دون أن يكون للأعضاء المضافين حق التصويت. كان أعضاء اللجنة من الساسة الحزبيين والشخصيات التي أيّدت الاحتلال، ودخلت غالبيتها العراق بعد سقوط النظام السابق.

قبل تشكيلها، كانت سلطات الاحتلال قد وضعت قيد التطبيق وثيقة تدعى «قانون إدارة الدولة العراقية للمرحلة الانتقالية»، والتي ستعتبر لاحقاً - ضمن وثائق أخرى - أرضيةً ومرجعاً لمسودة الدستور العراقي الجديد. لم يُعرف مِن بين أعضاء «لجنة كتابة الدستور» من كان له إلمامٌ بالفقه الدستوري والشؤون القانونية، باستثناء عضوين أُضيفا لاحقاً إلى «حصة» العرب السُنّة في اللجنة، وهما الأستاذان الجامعيان والقانونيان ضامن العبيدي ومجيل الشيخ عيسى، وقد تم اغتيالهما بعد خلافات حادة في اللجنة حول موضوع الأقاليم والدولة الاتحادية، والتي كان الساسة الكرد يصرّون عليها إصراراً منقطع النظير. اعتمد الساسة الكرد على الخبير الأميركي النافذ، بيتر غالبريث، لإمرار مواد دستورية تحقق أهدافهم المعلنة وغير المعلنة (راجع «الأخبار»، عدد 1999). ولعلّ أخطر مادة دستورية تَمكّن غالبريث من إمرارها هي المادة 115، والتي يمكن اعتبارها مفتاح تفتيت العراق، وهذا نصّها: «كل ما لم ينصّ عليه الدستور في الاختصاصات الحصرية للسلطات الاتحادية، يكون من صلاحية الأقاليم والمحافظات غير المنتظمة في إقليم، والصلاحيات الأخرى المشتركة بين الحكومة الاتحادية والأقاليم تكون الأولوية فيها لقانون الأقاليم والمحافظات غير المنتظمة في إقليم في حالة الخلاف بينهما». هذه المادة لم تكن واردة أصلاً في مطالب الزعامات الكردية، بل وضع بذرتها هذا الخبير الأميركي حين أقنع الزعماء الكرد بأن يعتمدوا معادلة دستورية معاكسة لما هو معهود دستورياً مفادها: ليست بغداد الاتحادية هي من تمنحهم الصلاحيات، بل هم من يطرحون الصلاحيات على بغداد، فإن حدث خلافٌ كان الحق لهم وليس لبغداد بموجب نص دستوري.

وإذا أضفنا إلى ما تقدم المواد العديدة الخاصة بتسهيل تشكيل الإقليم من محافظة واحدة أو أكثر، إضافة إلى المادة الخاصّة بشروط تعديل الدستور، والتي تجعل التعديل أقرب إلى المحال، تكون الدائرة قد أُغلقت تماماً، وأصبح تقسيم العراق مسألة وقت لا أكثر. لقد ثبّتت الساسة الكرد، عبر وكيلهم غالبريث، وبدعم من سلطات الاحتلال وقانونها المؤقت، ما بات يعرَف بـ«فيتو المحافظات الثلاث»، والذي بموجبه يسقط أي تعديل دستوري إذا رفضه الناخبون في ثلاث محافظات خلال استفتاء شعبي عليه. كل هذا يعني بوضوح أن الزعامة الكردية باتت تمارس ما يمكن أن نسمّيه «الدكتاتورية الدستورية» ضد محافظات العراق العربية الأربع عشرة الأخرى، وكركوك المختلطة، باسم محافظات «كردستان» الثلاث: أربيل والسليمانية ودهوك. ولم يكن تحقيق ذلك ممكناً لولا تواطؤ الزعامة الإسلامية الشيعية المتحالفة مع الزعامات الكردية لتهميش غريمها الطائفي المقابل «العربي السُنّي». كذلك ساعد الموقف المتقلّب الذي اتخذته قيادة «الإخوان المسلمين» (الحزب الإسلامي) على إمرار الدستور خلال الاستفتاء، حين طلبت من جمهورها التصويت لمصلحة الدستور في الساعات الأخيرة.

لقد تمّ تسهيل عملية تشكيل الأقاليم بموجب الدستور العراقي بشكل مقصود ومفضوح. فقد نصت المادة 119 على الآتي: «يحق لكل محافظة أو أكثر تكوين إقليم بناءً على طلبٍ بالاستفتاء عليه، يُقدَّم بإحدى طريقتين: أولاً، طلب من ثُلث الأعضاء في كل مجلس من مجالس المحافظات التي تروم تكوين الإقليم. ثانياً، طلب من عُشر الناخبين في كل محافظة من المحافظات التي تروم تكوين الإقليم»، ثم يحسم الأمر باستفتاء شعبي يكفي الفوز فيه بالأغلبية البسيطة ليتشكل الإقليم رسمياً. ويتمتع الإقليم عند قيامه بصلاحيات دولة شبه مستقلة منها: 1- وضع دستور للإقليم/ المادة 120. 2- ممارسة سلطات التشريع والتنفيذ والقضاء/ المادة 121، أولاً، وسلطة تعديل تطبيق القوانين الاتحادية/ المادة 121، ثانياً. وهناك مواد أخرى تؤكد السياق التفتيتي والتقسيمي للدولة العراقية. كذلك نجح واضعو هذا الدستور في التلاعب بهوية العراق الحضارية العربية، إذ تم اعتباره بلداً «متعدد القوميات والأديان والمذاهب، وهو عضو مؤسّس وفعّال في الجامعة العربية» (مادة 3). وهذه هي المرة الأولى في التاريخ العالمي التي يتم فيها شطب هوية شعب وبلد، لأن غالبيتها لا تتجاوز نسبتها كلها 15% من مجموع السكان.

المحاصصة

أما المحاصصة الطائفية وإقامة دولة الطوائف، فالواقع أن الدستور خلا من أي مادة تَرد فيها كلمة «الطائفة» ومشتقاتها، ولكن استُبدلت بها كلمة أخرى لها المعنى نفسه، وهي «المكوّن» ومشتقاتها. كما لم تَرد في مواده عبارة «محاصصة طائفية»، بل استخدمت عبارات أكثر أناقة من قبيل «توازن المكوّنات». لم يكن ذلك كرهاً بكلمة «الطائفة» أو خجلاً منها، بل لأن كلمة «مكوّن» أدق تعبيراً، فالكرد لا يعتبرون أنفسهم طائفة بل قومية، على رغم أن غالبيتهم من المسلمين السُنّة! كذلك، ذُكرت القضية المتعلقة بـ«المكوّنات»، وضرورة ضمان توازنها عبر حكم المحاصصة، سبع مرات في الدستور الاحتلالي: مرتين في ديباجة الدستور، وهي ديباجة تقطُر طائفية صريحة، وخمس مرات في مواد دستورية تأسيسية منها المادة «12» الخاصّة بعلَم الدولة وشعارها ونشيدها الوطني، وهي رموز سيادية «يجب أن ترمز إلى مكونات الشعب» كما يقول الدستور الاحتلالي، فضلاً عن المواد: (9/ أولاً)، و(12/ أولاً)، و(49/ أولاً)، و(125) و(142/ أولاً). لقد أثبتت تجارب الشعوب طوال التاريخ أنه لا يمكن لممثلي طائفة واحدة، حتى لو كانت تشكل أكثر من نصف عدد السكان، كما هي الحال في العراق، أن تحكم أو تهيمن على الحكم بأحزابها ذات الصبغة والبرامج الطائفية الدينية؛ لأنها ستنتج، لا محالة، بنية فوقية وآليات حكم وأيديولوجية دولة طائفية على شاكلتها، وتنتج أيضاً نقيضها الطائفي المقابل. وها نحن نشهد كيف تحوّل العراق من مجتمع تعددي ومتنوع إلى بلد طارد للتنوع والتعدد المكوّناتي، ونابذ لجميع الأقليات القومية والدينية الصغيرة على رغم الكلام الإنشائي الجميل الذي يلهو به زعماء الطوائف. وحتى الطائفة الثانية في البلاد، أي «العرب السُنّة»، بدأ الكثيرون منهم يفقدون الأمل في الحياة الطبيعية، ويتركون البلاد السائرة نحو الوحدانية الطائفية.

نقطة أخرى مهمة، تلعب دوراً مشجعاً على تعميم المطالبة بتحويل المحافظات إلى أقاليم، وتتمثل في المكاسب المادية والسياسية الهائلة التي حصلت وتحصل عليها زعامة الإقليم الكردي، واستجابت حكومات بغداد لها من دون نقاش. إن إنهاء هذه الطريقة في التعامل بين بغداد وأربيل ستزيل هذا الحافز التقسيمي القوي الذي يدفع المواطنين والزعامات السياسية في المحافظات إلى المطالبة بالأقلمة. ولكن الحل الحقيقي والجذري ليس هنا فقط، بل في إطفاء فتائل التقسيم والقنابل الموقوتة الكثيرة الأخرى في الدستور الاحتلالي، وإعادة كتابته من قِبَل مؤتمر تأسيسي في عراق مستقل ومتحرر من القوات العسكرية الأجنبية، خصوصاً أن شعار «المؤتمر التأسيسي» ليس جديداً في المشهد السياسي العراقي، فقد رفعته قوى وشخصيات وطنية بعد أيام قليلة من الاحتلال الأميركي، وقد منحه ويمنحه الواقع صدقية ونجاعة يوماً بعد آخر.

* كاتب عراقي

السودان

تراوح الوساطة الافريقية، التي يقودها رئيس الوزراء الإثيوبي بدعم أميركي، مكانها، في ظلّ تعنت المجلس العسكري، ورفضه الاستجابة لأي من شروط «الحرية والتغيير» للتفاوض، على رغم مبادرة الأخيرة في إنهاء العصيان المدني

الوساطة الأفريقية تراوح مكانها
العسكر يرفض شروط التفاوض

لم يقدم الوسطاء ضمانات بقبول المجلس شروط المحتجين للتفاوض (الأناضول)

على رغم تسيّد مناخ المفاوضات بين المجلس العسكري وتحالف قوى «إعلان الحرية والتغيير» المشهد، بعد تعليق العصيان المدني الشامل، في إطار وساطة إثيوبية مدعومة أميركياً، إلا أن الأجواء لا تبدو مهيأة بعد للجلوس حول الطاولة، في ظلّ برودة بين الطرفين، تُبقي الاستجابة للآخر محصورة عبر الوسطاء. وفيما ينتظر المجلس ردّ رئيس الوزراء الإثيوبي، أبي أحمد (الذي يقود الوساطة)، على طلب الدعوة إلى استئناف التفاوض اليوم السبت (خلال 24 ساعة)، بحسب ما أعلن المتحدث باسم المجلس، شمس الدين كباشي، مساء أول من أمس، لم تعلن قوى «الحرية والتغيير» أمس موقفاً صريحاً في هذا الشأن، مكتفية بتأكيد تمسكها بسيادة السلطة المدنية في الفترة الانتقالية.

إزاء ذلك، ثمة اتجاهان يبدو أن العسكر ماض فيهما: الأول، محاولته الالتفاف على شروط قوى «الحرية والتغيير» التي أعلنتها عقب الجلسة الأولى في الخرطوم، من خلال اعتقال بعض العسكريين الضالعين في مهاجمة المعتصمين، بدلاً من الإقرار بأنه هو من أمر بفضّ الاعتصام، ومن ثمّ إطلاق سراح بعض قيادات قوى «الحرية والتغيير» وترحيلهم إلى جنوب السودان، عوضاً عن إطلاق جميع المعتقلين السياسيين، وتبرير ذلك بأنه تمّ على خلفية صدور حكم ضد القيادي في «الحركة الشعبية لتحرير السودان ـ قطاع الشمال»، ياسر عرمان، بالإعدام، فضلاً عن تجاهل مطلب التحقيق في مجزرة فضّ الاعتصام أمام وزارة الدفاع، والاكتفاء بتشكيل لجنة غير موثوق بها من قِبَل قادة الحراك الشعبي، بالإضافة إلى الإبقاء على المظاهر العسكرية واستمرار الحظر على خدمة الإنترنت.

أما الاتجاه الثاني، فيتمثل في اتهام فصيل في التحالف المعارض بالضلوع في محاولة انقلاب من أصل محاولتين أعلن عنهما أول من أمس، واتُخذت في إطارهما إجراءات وتوقيفات لـ 19 ضابطاً موزعين على مجموعتين (كانت مصادر إعلامية كشفت عن أنهم 68 ضابطاً من الإسلاميين). هذا الاتهام، الذي يستهدف تشتيت التحالف المعارض، استنكرته قوى «الحرية والتغيير»، مؤكدةً استمرارها في «وسائل عملها الجماهيرية بالاستناد إلى قوة الشعب»، بعدما كانت قد لوّحت بخيار العودة إلى العصيان في حال عدم الاتفاق مع المجلس على باقي الملفات في شأن المرحلة الانتقالية، وهي «المجلس السيادي» ومجلس الوزراء.

> اتهم المجلس العسكري بعض قادة الحراك بالضلوع في «محاولة انقلاب»

وبينما تحدث المبعوث الأفريقي إلى السودان عن تقدم في المساعي الرامية إلى استئناف المفاوضات، قال القيادي في قوى «الحرية والتغيير»، طارق عبد المجيد، إن وسطاء الاتحاد لم يقدموا أي ضمانات بقبول المجلس شروط المحتجين للعودة إلى التفاوض، على رغم أن الحراك الأميركي، الداعم للوساطة، يضغط على العسكر لـ«وقف الهجمات على المدنيين، وسحب الجيش من الخرطوم، والسماح بتحقيق مستقل... ووقف قمع حرية التعبير والإنترنت»، وفق ما دعا إليه مساعد وزير الخارجية الأميركي للشؤون الأفريقية في الخرطوم، تيبور ناجي، أثناء لقائه رئيس المجلس، عبد الفتاح البرهان، أول من أمس. لكن «العسكري» لا يبدو مستعداً لتنفيذ هذه الشروط، بحسب ما لمح إليه كباشي في تعليقه على اللقاء، حيث قال إن «الولايات المتحدة قدمت لنا عدداً من النصائح، لكنها ليست أوامر»، مؤكداً رفض العسكر إجراء تحقيق دولي، وأن الخرطوم لن تخضع لأي ابتزاز سياسي أو ضغوط إقليمية ودولية مهما كانت. وهو ما أعقبه تأكيد رئيس الأركان المشتركة للقوات المسلحة، الفريق أول هاشم عبد المطلب، أن «لا نية للجنة الأمنية أو القوات المسلحة لإخراج قوات الدعم السريع من الخرطوم باعتبارها قوات قومية».

تقرير

أسانج: 175 عامًا من حياتي على المحكّ

أرجأ القضاء البريطاني جلسة الاستماع الخاصة بالنظر في إمكانية تسليم مؤسّس «ويكيليكس»، جوليان أسانج، إلى الولايات المتحدة، حتى 25 شباط/ فبراير 2020، على أن تستغرق خمسة أيام على الأقلّ.

جاء هذا القرار في جلسة عقدتها، يوم أمس، محكمة ويستمنستر الجزئية برئاسة القاضية إيما أربوثنوت، وشارك فيها أسانج عبر اتصال الدائرة المغلقة من القسم الطبي في سجن بلمارش جنوب شرق لندن، بسبب تدهور وضعه الصحي منذ اعتقاله في نيسان/ أبريل الماضي. وأكّد أمام قضاة المحكمة أنه يعتزم مواجهة الطلب الأميركي، قائلاً: «175 عاماً من حياتي على المحكّ»، في إشارة إلى العقوبة المحتملة التي قد يواجهها في أميركا. وتتهمه الأخيرة بانتهاك قانون التجسّس الأميركي، و«التآمر» لاختراق شبكة كومبيوتر حكومية. ومدافعاً عن موقع «ويكيليكس» ضدّ مزاعم القرصنة، قال أسانج: «ويكيليكس ليس سوى أداة للنشر».

وحضر الجلسة أيضاً الممثل عن الحكومة الأميركية، بن براندون، الذي اعتبر أن القضية تتعلّق بأضخم تسريب للمعلومات السرية في تاريخ الولايات المتحدة، زاعماً أن الأدلة ستُظهر أن أسانج «شجّع أولاً» المحلّلة السابقة في الاستخبارات الأميركية، تشيلسي مانينغ، على الحصول على الوثائق بشكل غير قانوني، ثم اتفقا معاً على «كسر» كلمة المرور الخاصة بجهاز كومبيوتر تابع لوزارة الدفاع (البنتاغون). ورأى براندون أنه من خلال نشر «هذه المواد غير المقيّدة على شبكة الإنترنت، خلق أسانج خطراً كبيراً ووشيكاً سيعرّض مصادر الاستخبارات البشرية، بما في ذلك الصحافيون والمدافعون عن حقوق الإنسان والناشطون السياسيون، لأذى بدنيّ خطير أو اعتقال تعسّفي».

(الأخبار)

شارك أسانج، في الجلسة عبر اتصال الدائرة المغلقة من القسم الطبي في سجن بلمارش (أ ف ب)

المقابلة

من خلف الطلاقيّات المحفورة بالبوابات الحديدية البيضاء، اقتنص حارس السفارة الفلسطينية، أمس، النظر إلى الطريف العام، ليُعاين الزوّار. في الداخل، عضو اللجنة المركزية لحركة فتح، والمشرف العام على الساحة اللبنانية الوزير عزام الأحمد، عائداً لتوّه من لقاء الرئيس ميشال عون، ليكمل بعد ساعة لقاءاته اللبنانية، بزيارة الرئيس سعد الحريري برفقة السفير الفلسطيني في بيروت أشرف دبّور. «الأخبار» التقت الأحمد في حوارٍ سريع، تناول «صفقة القرن» والمصالحة

عزّام الأحمد
نحن في حِلٍّ من أوسلو...
والمشاركون في صفقة القرن خونة

أجراها **فراس الشوفي**

■ متى تعلنون رسمياً نهاية اتفاق أوسلو؟

مراراً وتكراراً أكّدنا أن قصة أوسلو سقطت. عندما انتهت فترة «الحكم الذاتي» ولم ننتقل بسبب موقف إسرائيل إلى «مفاوضات الحل النهائي». وعندها، حدثت انتفاضة الأقصى، وتصدى الرئيس الشهيد أبو عمار (ياسر عرفات) بصلابة غير عادية. ردّ على من أعطاه مهلة عشر دقائق للاستسلام: شهيداً شهيداً شهيداً، وبقي محاصراً لثلاث سنوات وقتلوه بالسم. أيضاً، عندما ذهبنا إلى الأمم المتحدة بعد فشل إحياء كل المفاوضات. وهنا، يجب أن أذكّر بالمواجهات العسكرية منذ قيام السلطة حتى الآن. منذ خروجنا من لبنان في 1982 حتى قيام السلطة، لم يسقط عُشر الشهداء الذين سقطوا بعد قيام السلطة، وأجهزة السلطة اصطدمت بالاحتلال مرات كثيرة، وسقط منها شهداء كثر وأكثر من ألف أسير حتى الآن.

■ لكن، لنكن واقعيين. المشهد مع الرئيس عبّاس مغاير. ما رأيك؟

لا ليس مغايراً. عندما ذهبنا إلى الأمم المتحدة في 2012 أطلقوا عليه لقب الإرهابي الدبلوماسي.

■ والتنسيق الأمني؟

هذا الموضوع يحتاج إلى شرح سنتحدث عنه لاحقاً. لكن أنا أقول لك لا تنسيق كما تعتقدون. لأكمل فكرتي: في 2012 أصبحنا عضواً مراقباً في الأمم المتحدة، ومن وقتها، نزعنا كل لافتة في مؤسسات السلطة، في الوزارات، في المؤسسات، عبارة السلطة شطبناها، ونخاطب العالم بالرسائل، ورسائل أبو مازن باسم دولة فلسطين ومنظمة التحرير.

■ لماذا إذاً لا يتمّ إعلان دولة فلسطين؟ وهناك القرار 67/19؟

نص القرار قال «دولة تحت الاحتلال»، نحن أعلنّا أننا دولة، والمجلس الوطني الفلسطيني أكد على انتخاب أبو مازن رئيساً لدولة فلسطين. لكن لنكن صريحين، مثلاً حاولنا تغيير جواز سفر السلطة لأنه جزء من أوسلو. أشقاؤنا العرب لم يقبلوا التعامل إلا مع الجواز القائم! «ما فيش حدا معترف فيه، لمين بدنا نعمله؟». للأسف، جواز الاستخدام الخارجي الفلسطيني، أوروبا تسمح بالتعامل معه وأميركا أيضاً، إلّا العرب لا يقبلون.

■ لكن الفلسطينيين يحتاجون على الأقل الى أن يسمعوا من أبو مازن إعلان سقوط أوسلو وقيام دولة فلسطينية. لماذا لا تفعلون ذلك؟

نحن في حِلٍّ كامل من أوسلو. ولكن ما لا نستطيع فعله نتمنى على أشقائنا أن يساعدونا عليه، لا نريد ألستكم، نريد سيوفكم.

■ والتنسيق الأمني؟

ليس هناك تنسيق كما تعتقدون.

طيب، كيف نقاوم صفقة القرن؟

نحن في حرب مفتوحة مع الأميركيين. ورشة البحرين ساقطة من قبل أن تولد، وهذا الأمر قاله (مبعوث الرئيس الأميركي للسلام في الشرق الأوسط جيسون) غرينبلات. قال: أماتوها قبل أن تولد. يكفي أن كل الفلسطينيين لن يشاركوا، وكل الفصائل بلا استثناء أعلنت رفضها للصفقة. كل رجال الأعمال الفلسطينيين والشخصيات التي دعيت، أكثر من 100 شخص، لن يشارك أي منهم في ورشة البحرين، وبعضهم يحمل الجنسية الأميركية. وُجهت دعوات لثلاثة مسؤولين رسميين فلسطينيين، ونحن لن نردّ على الدعوات حتى بالاعتذار.

■ هل وُجهت دعوة إلى أبو مازن؟

لا. المدعوون هم وزراء مالية واقتصاد ورجال أعمال وخبراء. ومعلوماتي أن أميركا طرحت ورشة البحرين كبديل من طرح تفاصيل الصفقة التي كان من المفترض أن يُعلن عنها بعد عيد الفطر. إذ إن التسريبات الدقيقة التي نشرتها جريدة «إسرائيل هيوم»، وما تلاها من ردود فعل غاضبة، دفعت الأميركيين إلى التأجيل واختلاق ورشة البحرين. كان أبو عمار يقول إنه طالما قلم الرئيس الفلسطيني نيابة عن الفلسطينيين لم يوقّع، ووقّعت الكرة الأرضية، فلا قيمة لذلك. وأبو مازن ملتزم بهذا الموقف، ويقول: لن أموت خائناً. وكل واحد يشارك أو يوقّع أو يقبل بهذه الصفقة فهو خائن، وهذا ينطبق على الفلسطينيين والعرب، رسميين وغير رسميين. مؤتمر المنامة هو نقيض مبادرة السلام العربية ومقررات القمة الإسلامية الأخيرة في مكة، ولا نقبل أي تبرير، حتى من الذين قد يضطرّون إلى أن يذهبوا بسبب ظروف معيّنة بمستوى متدنٍ.

■ من تقصد؟ مصر والأردن؟

نعم. في تقديري أنهم إن شاركوا فسيشاركون بمستويات متدنّية جداً. إسرائيل نفسها إذا طُرحت الصفقة بشكل رسمي، فإنها لن تقبل ببعض جوانبها، ونحن لن نقبلها من أولها إلى آخرها. هذا كلّه من تخطيط صهر (الرئيس الأميركي دونالد) ترامب، جاريد كوشنير، وغرينبلات، والعاهر ديفيد فريدمان. قال عنه أبو مازن كلب ابن كلب، هذا الكلب تربى في بيت إيل، وهي مستوطنة تبعد 1000 متر عن بيت أبو مازن و500 متر عن مكتبي، وفيها مقر قيادة جيش الاحتلال في الضفة الغربية، في قلب رام الله. ومنذ فترة، أستقبل ابنته في المطار التي مثله تحمل جنسية إسرائيلية، وأوصلها إلى معسكر الخدمة الإلزامية في جيش الاحتلال.

■ هل هناك خطة للمواجهة الشعبية مع الصفقة؟

نعم. نحن بدأنا هذا التحرك، كلجنة تنفيذية في منظمة التحرير قررنا توسيع الفكرة، وكلّفنا الأخ عباس زكي أن ينقل فكرتنا إلى لبنان، وتم الاتفاق على تنظيم نشاطات مع المؤتمر القومي العربي على مستوى العالم العربي، المقترح أن يكون عقد المؤتمر في بيروت، وحكماً في فلسطين ستكون هناك تحركات كبيرة جداً. في الداخل، نحن لم نتوقف لحظة واحدة عن المقاومة الشعبية. قد تستغرب، في غزة رقم واحد عدد الشهداء التابعين لفتح، حوالى مئة شهيد. بعض الإعلام العربي يشوّه صورة التحركات وينكر وجود فتح، وللأسف حماس «تغرش» على التشويه حتى تظهر أنها المتصدرة.

■ هل يعقل أنه لم يصدر حتى الآن بيان مشترك عن كل الفلسطينيين يرفض الصفقة؟

هناك بيان بصدر كل يوم اثنين في رام الله، باسم القوى الوطنية والإسلامية، بمشاركة حماس والجهاد.

(هيثم الموسوي)

■ سمعنا أن الرئيس نبيه بري اقترح عقد لقاء موسّع لقادة الفصائل الفلسطينية كافة، على أن يحضر أبو مازن ورئيس المكتب السياسي في حماس إسماعيل هنيّة، وأنتم لم توافقوا. صحيح؟

صراحة، حماس تسعى إلى مثل هذا اللقاء. ومضطر الآن أن أنتقد حماس. نحن أوقفنا الاجتماعات منذ محاولة الاغتيال التي تعرض لها رئيس الوزراء الفلسطيني ومدير المخابرات العام الماضي، وهذا القرار ازداد صلابة بعد لقاء موسكو، عندما رفضوا التوقيع على أن منظمة التحرير هي الممثل للشعب الفلسطيني، وهم وقّعوا عشرات المرات في الماضي على هذا الموقف.

> 100 فلسطيني دُعوا إلى مؤتمر البحرين ولن يشارك أحد منهم حتى حملة الجوازات الأميركية

■ لكن الآن هناك ظروف صفقة القرن، ستستمرون على موقفكم؟

اليوم (أمس)، تحدثت مع مسؤولين لبنانيين بالأمر. في لبنان، وقعت حرب ومع ذلك لم تنقسم الدولة. لماذا إذاً نفصل الضفة عن غزة؟ قانونان وحكومتان وقضاءان؟! لو حماس صادقة في نياتها، كان عليها بعد صفقة القرن أن تعلن حكومة وحدة.

■ أليس الرئيس «أمّ الصبي»، أم حماس؟

أبو مازن قال لهم إنه مستعد للمصالحة. ونحن ندفع حتى الآن كل الأموال في غزة، حوالى 100 مليون دولار.

■ ولكن هناك أموال لا تدفع، وغزة تحت الحصار، وحماس لم تتأثر كثيراً. إنّما الفلسطينيون. ما رأيك؟

أتحداك أنت وحماس. الموظفون في غزة أخذوا رواتبهم، في الإدارة والتعليم، والخطوات التي أعلن عنها أبو مازن وقال إنها ضرورية لم ينفذها. إذا أردت أن أذهب بعيداً، حماس تسرق الشعب الفلسطيني في غزّة لأنها تأخذ ضرائب بشكل غير قانوني، فبعد الانقسام صدر قرار رئاسي بإعفاء أهل غزة من الضرائب. الحصار هو حصار إسرائيلي، قبل الانقسام بدأ وازداد بعد الانقسام. نحن في منظمة التحرير، للشهر الثالث على التوالي، نأخذ نصف راتب، من أبو مازن و«جزّ». المقاصة التي تحتجزها إسرائيل هي حوالى 200 مليون دولار، وقدّرت إسرائيل أموال أسر الشهداء بـ 11 مليون دولار في الداخل. وبسبب رفض إعطائنا هذه الأموال نرفض قبض الأموال الباقية ولن نقبل. هل سمعت بنيامين نتنياهو يقول «نحن ندخل أموال قطر إلى غزة حتى نضمن بقاء الانقسام وفصل غزة عن الضفة؟». هناك دول تؤيّد الانقسام الفلسطيني، وفي المقابل المقاومة اللبنانية ضد الانقسام الفلسطيني بشكل شرس، وهذا الأمر تحدّثنا به مع الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله عندما التقيناه. ما هو خلاف حماس السياسي معنا؟ ألم تعدّل حماس ميثاقها وتعترف بحدود 1967؟ مثلاً عندما حاولت أميركا وإسرائيل طرح موضوع تصنيف حماس كحركة كمنظمة إرهابية، نحن تصدّينا، ولم ننتظر حماس لتطلب منا ذلك. حماس جزء من الحركة الوطنية الفلسطينية ومكونات الشعب الفلسطيني، وفي مرحلة التحرر الوطني لا مكان للانقسام، ولا مكان للخلافة الإسلامية، نحن ضد الخلافة الإسلامية كمبدأ، لأن الوقت الآن هو وقت مواجهة الاحتلال، وليس كما يعتبر محمود الزهار أن «فلسطين كالمسواك». أريد أن أقول للإخوان في حماس ماذا ينتظرون للمصالحة؟ غداً (اليوم) ساقابل الرئيس بري، وأشرح له حول ما سألتني عنه سابقاً، أي المبادرة. والآن هناك تحرّك مصري بعيداً عن الإعلام ولن نتكلم به، اتفقنا مع المصريين على ذلك.

■ كيف هي العلاقة مع مصر؟

تحسنت كثيراً. مرحلة التباعد كانت قصيرة وانتهت.

■ ومع الأردنيين؟ سمعنا أن الملك الأردني عبد الله انزعج من تصريح أبو مازن حول الكونفدرالية.

حول قصة الكونفدرالية، حكى أبو مازن أنه بعد قيام الدولة، وهذا كان اتفاقاً قديماً بين الملك حسين وأبو عمار. الآن العلاقات ممتازة مع الأردن وننسّق في كيفية مواجهة صفقة القرن.

■ ومع سوريا؟

كنا نأمل أن تتحسن قبل حصول أحداث سوريا. لا نقبل أن تدمّر سوريا أو تقسّم، لأن دمارها دمار لفلسطين والأردن ولبنان.

■ لا تناكفون حماس إذاً في تحسين العلاقة مع دمشق؟

موقفنا كان واضحاً ضد الحرب على سوريا عندما كانت العلاقات مقطوعة. وعند بدء التحضير للحرب، أرسل أبو مازن للرئيس بشار الأسد ما لديه من معلومات لما يحضّر لسوريا، ولا أريد الخوض في التفاصيل. حتى إنه كانت لدينا علاقات مع بعض المعارضين، ونصحناهم بأن ينتبهوا لدمار سوريا، وبالفعل بعضهم حيّد نفسه. هذا مشروع بن غوريون منذ عام 1954، الذي قال إن قوة إسرائيل ليست في قنبلتها النووية، بل في تفكيك العراق ثم سوريا فمصر. وأنا شخصياً سمعت الجملة ذاتها من الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي، بأن علينا أن نلحق أنفسنا قبل أن يصل الدور إلينا، يجب أن لا تُقسّم سوريا.

■ ختاماً، ماذا عن التنسيق الأمني؟

قلت لك وأكرّر، لا تنسيق كما تعتقدون، اعذرني تأخرت على الرئيس الحريري، ونتحدث عن هذا الأمر لاحقاً.

الجزائر

لا يخفي الجزائريون ابتهاجهم بحملة الاعتقالات التي تطاول كبار السياسيين والمسؤولين ورجال الأعمال المحسوبين على الرئيس السابق عبد العزيز بوتفليقة، في إطار حملة «مكافحة الفساد» التي باشرها القضاء قبل مدة، لكن هذا الفرح يبقى مشوباً بحذر شديد، بسبب عدم الاطمئنان إلى المسار السياسي الانتقالي الذي يبقى غامضاً

ينظر المحتجّون بارتياح إلى تحرّك القضاء ضد شخصيات يتركّز حولها غضب شعبي (أ ف ب)

محاسبة رموز نظام بوتفليقة
ترحيب شعبي وتمسّك بالمطالب السياسية

الجزائر ــ محمد العيد

لم يكن يخطر على بال أحد أن يدخل رئيس الحكومة السابق، أحمد أويحيى، السجن، لكن هذا هو الذي حصل فعلاً قبل ثلاثة أيام، بعدما قرر قاضي التحقيق في المحكمة العليا إيداعه الحبس الاحتياطي، إثر توجيهه تهم فساد ثقيلة إليه. ولم يختلف مصير الوزير الأول الآخر، عبد المالك سلال، عن سابقه، فقد أودع هو الآخر قبل يومين السجن نفسه، وبالتهم ذاتها تقريباً، والتي تتلخّص في منح امتيازات غير مبررة في مجال الصفقات العمومية والعقود، وتبديد أموال عمومية، وإساءة استغلال الوظيفة، وتعارض المصالح.

> تحوّل سجن الحراش، الواقع في الضاحية الشرقية للعاصمة، إلى أشهر سجن في الجزائر

واستمرّ حبل القضاء في جرّ أسماء ثقيلة إلى السجن، على غرار الوزير السابق ورئيس «الحركة الشعبية الجزائرية»، عمارة بن يونس، في حين يُنتظر أن يلقى رئيس حزب «أمل الجزائر»، عمار غول، المصير عينه، بعد تجريده من الحصانة باعتباره سيناتوراً في مجلس الأمة. ويسجن هذه الأسماء، تكون أضلاع «التحالف الرئاسي» التي دعمت الرئيس السابق، ودعته إلى الترشح لولاية خامسة، قد أصبحت كلها تقريباً وراء القضبان، باستثناء حزب «جبهة التحرير الوطني» الذي لا يزال يتحرك علانية، مُوجِّهاً بوصلته نحو قيادة الجيش، التي بات يدعمها بقوة.

كذلك، يواجه وزراء سابقون، مثل يوسف يوسفي، وعبد الغني زعلان (آخر مدير حملة للرئيس بوتفليقة)، وعبد السلام بوشوارب الفارّ خارج الوطن، وشكيب خليل، تهماً قد تجعلهم تحت طائلة المساءلة في الأيام المقبلة. وأضيف على غير المتوقع، أول من أمس، المرشح السابق للرئاسيات، علي غديري، إلى قائمة السجناء، وهو لواء سابق في الجيش، كان قد أثار جدلاً واسعاً بترشحه قبل بدء الحراك الشعبي، وانتقاده قائد أركان الجيش، أحمد قايد صالح، قبل أن يتراجع عن ذلك بعد إطاحة الرئيس بوتفليقة. وهو اليوم متّهمٌ بتقديم معلومات حساسة إلى جهات أجنبية، ما يجعل من وضعه معقداً، وخصوصاً أن القضاء يتعامل بشدة مع هذا النوع من القضايا.

وتحوّل سجن الحراش، الواقع في الضاحية الشرقية للعاصمة، بفعل هذه النوعية من النزلاء، إلى أشهر سجن في الجزائر. فبالإضافة إلى كبار المسؤولين في الدولة، يوجد فيه حالياً أغنى أغنياء الجزائر من رجال الأعمال الذين كوّنوا ثروات طائلة في عهد الرئيس السابق، وعلى رأسهم علي حداد، الرئيس السابق لمنتدى رؤساء المؤسسات، ومحيي الدين طحكوت، صاحب شركات النقل وتركيب السيارات، والإخوة كونيناف، أكثر المقربين من شقيق الرئيس السابق، وأصحاب استثمارات كبرى في مجال الإنشاءات، فضلاً عن رجل الأعمال يسعد ربراب، صاحب أكبر ثروة في الجزائر (تُقدر بـ 3,4 مليارات دولار حسب تصنيف «فوربس»)، والذي رغم أنه كان مُحارَباً من حكومات الرئيس السابق، إلا أن ذلك لم يشفع له في دخول السجن، بعد اتهامه في قضايا فساد وربط اسمه بقائد المخابرات السابق، الفريق محمد مدين، المدعو «توفيق»، صاحب الخصومة الشديدة مع قيادة الجيش الحالية.

ويقبع الجنرال «توفيق»، صاحب النفوذ الواسع قبل إطاحته من منصبه عام 2015، في السجن هو الآخر، ومع كلّ من شقيق الرئيس السابق ومستشاره الخاص، السعيد بوتفليقة، وقائد المخابرات الذي خلفه، اللواء بشير طرطاق، لكن الثلاثة موجودون في السجن العسكري في البليدة، في قضية لا علاقة لها بالفساد، تتعلق بالتآمر على سلطة الدولة والجيش، وذلك بعدما جرى اتهامهم بمحاولة إقالة رئيس أركان الجيش من منصبه، بعد شهر من بدء الحراك الشعبي في 22 شباط/ فبراير. ويُروى أن قايد صالح رفض أوامر بالمشاركة في قمع التظاهرات، ما دفع بالثلاثة إلى التخطيط لإطاحته، في تهمة يرفضها محامي السعيد بوتفليقة والجنرال «توفيق»، اللذين يقولان إن غرضهما من الاجتماعات كان محاولة إيجاد حلول للأزمة التي استفحلت في ذلك الوقت. كما تقبع في السجن، بسبب القضية نفسها، زعيمة حزب «العمال» لويزة حنون، التي اتُّهمت كذلك بالمشاركة في تلك الاجتماعات، ما جعل القضاء العسكري يُكيّف في حقها تهمة التآمر على الجيش.

وينظر الجزائريون عموماً بارتياح إلى تحرك القضاء وجرأته، وخاصة مع بعض الشخصيات التي يتركز حولها غضب شديد، وفي طليعتها أحمد أويحيى، الذي ظلّ في المخيال الشعبي منبوذاً بشدة، كونه أكثر السياسيين تعميراً في المسؤولية حتى قبل مجيء بوتفليقة عام 1999، وقد بقي واجهة النظام السياسي لمدة طويلة، ما جعل اسمه يرتبط بأكثر القرارات غير الشعبية، مثل تسريح العمال من الشركات العمومية، وتخفيض الأجور، ووضع الإطارات في السجون. كما أن تصريحاته الاستفزازية التي تبرّر التقشف وقمع الحريات، وتلوّنه حسب الظروف السياسية للبقاء في مواقع المسؤولية، جعلته العدو السياسي الأول لطيفٍ واسع من المعارضة، وحتى من الأحزاب التي كانت في السلطة. لكن الضربة القاضية لأويحيى شعبياً، كانت تصريحاته أمام البرلمان بعد انطلاق المسيرات الرافضة للولاية الخامسة، حين حذر من تحول البلاد إلى الوضع السوري في حال استمرار التظاهرات، الأمر الذي كلّفه رداً قاسياً من الحراك الشعبي الذي بات يهتف ضده في كل يوم جمعة كما أمس. وذهب البعض، بعد سجن أويحيى، إلى عدم الاكتفاء بذلك، والتفكير صراحة في كيفية محاسبة الرئيس السابق ولو بشكل رمزي مراعاة لوضعه الصحي الصعب، كما صرح الناشط الفاعل في الحراك مصطفى بوشاشي.

الشعور العام المدفوع برغبة في القصاص من هؤلاء المسؤولين بسبب تغوّلهم واستغلالهم النفوذ لتكوين ثروات طائلة على حساب مستقبل باقي الجزائريين، يقابله تخوّف من أن لا يكون دافع هذه الاعتقالات تحقيق العدالة، بقدر ما هو السعي إلى تقديم «أكباش فداء» من قِبَل جناح السلطة المستحكم حالياً، من أجل إنقاذ النظام السياسي الذي يطالب الحراك الشعبي بتغييره بشكل جذري. تخوّف انعكس في بعض شعارات تظاهرات أمس، التي رحّبت بالمحاسبة، مشددة في الوقت نفسه على أهمية عدم التفريط ببقية المطالب السياسية المتمثلة في رحيل «رموز النظام»، وعلى رأسهم رئيس الدولة عبد القادر بن صالح، ووزيره الأول نور الدين بدوي. وفي هذا الإطار، جدّد متظاهرون رفضهم أي حوار مع الحكومة، داعين إلى المسارعة إلى إيجاد حل سياسي في إطار ما تكفله المادة 7 من الدستور، والتي تنصّ على أن السلطة بيد الشعب.

ما قل ودل

> حذّر قانونيّون واقتصاديّون من إحالة آلاف العمال في الشركات التي يملكها رجال أعمال موقوفون في إطار حملة مكافحة الفساد، إلى البطالة، في حين أظهرت التحقيقات الأولية احتكار بعض الموقوفين للنشاطات الاقتصادية بطرق غير قانونية. وبحسب خبراء تحدثوا إلى صحف محلية، تبقى المؤسسات والشركات بمعزل عن الملاحقة إلى غاية صدور قرارات قضائية نهائية، لكن إذا اتُّخذت إجراءات بحقها من سبيل الإغلاق، فقد يتعرض الكثير من العمال للصرف من العمل، وبالتالي إحالتهم إلى البطالة.
(الأخبار)

وفيات

بسم اللّه الرّحمَن الرّحيم
«يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي »
صدق الله العلي العظيم
انتقل إلى رحمة الله تعالى أمين سر المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى
عضو المجلس الاستشاري لحركة أمل
الأستاذ الحاج عبدالله موسى

يتقبّل المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى وحركة امل وذوو الفقيد الكبير التعازي في جمعية التخصص العلمي - بيروت يوم الإثنين الواقع في 17-6-2019 من الساعة الثالثة عصرا حتى السابعة
إنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ

زوجة الفقيد: مريم ملكي (في المهجر)
ابنه: إيلي، زوجته نورما عيسى (في المهجر)
أحفاده: ليلى، سناء وداني
أشقاؤه: عدنان قاصوف وعائلته (في المهجر)
منى قاصوف
إيلي قاصوف وعائلته (في المهجر)
رمزي قاصوف وعائلته (في المهجر)
دعد قاصوف مراد وعائلتها (في المهجر)
وعموم عائلات: سلامة، ملكي، عيسى، قاصوف، حردان، مراد، رياشي وأنسباؤهم في الوطن والمهجر، ينعون إليكم بمزيد من الحزن والأسى فقيدهم الغالي المأسوف عليه المرحوم
سليمان سلامة
والدته المرحومة أولغا أسعد حردان
الراقد على رجاء القيامة والحياة الأبدية في المهجر يوم الأربعاء الواقع فيه 11 حزيران 2019.
يحتفل بقداس لراحة نفسه الساعة العاشرة من صباح يوم الأحد 16 حزيران 2019 في كنيسة البشارة ، بيروت، البطريركية، زقاق البلاط.
لكم من بعده طول البقاء، صلوا لأجله
تقبل التعازي بعد القداس في الكنيسة.
الرجاء اعتبار هذه النشرة إشعاراً خاصاً

ذكرى

ذكرى 7 سنوات
تصادف نهار الأحد 16 حزيران 2019 الذكرى السنوية السابعة على وفاة الفقيد الغالي المرحوم
الحاج احمد علي أحمد
(أبو حسن)

أهل الفقيد يدعون كل من عرفه وأحبّه أن يذكره بتلاوة السورة المباركة الفاتحة عن روحه الطاهرة.
للفقيد الرحمة ولكم الأجر والثواب

انتقل إلى رحمته تعالى المرحوم
محمد ابراهيم فاعور برّي
(ابو جهاد)
زوجته هدى حسين مروّه
ابنه جهاد
ابنته جنى
أشقاؤه المرحوم خليل والمرحوم علي
وكامل وحسين فاعور برّي
شقيقته سعاد زوجة الأستاذ أحمد حسين مروه (ابو عمار)
يصل جثمانه إلى مطار بيروت من بروكسل مساء السبت 15 حزيران 2019.
يصلى على جثمانه الطاهر بعد صلاة ظهر يوم الأحد 16 حزيران 2019، ويوارى في ثرى مدافن الطيونة.
تقبل التعازي في بيروت بعد الدفن يوم الأحد 16 منه في جمعية التخصص والتوجيه العلمي الرملة البيضاء قرب أمن الدولة، من الساعة الرابعة لغاية السابعة مساءً.

إنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ
أنتقلت إلى رحمته تعالى المأسوف عليها
الحاجة اميرة حسين كنعان
زوجة الحاج عباس أسعد الله شمص (أبو طلال)
عميد عشيرة آل شمص
أبناؤها: محمد، طلال، غيث
بناتها: مي، غادة، راغدة، بثينة
ووريت في الثرى في بلدة بوداي يوم الأحد 9 حزيران 2019
تقبل التعازي يوم الأربعاء الموافق فيه 19 حزيران 2019
وستتلى عن روحها الطاهرة آيات من الذكر الحكيم
في جمعية التخصص والتوجيه العلمي – الجناح من الساعة الثالثة ولغاية الساعة السابعة مساءً.
لها الرحمة ولكم الأجر والثواب
الأسفون: آل شمص، كنعان، نجيم وعموم اهالي بوداي العلاق وبعلبك الهرمل.

إعلانات رسمية

بلاغ رقم: 2/6
تعلن وزارة الاتصالات بأنها ستضع قيد التحصيل اعتباراً من 2019/06/17 الكشوفات التالية:
كشوفات فواتير الهاتف الثابت عن شهر ايار عام 2019
بالإضافة الى كشوفات الفواتير المتأخرة غير المسددة، ولقد حددت مهلة اقصاها 2019/07/15 لتسديد هذه الكشوفات. وتذكر المشتركين الكرام بالتدابير التالية:
في حال التخلف:
1 ـ تقطع خطوط المشتركين المتخلفين عن الدفع باتجاه واحد «للاستقبال فقط» اعتباراً من تاريخ 2019/07/16.
2 ـ تقطع خطوط المشتركين المتخلفين عن الدفع بالاتجاهين اعتباراً من تاريخ 2019/08/01 وتستوفى الغرامة عن إعادة وصل الخط (11,000 ل.ل.) اعتباراً من هذا التاريخ.
3 ـ تلغى اشتراكاتهم بصورة مؤقتة بعد مرور شهر واحد على تاريخ قطع الاشتراك اعتباراً من 2019/09/02 ويعاد وصله بعد تسديد المتأخرات المستحقة إضافة الى رسم اعادة وصل الخط (11,000 ل.ل.) وذلك حتى تاريخ الإلغاء النهائي.
4 ـ تلغى اشتراكاتهم بصورة نهائية بعد مرور ثلاثة أشهر على تاريخ الإلغاء المؤقت اعتباراً من تاريخ 2019/12/02 وتستوفى غرامة قدرها (2%) شهرياً وتحرر الأرقام الملغاة وتحصل المتأخرات بالطرق القانونية المعمول بها.
استناداً الى المادة 45 من قانون المحاسبة العمومية.
5 ـ يحرم المشترك الملغى رقمه من الحصول على إشتراك جديد قبل تسديد جميع الفواتير المستحقة عليه.
ملاحظة: أ ـ تقطع خطوط المشتركين المتخلفين عن دفع فاتورة هاتف شهر نيسان عام 2019 باتجاه واحد «للاستقبال فقط» اعتباراً من تاريخ 2019/06/17.
ب ـ يمكن للمشتركين الملغاة خطوطهم والذين لم يسددوا فواتيرهم المتأخرة المبادرة الى تقسيط المتأخرات في صناديق المناطق الهاتفية وفي مصلحة الشؤون المالية ـ مبنى وزارة الاتصالات، شارع رياض الصلح وإمكانية الحصول على إشتراك جديد.
إمكانية تسديد الفواتير عبر الوسائل التالية:
ـ لدى اي صندوق من صناديق قبض الفواتير التابعة لوزارة الاتصالات على كافة الاراضي اللبنانية.
ـ لدى أي مصرف عبر توطين الفاتورة مقابل 2,000 ل.ل. للفاتورة الواحدة أو أكثر (للاستعلام اتصل بمصرفك).
ـ مكاتب LibanPost: مقابل 2,000 ل.ل. للفاتورة الواحدة أو بكلفة 1,500 ل.ل. للفاتورة الواحدة عبر الاشتراك بخدمة «جباية من العنوان» (للاشتراك بهذه الخدمة يمكن الاتصال بالرقم 01/629629 ـ مقسم 333).
ـ مكاتب شركة ويسترن يونيون OMT بكلفة 2,000 ل.ل. للفاتورة الواحدة.
ـ مكاتب شركة ويسترن يونيون BOB FINANCE بكلفة 2,000 ل.ل. للفاتورة الواحدة.
إمكانية الحصول على قيمة الفواتير:
عبر الاتصال على المجيب الصوتي رقم 1515 أو عبر صفحات الانترنت الخاصة بالوزارة (mpt.gov.lb) وهيئة أوجيرو (ogero.gov.lb).
كما تذكر المشتركين بأحكام المرسوم رقم 93/4565 (المادة الثالثة منه) وتعديله بالمرسوم 11682 تاريخ 1998/01/30 لجهة تحديد مهلة أربعة أشهر للاعتراض بعد انتهاء المهلة المحددة للدفع والمذكورة اعلاه، ووجوب تقديم طلب الاعتراض في المنطقة الهاتفية التابع لها رقم المشترك.
يُطلب من المشتركين الكرام التجاوب السريع مع مضمون هذا البلاغ، شاكرين لهم حسن تعاونهم.
بيروت في 27 ايار 2019
المدير العام لاستثمار وصيانة المواصلات السلكية واللاسلكية
المهندس باسل أحمد الأيوبي
التكليف 957

إعلان دعوة
تدعو الهيئة الادارية للنادي الثقافي الرياضي الاجتماعي لبعا، أعضاء الهيئة العامة للمشاركة في العملية الانتخابية التي ستجري في دورتها الاولى في مقر النادي بتاريخ 2019/6/30 ابتداءً من الساعة التاسعة صباحاً ولغاية الساعة الواحدة ظهراً.
على الراغبين في الترشح تسديد اشتراكاتهم والتقدم بطلب الترشيح في مهلة اقصاها 2019/6/27. تنتهي مهلة تسديد الاشتراكات للناخبين بتاريخ 2019/6/30. موعد الدورة الثانية في 2019/7/7، الدورة الثالثة في 2019/7/14، في نفس الزمان والمكان.

الجمعية الرياضية في دير القمر
تدعو الاعضاء المنتسبين الى انتخاب هيئة ادارية جديدة بتاريخ 7 تموز 2019 بنصاب الثلثين واذا لم يكتمل النصاب تعقد جلسة ثانية في 14 تموز 2019 بنصاب الاغلبية المطلقة واذا لم يكتمل النصاب فبمن حضر في 21 تموز 2019 وذلك من الساعة التاسعة حتى الساعة الخامسة عشرة في مركز الجمعية.
لائحة المنتسبين وشروط الانتخاب والترشح معلقة في مركز الجمعيّة.

دعوة لحضور اجتماع الجمعية العمومية العادية
لشركة ايليفاتور اند ايسكيلاتور بارتس ش.م.ل. (اوف شور) ش.ت. 1213/2001 – بيروت.
يتشرف رئيس مجلس ادارة الشركة بدعوة جميع السادة المساهمين لحضور اجتماع الجمعية العمومية السنوية العادية المقرر عقدها عند الساعة الثانية عشرة من يوم الخميس الموافق في 2019/7/4 وذلك في مكتب محامي الشركة الاستاذ ناجي عبدالله في سن الفيل – سنتر كونفيدنس - الطابق الثامن، على ان يصار، بعد التاكد من توفر النصاب القانوني، الى مناقشة واقرار جدول الاعمال التالي:
1 – المصادقة على تقارير مجلس الادارة ومفوض المراقبة لعام 2018، واقرارها وابراء ذمة القيمين عليها بعد المصادقة على حسابات الشركة وميزانياتها لهذه الفترة.
2 – مناقشة واقرار مشروع توزيع الارباح المعد من رئيس مجلس الادارة.
علماً أن كافة المستندات قد اودعت في مركز الشركة وفي مكتب وكيلها لمن يرغب بالاطلاع عليها.
رئيس مجلس الادارة – المدير العام
JORG SCHAMBACH

إعلان بيع
صادر عن دائرة تنفيذ كسروان
بنفذ الحال بالتنفيذ بنك الاعتماد اللبناني للاستثمار ش.م.ل. الذي حل محل طالب التنفيذ ريمون المعروف بوليم رشيد عتقي صاحب مؤسسة وليامس بالمعاملة التنفيذية رقم 2013/793 بوجه شفيق توفيق البعقليني سند تحصيلاً لدين طالب التنفيذ البالغ /12000/ دولار اميركي اضافة الى الفوائد والرسوم وعقد قرض موثق بتامين عقاري درجة اولى وشهادة تامين تحصيلاً لدين الحال بالتنفيذ البالغ /74783/ دولار أميركي اضافة الى الفوائد والرسوم.
ويجري التنفيذ على القسم رقم 4A من العقار رقم 1303 من منطقة جعيتا العقارية. مساحته 80 م2 وهو بموجب الافادة العقارية مدخل ودار وطعام وغرفتان ومطبخ وحمامان وشرفات. طابق سفلي اول وبالكشف تبين ان القسم يقع في الطابق السفلي للبناء رقم 35 من المنطقة 5 شارع 1 وهو مؤلف من صالون وسفرة ومدخل بلاط رخام وغرفتين نوم بلاط موزاييك لهما تراس باطون وفي كل غرفة خزانة حائط وحمامين ومطبخ بورسلان وسيراميك المجلى غرانيت مع خزائن خشبية وشرفة تمتد من المطبخ لغاية الصالون. جزء من ارضها مبلط والجزء الاخر باطون. الابواب الداخلية خشب معاكس والمنجور الخارجي الومنيوم تاريخ قرار الحجز 2016/4/14 وتاريخ تسجيله 2016/4/25.
بدل تخمين القسم رقم 4 A من العقار رقم 1303 من منطقة جعيتا العقارية 250/ 116/ دولار اميركي وبدل طرحه 69750/ دولار اميركي.
ويجري البيع بيوم الثلاثاء الواقع فيه 2019/7/9 الساعة 11 قبل الظهر في قاعة محكمة كسروان. للراغب بالشراء دفع بدل الطرح بموجب شك مصرفي منظم لأمر حضرة رئيس دائرة تنفيذ كسروان أو تقديم كفالة وافية من احد المصارف المقبولة من الدولة ويتحمل رسوم التسجيل والدلالة وعليه اتخاذ محل اقامة ضمن نطاق الدائرة والا عد قلمها مقاماً مختاراً له كما عليه الاطلاع على الصحيفة العينية العائدة للقسم موضوع المزايدة.
رئيس قلم التنفيذ
ناديا صليبي

خرج ولم يعد

هرب العاملان من التابعية البنغلادشية
MOHAMAD OBAIDUR RAHMAN
HAROUN OR RASHID
الرجاء ممن يعرف عنهم شيئاً الاتصال على الرقم 78/824471

لإعلاناتكم الرسمية والمبوبة والوفيات
الأخبار
هاتف: 759555 ـ 01
فاكس: 759597 ـ 01

ارشيف

ربما سيصير «ارشيف التاريخ الشفوي الفلسطيني» الذي اطلقه «معهد عصام فارس للسياسات العامة والشؤون الدولية» و National Endowment For The Humanities قبل أيام بالشراكة مع مكتبات الجامعة الاميركية في بيروت، واحداً من اهم المراجع الانثروبولوجية اهمية لقراءة التاريخ الفلسطيني. لكنه بصورته الحالية أحد اهم اشكال المقاومة ايضاً. مقاومة الذاكرة لنفسها ومقاومة الصمت بالصوت. مئات المقابلات مع اللاجئين إلى ذاكراتهم، ليثبتوا ان كلّ شيء يمكن ان يتعرض للاهتزاز، إلا الحقائق المطبوعة في مكان دافئ من القلب

من سلسلة «ارشيف رام الله» للمصوّرة الفلسطينية احلام شبلي (مجموعة مؤلفة من 19 صورة، 38,5×57,7 سنتم، 66,7×100 سنتم ـ طباعة كروموجينية ـ 2014)

التاريخ الشفوي الفلسطيني: بصمات الزمن الباقي

أحمد محسن

لوقت طويل، جادل توماس طومسون في أن التاريخ الفلسطيني وتاريخ القدس لا يمكن أن يُكتب خارج التراث. بمعزل عن السجال الذي أحدثه طومسون، لا بد من الاعتراف بأهمية التراث كمصدر ينتمي إلى مشتقات التاريخ. وفي هذا الإطار، يمكن أن يتموضع «أرشيف التاريخ الشفوي الفلسطيني» الذي يتجاوز التراث إلى التاريخ نفسه. إنه نتاج عمل بحثي طويل، بدأ كفكرة فردية، وتطور حتى استوى على ما هو عليه. هذا العمل بالدرجة الأولى هو عمل أنثروبولوجي، يقدم مادة إثنولوجية ثرية للمهتمين. وإن كنا كفلسطينيين لا نحتاج إلى إثباتات تاريخية ضدّ الاستيطان الكولونيالي، فنحن بحاجة إلى التحدّث ضد الصمت... لأن نتذكر، ضدّ السرديات المخترعة. لوقت طويل ما انفك كثيرون ـ لا سيما من اللبنانيين ـ يردّدون السردية التافهة التي روج لها الاحتلال عن بيع الفلسطينيين لأرضهم. والذين يضحكون على أنفسهم ويصدقون هذه الرواية، عليهم أن يشاهدوا اللاجئين وهم يضحكون عليهم. القصص في «الأرشيف الشفوي» تتقاطع على اختلافها، لتأكيد السردية الفلسطينية الوطنية عن الأرض والتاريخ.

القصص تحكي عن نفسها أكثر مما يحكي المتحدثون عنها. في المقابلات الطويلة، يلتقط اللاجئون أنفاسهم من القرى التي غادروها، وأحياناً من المدن العامرة بالمحبة. الآلفة للتاريخ قبل النكبة والمرارة للحاضر واللجوء. يشردون في زمن بعيد. يأكلون أصابعهم ليتذكروا، ولا يندمون. يتعبهم التذكر ولكنه يفرحهم. ولد محمود زيدان في عين الحلوة بعدما تهجر من الصفصاف. وزيدان هو أحد المساهمين في توفير مواد أرشيف التاريخ الفلسطيني. «التاريخ الشفوي الفلسطيني قد يكون التاريخ الشفوي العربي»، يقول في معرض حديثه عن المشروع المشترك مع ديانا الن، صاحبة الفكرة. قد تكون ملاحظة مبالغ فيها، لكن في السياق الذي وردت فيه، ربما تكون صحيحة. لا أحد يمكنه أن يتحدث عن تاريخ فلسطين أفضل من الفلسطينيين.

أشياء كثيرة في المخيّم لجأت مع اللاجئين. الجغرافيا وصلة الدم والسهرات والحارات. كل شيء يجعلك تكتشف أن القصص تُنقل مع أهلها. هل يمكننا أن نسمي هذا تاريخاً أو تاريخاً؟ التسمية ليست مهمة. زيدان مثلاً كان يعرف بيوت الصفصاف كما يعرف بيوت وَرْقة المخيم. القصص تتداخل بلا تكلف. يسرد قصصاً تبدو غريبة، لكنها حدثت في الصفصاف، وسمعها في عين الحلوة. حادثة البركة المقسومة بالخيط، وحادثة الماعز المسروق. في النهاية، الزمن ليس أياماً تتراكم لكي تصير شهوراً وسنوات، إنه شيء خارج التصور. إنه ما هو

> تحضر في الشهادات المرأة والآخر، كما يحضر الفولكلور والمقاتل اللبناني

عليه. كان يسمع عن مصابين في المجزرة: مصاب ويتيم وتاريخ شفهي لا يحتاج إلى الأسئلة. إضافة إلى ذلك، كان في المخيّم صور هزبها أهلها معهم. لم يكن في حسابات المحتلين أن تتحدث الصور التي تأتي من حيفا وعكا وتعلّق في صدر الصالون أو تُحمل في الجيوب. أصحابها يعتبرونها صوراً لأجثة بدورها. تطوف مع أهلها وتتعرض لما يتعرضون له. تمسكوا بالصور، لأنّ أحداً لم يطلب منهم أن يتحدثوا. للإنصاف التاريخ المكتوب ليس مغمض العينين تماماً. إيلان بابه، وفي معرض تذكره فلسطينيي 1948 من أنقاض النكبة وصولاً إلى اضطهادهم المتنامي في أرضهم، عاد إلى الصور الفوتوغرافية التي التُقطت في 1949. في تلك الصور رأى الفلسطينيين مذعورين ومجبرين على التكيف مع التحولات في المكان. الآن بات ممكناً أن يُرى «النيغاتيف» بلا تدخلات من الضوء والظلال. أصحاب الصور وهم يتحدثون.

تتوزع الشهادات في أكثر من سياق. فالشهادات التي جمعها «مركز المعلومات العربي للفنون الشعبية (الجنى)» مثلاً، وهي عشرون شهادة، تحضر فيها المرأة ويحضر فيها الآخر، كما يحضر الفولكلور والمقاتل اللبناني الذي ذهب إلى فلسطين قبل أن يأتي الفلسطيني إلى لبنان. فهناك جنّى الملقبة بأم عثمان من حارة الدير، الطيرة. وهناك تجارب عن الأطفال حين اختبروا الحرب في 1948. تحضر المرأة الفلسطينية المقاتلة. يحضر اليهودي مليخا، كشاهد على حضور العرب اليهود، وبعضهم كان تقدمياً. ويحضر الصديق ابو درويش ذهب من لبنان ليقاتل في فلسطين، وتمرّ عتابا لأم خليل «يا بلدنا ليش هجرتينا». وهناك أيضاً تغريبة أحمد ومريم، والناجين من مجزرة الذين مات جميع أولادهم، ولم يكن ما يجعلهم يبقون على قيد الحياة إلا وجودهم بين من هم مثلهم. الذين نجوا من المجزرة بدورهم. وفي أي حال، لا يمكن فهم الاجتماعي إلا بما هو اجتماعي. والشهادة الشفوية تاريخ للنضال الفلسطيني ضد الاستعمار البريطاني وضد الاستيطان الكولونيالي الصهيوني، وإضاءة ضرورية على ما أهمل لوقت طويل: نضال المرأة.

الشهادات لا تنتهي. والوقت لا ينقضي. جاء الاجتياح وجاءت حرب المخيمات. أحلام الهجرة غُلقت إلى جانب صور الشهداء. لكنّ «الكبار حافظوا على الشعارات الأولى». مريم محمود أسعد ولدت قبل النكبة. غادرت وعمرها 15 عاماً. كان أهلها فلاحين، لكنها تتذكر المنزل... «باب بيفتح للغرب باب وللشمال وباب للشرق». تتباهى بمنزلها الذي هو روحها. تتباهى بذاكرتها: «كنا قريبين من يارون وصلحا وكفربرعم». فاطمة أحمد منصور ولدت في 1926، وهي من الراس الأحمر. لكن زوجها كان يذهب إلى صفد فصادت كنيته «الصفدي». أخوتها جميعهم ماتوا. شقيقها مات عندما هبط عليه منزل. وقد رات بنفسها كيف فجّرت العصابات الصهيونية المنازل: «30 بيت بكبسة زر». نسفوا بيوت الحارة الشمالية بالديناميت. لكنهم لم ينسفوا ذاكرتها. وقد أقامت في هذه الذاكرة جسراً بين الماضي والحاضر. أحد الأشخاص من قريتها تزوج من علما... «لكن علما ليست بعيدة، مثل المسافة بين المخيّم والغازية». جابر أبو هواش، مواليد 1931، يقدم شهادة أنتروبولوجية خالصة. ينتمي إلى عشيرة الغليفات، وكانت تعيش بين حيفا وعكا. كان والده يعمل في «البوليس». توظف مع البريطانيين وسكن عكا حتى 1948، وكان له أقارب بين شفا عمر والرمل. صارت لهم أرض بعدما تخلوا عن مدينيتهم. البدوي لا يقبل أن يتملك الأراضي، حتى لا يخدم في العسكرية. كان والده «قصاص الأثر». وهذا يشبه التحري في أيامنا. وما زال هو واللاجئون يتذكرون، كما لو أنهم يقصون أثر العودة.

مادة مهمة للباحثين

إلى جانب الأوراق والمشاركات التي قُدمت في المؤتمر، عن نضال المرأة وتاريخ القدس المديني وغيرها من المسائل المهمة، تبقى الشهادات الشفوية نفسها أهم الأحداث. وهنا، وبعد اكتمال «نواة» المشروع، لا بدّ من التنويه بالعمل الكبير الذي قام به فريق من مكتبات الجامعة الأميركية في بيروت، على جميع المستويات، تقنياً وبحثياً، من أجل إخراج هذه المواد بالصورة المتوافرة اليوم، كمادة جدية وضرورية ومتاحة لجميع الباحثين والمهتمين. ولا بد من الإشارة هنا إلى أنّ هذا العمل بدأ في 2002، أي محاولة لحفظ أرشيف التاريخ الشفوي. طبعاً تبقى الفكرة ناقصة رغم أهميتها، وهذه مسؤولية لا تقع على أصحاب المبادرة، إنما على أصحاب القدرات، خاصةً أن هدف المشروع منذ البداية هو أن يكون الأرشيف شعبياً وليس محترفاً، يعني اللاجئين الذين يتحدثون وهم يجمعون أصواتهم وصورهم أيضاً. في البداية، أجرى محمود زيدان 136 مقابلة بين 2002 و2006. وفي 2010 بدأت فكرة إيداع الأرشيف في الجامعة الأميركية في بيروت.

ذاكرة

صدر حديثاً كتاب «الطائفة اليهودية في صيدا: تاريخها وحضورها» (دار بسيوني للطباعة ـ 2019) للباحث الصيداوي طالب قره أحمد. أعاد الكتاب الضوء على اليهود الذين كانوا جزءاً من نسيج المدينة الاجتماعي والاقتصادي والديني والثقافي. إلى أن غادروا تدريجاً حتى لم يبقَ منهم أحد بحلول عام حتى 1985.

كتاب لطالب قره أحمد هؤلاء هم يهود صيدا... وتلك حكايتهم

آمال خليل

من دون سابق إنذار، تقول السيدة بنبرة مستغربة: «حارة يهود». ما إن لمحت المصور يلتقط صوراً للحي في صيدا القديمة، حتى عاجلته بالتوضيح بأنها «حارة اليهود» لا «حارة القدس» كما تشير اليافطة الصغيرة المثبتة على مدخل الرواق. لا تنتظر أم إسماعيل (75 عاماً) توجيه الأسئلة إليها. تسرد ذكرياتها عن جيرانها اليهود والمسيحيين الذين عاشوا سوياً منذ زمن الأجداد. تنظر إلى البيوت المرتفعة فوق بعضها: «هذا بيت عمي أبو سيروب غيزريان، وذاك منزل أم ماهر لوريس. وهنا أم حسني جريس وهناك رينيه غمالو وعمي أبو رفول، شيخ اليهود». تختلط ذكريات جيرانها بذكرى ابنها وليد الذي اختطفه جنود العدو الإسرائيلي من الحارة خلال اجتياح صيدا في حزيران (يونيو) 1982 ولم تعرف مصيره حتى الآن. «الست اليهودية تحدثت للجنود بالعبراني بألا يأخذوا الشباب. لكنهم لم يسمعوا منها». تقطع أم إسماعيل سردها كلما لاح لها أحد المارة. تخفض صوتها وتمسح على شفتيها، وتومئ لمحدثها بأن يكفّ عن الكلام حتى يعبر المارة. توحي كأن سيرة اليهود ممنوعة هنا. بعدما كانوا جزءاً من البلد القديمة، أدت الأحداث المرتبطة بالكيان الصهيوني إلى مغادرتهم على نحو تدريجي منذ ما قبل نكبة فلسطين عام 1948، وصولاً إلى تحرير صيدا من الاجتياح الإسرائيلي عام 1985. وفي عام 2008، أوعز أحد المشايخ السنة بتثبيت يافطة «حارة القدس» بدلاً من حارة اليهود رداً على العدوان الإسرائيلي على غزة حينذاك. لكن اليافطات لا تغير في التاريخ والجغرافيا. لا يزال أثر اليهود محفوظاً في لوائح الشطب والمقابر والملكيات، لا سيما الكنيس اليهودي داخل الحارة. ذلك الإرث، جمعه الأستاذ المساعد في الجامعة اللبنانية طالب قره أحمد في كتاب صدر حديثاً بالتعاون مع بلدية صيدا. صاحب الكتاب عايش اليهود عندما عمل في صغره لدى فلسطيني كان يسكن في حارة اليهود وكان يكلفه بدفع إيجار المحل لأصحابه من اليهود.

النكبة أول الغيث

إبان الانتداب الفرنسي عام 1936، صدر الاعتراف الرسمي باليهود كطائفة مستقلة سميت «الإسرائيلية» نسبة إلى ترجمة اسم النبي يعقوب بن اسحق من الفرنسية إلى العربية (إزرائيل أي إسرائيل). حينذاك، كان عددهم 5 آلاف شخص في لبنان. وفي آخر إحصاء أجراه قره أحمد عام 2016، سجل وجود 200 يهودي ترواح أعمارهم بين 50 و70 عاماً. ونقل عن إحصاءات رسمية صدرت عام 2003، وجود 1500 يهودي، 60 في المئة منهم مسجّلون كيهود والباقي تحولوا إلى طوائف أخرى. أما في صيدا، فقد أحصي عددهم عام 922 ميلادية بعائلة واحدة. وفي عام 1830، أصبحوا 25 عائلة تكاثرت بشكل ملحوظ حتى سجلت عام 1956، 1108 عائلة. لكن نكبة فلسطين ثم العدوان الثلاثي على مصر ونكسة عام 1967 وبداية الحرب الأهلية اللبنانية، خفضت عدد المقيمين تدريجاً حتى وصل إلى 40 عائلة عام 1975، بقي منها ثلاثة أشخاص بعد الاجتياح الإسرائيلي عام 1982. أولئك شجعهم جنود العدو على المغادرة معهم عند تحرير صيدا بعد ثلاث سنوات «خوفاً عليهم من ردات الفعل». يفرد الكتاب فصلاً لاستعراض العائلات ونشاطها وأبرز وجوهها منها

> مع قيام الكيان الصهيوني، شارك بعضهم في تظاهرات «هاتفين بسقوط الصهيونية، ومنادين بعروبة فلسطين»

أشكينازي وإلياهو وبصل (عرف منهم المفوض العام للشرطة اللبنانية إيليا بصل) وخضري (عرف منهم يعقوب حاخام الطائفة الإسرائيلية في حارة اليهود) وديوان (من أبرز أثرياء الطائفة، اشتهروا بالدين بالربا. من زبائنهم آل الأسعد الذين رهنوا عقاراً لهم في الطيبة كرهن لسداد الدين. ولما لم يستطيعوا ذلك، امتلك إسحاق ديوان الأرض ولا تزال باسمه). آل الخياط وآل نكري اشتهرا بالصرافة، فيما اشتهر آل بوليتي وآل أشير بالخياطة وآل زيتوني بتجارة الأقمشة. واللافت أن بعض أسماء العائلات مشتركة مع أسماء عائلات صيداوية مثل شحادة (منهم مختار حارة اليهود المطهر أبو موسى) والصباغ (عرف شموييل ابراهيم الصباغ وكيل الوقف اليهودي).

تميز اليهود بين جيرانهم الصيداويين بعاداتهم وطقوسهم المجتمعية والدينية والثقافية. كانوا يبيضون بيوتهم بالكلس من مخزن الكلس القائم في حارتهم ويملكه آل البني. كما اشتهروا بالدين مقابل الربا، لكن بشروط. يقرض اليهودي أخاه اليهودي من دون فوائد ويعفو عن سداد الدين بعد سبع سنوات. أما المدين من غير اليهودي، فلا يحصل على ذلك الامتياز. وفي نشاطهم الاقتصادي إضافة إلى الصرافة والدين، اشتهروا ببيع الذهب والأقمشة والخياطة. «كانوا خياطين ماهرين وأسعارهم أرخص من سواهم» فيما لم يسجل للناس أيّ دور بارز في الشأن العام أو الأنشطة والعمل.

شاركوا في مظاهرات ضد وعد بلفور

لم يكن يهود صيدا جميعاً مع قيام الكيان الصهيوني مكان فلسطين. وفق الوثائق التي جمعها قره أحمد. في 26 آب (أغسطس) 1929، شاركوا في تظاهرة ضد وعد بلفور «هاتفين بسقوط الصهيونية، منادين بعروبة فلسطين. ومن الموقعين على العريضة التي نظمت، الحاخام اليهودي في صيدا». لكن في المقابل، وبعد صدور قرار تقسيم فلسطين 1947، احتفل عدد من يهود لبنان في كنيس أبراهام في بيروت وغادر بعض شبانهم للقاء عصابات الهاغاناه عبر الحدود الجنوبية. موقفهم استدعى ردات فعل ضد أملاكهم. في وادي أبو جميل حيث معقلهم الرئيسي، تعرضت ممتلكاتهم للتخريب والتفجير. منذ ذلك الحين، بدأ بعضهم يبيع أملاكه والمغادرة إلى فلسطين المحتلة. الإجراءات الرسمية التي اتخذتها الدولة بعد نكبة فلسطين، ساهمت في دفعهم للمغادرة، منها إلغاء المناسبات اليهودية من روزنامة الأعطال الرسمية والتشديد في منح جواز سفر ليهودي. بشكل عام، بات محظوراً بشكل غير مباشر كل ما هو إسرائيلي. جريدة «العام الإسرائيلي» استبدل اسمها بـ «السلام»، قبل أن تتوقف عن الصدور، فيما توقفت المساعدات الحكومية للمدارس اليهودية. تأثرت صيدا بالجو العام، فشهدت هجرة يهودية كبيرة. غادر رئيس الطائفة يوسف بوليتي إلى «إسرائيل». انخفاض عدد المقيمين، أدى عام 1962 إلى إقفال مدرسة «الإليانس» المخصصة لأبناء اليهود. وفي عام 1975، غادر آخر حاخام إلى بيروت. وبعد أربع سنوات، غادر المختار إبراهيم ديوان إلى بيروت. في المقابل، بادر ذكي لاوي إلى العودة إلى صيدا، محتمياً بالاجتياح الإسرائيلي الذي دام في المدينة ثلاث سنوات. والده جوزيف كان خياطاً يخيط ملابس الجيش اللبناني. ربطته علاقات ودية مع جيرانه. لكن جنود العدو أجبروه على الرحيل معهم.

مقابر وأطلال

في صيدا، لا تزال محال وعقارات عدة باسم أصحابها من اليهود. في عام 1990، توفي الوكيل المكلف بجمع بدلات إيجار المحال والبيوت من شاغليها وإرسالها إلى مستحقيها. فكر بعضهم بالتوقف عن دفع الإيجار لليهود. لكن مفتي صيدا الشيخ سليم جلال الدين، أفتى بضرورة دفع الحق لأصحابه. وفي عام 2015، كلف عدد من المالكين محامياً ليجبي بدلات الإيجارات. ومن أبرز العقارات، البستان اليهودي، أحد الأحياء في مخيم الحلوة نسبة إلى صاحبه من آل بوليتي، فضلاً عن ممتلكات تمتدّ من صيدا إلى لبعا. وفي المدينة، لا تزال السجلات تحفظ خان اليهود ووقف فقراء اليهود ووقف عطارة اليهودي ومقام النبي داوود ومقام النبي صيدون ومقام النبي شمعون (حلت محله المحكمة الشرعية السنية). أما الكنيس في حارة اليهود، فلا تزال نجمة داوود تدل عليه، رغم إشغاله من قبل عائلة سورية منذ ما بعد الاجتياح. أما مقبرة اليهود عند الواجهة الجنوبية للمدينة، فلا تزال الشواهد واضحة المعالم، رغم الإهمال الذي طالها لعقود. 310 قبور متوزعة على مساحة 20 ألف متر. في عام 2014، استحدث سور لحمايتها بمسعى من أحد اليهود. تلك الآثار لا تكتمل من دون محافل الماسونية التي كانت منتشرة في أنحاء مختلفة من البلد القديمة والسوق التجاري. إنما لم يعد لها أثر منذ بداية الحرب الأهلية.

(علي حشيشو)

الأخبار
al-akhbar
السبت 15 حزيران 2019 العدد 3782

صورة وخبر

أنقذ عامل ترميم طرقات في بلدية إسطنبول قطة صغيرة كانت على وشك الغرق بعدما جرفتها مياه الأمطار الغزيرة، عبر إجراء التنفس الاصطناعي لها. وقال العامل متين كسكين للصحافيين، إنّ القطة في صحة جيدة الآن، معرباً عن سعادته بإنقاذ حياتها، ومؤكداً أنّ ما قام به هو «واجب على كل إنسان يمتلك ضميراً». وأضاف: «أنا قمت بما يمليه عليّ ضميري وسعيد جداً لإنقاذ القطة». (متين توكوز ـ الأناضول)

عائلة «دقيقة صمت» تردّ في «الأخبار»: لنبتعد عن المياه الآسنة

انتظر نجوم مسلسل «دقيقة صمت» (كتابة سامر رضوان ـ إخراج شوقي الماجري) انتهاء عرض مسلسلهم، وتلاشي الحالة الإعلامية التي واكبت عرضه، وتسيّده المشهد السوري خلال رمضان، ليقرروا قول كلمتهم ضمن مقال مشترك كتبه كلّ من النجوم: عابد فهد، وفادي صبيح، وخالد القيش، إضافة إلى المخرجة والمنتجة نور هلال أرناؤوط («إيبلا الدولية» التي أنتجت المسلسل). وقدّ خصّوا «الأخبار» بالنصّ الذي توجّه إلى الجمهور بصيغة وجدانية، احتفاءً بالنجاح، وفي محاولة لإعادة الأمور إلى نصابها، ووضع حدّ للمواقف السياسية المنفعلة التي أطلقها كاتب العمل فأخذ المسلسل إلى مطرح ليس له أيّ علاقة فيه، خاصة أن «دقيقة صمت» أخذ الموافقات الرقابية اللازمة وصّور بالكامل في الأراضي السورية. «الأخبار» تنشر هنا المقال كاملاً:

بعد السلام والتحية إلى كل من يمر بهذه الكلمات، من أهلنا الذين يجزلون علينا العطاء بحبهم واحتضناهم وتلقفهم لكل عمل درامي نقدمه، ويراكمون بذائقتهم الرفيعة ثقتنا بكل حكم يطلقونه، وأي عمل يقبلونه، وكل تصنيف يجرونه وكل عنوانٍ يرفعونه... كلماتنا هذه التي تريثنا في وضعها بين أيديكم، إلى نهاية شهر رمضان المبارك، وأيّام عيد الفطر أعادهما الله عليكم بكل الخير والأمن والسلام!

فالموسم كان مزدحماً، والدراما السورية التي جمعتنا على محبّتها تشهد انتعاشاً بعد ركود حصل بفعل الحرب وآثارها. أما الجمهور الذي عهدناه متيّقظاً متفاعلاً، متقدماً في حساسيته وذائقته على ما تحمله الميديا، وحتى على أقلام النقاد رغم احترافيتها، فإنه الحكم الأول، الذي يرفع ما ينفع، ويسقط ما لا ينسجم مع قيمه التي نتمثلها جميعاً، لذا آثرنا متابعة ردوده وآرائه، واحترام حقّه في إبدائها دون تشويش، إلى انتهاء الموسم الرمضاني، خاصة أن الجميع يعرف بأن العمل حصد جماهيرية ونجاحاً كبيرين، شوّشت عليها تصريحات كاتب العمل خلال شهر العرض!

لا نبالغ إن قلنا لكم إن امتنانا لا حدود له، بالكيفية التي تعاطيتم بها مع مسلسل «دقيقة صمت» (كتابة سامر رضوان وإخراج شوقي الماجري وإنتاج «إيبلا الدولية» و«الصباح أخوان») الذي حرصنا مع باقي صنّاع المسلسل على تنفيذه، ووضعه بين أيديكم كما يليق بذائقتكم، وبسمعة الدراما التي نعمل على استعادة ألقٍ خطفته منها سنون الحرب.

وإننا لا نذيع سراً بأننا صدمنا بما أدلى به كاتب المسلسل من تصريحات بطريقة تتنافى، بل تتعارض مع ثوابتنا الوطنية، وبصورة تقحم العمل الفني في خضمّ عراكات أقّل ما يمكن أن يترفّع عنها مسلسل تلفزيوني، خاصة أننا أمام مجهود جماعي، لفريق متكامل، وصل الليل بالنهار لينجز المسلسل من ألفه إلى يائه على الأراضي السورية، وفق التصريحات والموافقات والتراخيص القانونية المعتادة، من دون أي عرقلةٍ قد تسببها مواقف عدائية متراكمة عند أحد العاملين في هذا العمل. وإن كنّا نتوقّع إعادة هيكلة لكل المواقف جراء الموضوعية الرسمية في التعاطي الحكومي مع منح الموافقات الكاملة للتصوير وهذا دليل قاطع على افتتاح مرحلة جديدة تقول بالفم الملآن: أنّ لا مشكلة في سوريا مع أي فكر يندرج ضمن سياق بناء درامي متماسك.

لقد طوّق نجاح العمل، وكاد أن يُجهز على كل ملامح الفرح التي غطّت وجوهنا، ونحن نلاحق تعليقاتكم ولهفتكم وحماسكم تجاه المسلسل وصنّاعه! وهو ما أثار نفوراً واستياءً لدى فريق العمل، ترجم بردّ فوري من شركتي الإنتاج اللتين نأيتا بكيانهما، وبالفريق عن كلّ موقف شخصي! أخيراً نجد أنفسنا مدينين لكلّ من تابع عملنا مهما اختلفت العين ونظرتها، سواء كانت مغرقة في المحبة والمديح والإطراء الغالب على كل الأجواء، أو مشوبة بالنقد والتصويب، فهما بوصلتان ولو اختلفتا بالمذهب، إلا أنهما تشيران إلى الطريق القويم ذاته. لذا فإن عميق العرفان يفترض أن يوضع أمام كلّ من قبل المعادلة لنكون سوية في تكريس المعتقدات الوطنية ورموز السيادة المتمثلة بالعلم والجيش ومقام الرئاسة، وليس هذا بغريب على الجمهور السوري الذوّاق، ولا على غالبية صنّاع الدراما السورية!

الواقع السياسي اللبناني: ندوة في الحمرا

يدعو «منتدى تحوّلات» بعد غدٍ الاثنين إلى حضور ندوة بعنوان «الواقع السياسي في لبنان بين المؤثرات المحلية والضغوطات الإقليمية والدولية». يجري اللقاء في «مركز ألف» (الحمرا) بمشاركة السفير هشام حمدان والكاتب والسياسي سعد الله مزرعاني (الصورة). وتتولّى الإعلامية نتالي المرّ مهمّة التقديم. يأتي الموعد في سياق الأنشطة المنوّعة التي يواظب المنتدى على إقامتها باستمرار.

ندوة «الواقع السياسي في لبنان بين المؤثرات المحلية والضغوطات الإقليمية والدولية»: بعد غدٍ الاثنين ـ «مركز ألف» (شارع البصرة المواجه لفندق «نابوليون» ـ مقابل «مركز دراسات الوحدة العربية» ـ جانب مكتبة «المركز الثقافي العربي» ـ الحمرا/ بيروت). للاستعلام: 01/740495

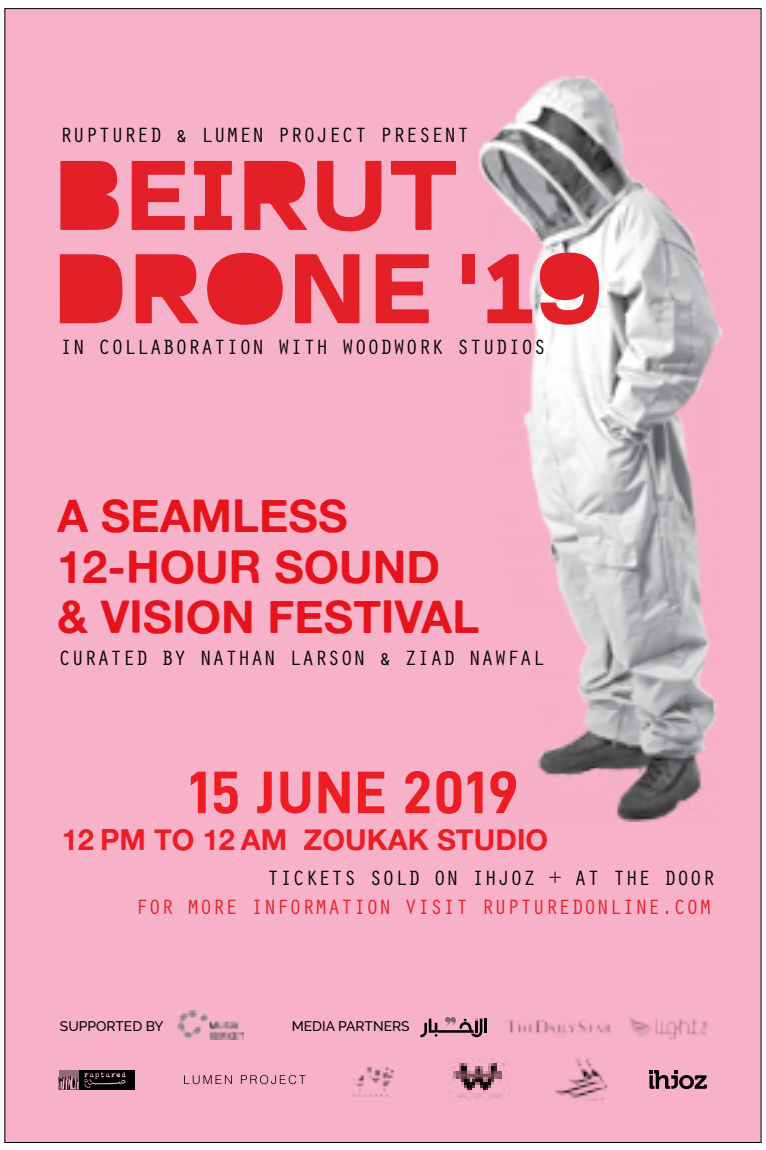

كلمات

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

السبت 15 حزيران 2019 العدد 3782

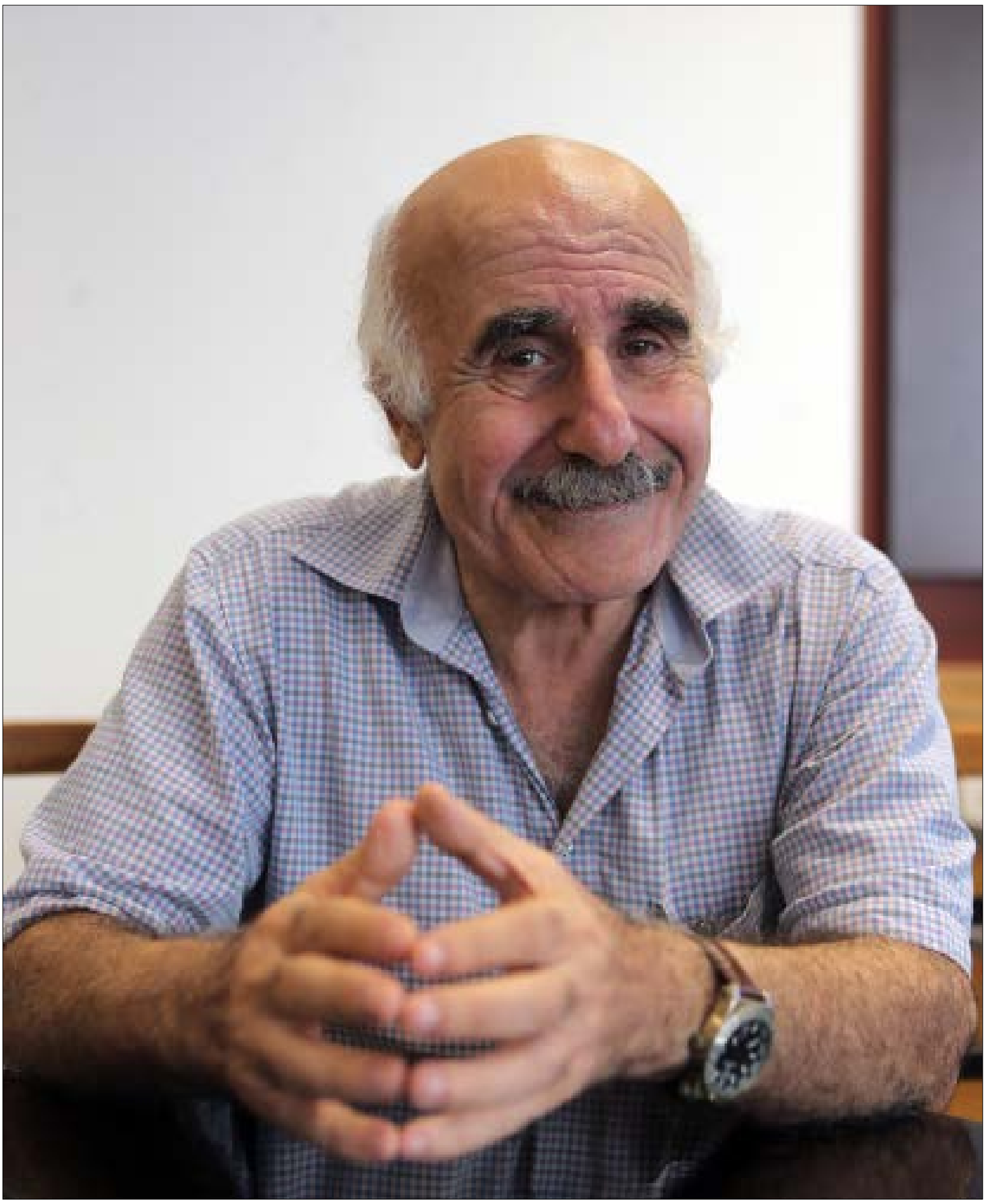

(تصوير مروان بو حيدر)

عباس بيضون الحداد بجرعات كبيرة

محمد ناصر الدين

«أستدعي السنين وأطعمكِ منها/ أطرد الوقت منها/ وأطعمكِ منه/ ليس لي أن أعود إلى ذلك المكان/ حيث تقاطعنا/ المكان الذي نام بيننا/ سنين حتى يستدير الجمال/ حتى تقفي الظلمة/ حتى يخلو العش/ سنين مطرقة لنتصل عليها أو نفترق/ ماذا أمام النور سوى الغبار/ ماذا بعد الظلمة/ غير الخلاء/ ماذا يتسقط من الوحشة/ ماذا يبقى من حجرة الصيف/ ماذا بعد الجمال/ سؤال يتحول رماداً/ لا الصمت ينزف/ ولا الكلام». هكذا يخاطب عباس بيضون (1945) شقيقته الراحلة العام الفائت في مجموعته الجديدة «الحداد لا يحمل تاجاً» التي تتضمن ثلاثين نصاً شعرياً (دار الساقي). نحن هنا أمام حِداد لا تعوزه دقائق الصمت ومظاهر الأبهة التي تحيط بحزن الملوك، أو بخمش الوجوه وشق الجيوب ورش الأرز فوق الجثمان كما يليق بالشهداء. إنه حداد أشبه بالخريف حين يحدّ على الصيف، وبحزن الليل حين يسلخ مّنه النهار. وكما يجمع الفصول معجم كامل من التراب والأوراق والضوء والرائحة، فإن صاحب «الموت يأخذ مقُاساتنا» قد وصل إلى عتبة الحداد، مراجعاً الحياة أنطولوجياً في جميع محطاتها، ليؤرخ بالشعر للخسارات الصغيرة في الذكريات. وعلى طريقة الرسام السويسري بول كلي الذي اعتبر المرئي جزءاً صغيراً من الواقع، فالشعر مع عباس بيضون في «الحداد لا يحمل تاجاً» هو محاولة الإضاءة ــ ولو بالألوان التي يشوبها الحزن ـ على المفاصل غير المرئية للحياة، منظوراً إليها من علٍ، من شباك للكتابة منصوب فوق برج للحداد يمكن تحويل الموت منه وبواسطته إلى مادة للكتابة. لا يفسر بيضون في مجموعته الجديدة الموت بالحداد، لكن الكلمات تشي بأن الشعر لا يضيره الغياب والرحيل، لأن أشياءه حاضرة في غيابها، ولأنه يعيش على المخاتلة والضد الذي يتغذى من الضد كما تتغذى الحياة من الموت. وباشتغاله على بارادوكس الحياة والموت، فإن بيضون يأخذنا إلى قلب حركة الشعر التي تصالح أو على الأقل تقرب المحدود من المطلق، والمضيء من المظلم والحي من الميت، ليأخذنا الشعر إلى النقطة المركزية في وجودنا، إلى سؤال الغيب حيث تصبح القصيدة مستودعاً للأسرار، ونجد أن الشعر هو نوع من ميتافيزيك خاص وشخصي.

في كتابه «شهران لرلى» الذي أصدره العام الفائت، كان الراوي يعيش حياة كأنها ليست حياته ويقع على غير أشيائه، إذ أنه فقط راو ومتنقل ومتفرج على نفسه وحياته. في «الحداد لا يحمل تاجاً»، يطلعنا عباس على الحياة التي أصابها الترقق في عظامها ومفاصلها، ليسكن الشعر في التجاويف. في كتاب لرولان بارت بعنوان «يوميات الحداد»، يقول الفيلسوف الفرنسي حول موت أمه: «أن لا يدمرني هذا الموت كلياً يعني أنني أرغب في العيش بشكل مفتون وحد الجنون... أدرك الآن أن حدادي سيكون فوضوياً». الحداد عند عباس في مجموعته يستعير من بارت الفكرة الأولى. إنه يسمح للشعر بأن يعيش فتنته القصوى. أما في الشق الثاني من الفكرة، فالحداد عند عباس ليس فوضوياً أو ملكياً، إنه أقرب إلى حزن أرملة أنيقة.

* يوقع الشاعر مجموعته «الحداد لا يحمل تاجاً» (دار الساقي) في مقهى «الدار» (الوردية ـ الحمرا) بين الخامسة والسابعة من عصر الأربعاء 19 حزيران (يونيو) ـ للاستعلام: 01/373347

حوار

باسكال لحود: حداثتنا قِشرة تررزح تحتها حقائق مهولة

تختار باسكال لحود عباراتها بدقة. لكنها سرعان ما تجد الجسور لترصف عليها أفكارها. في «فلسفة العلوم بتوقيت بيروت: الحاج وحبشي ونصّار إزاء العلم وقضاياه» (منشورات جامعة روح القدس) الذي يتناول سيرة ثلاثة لبنانيين من المشتغلين في الفلسفة، تقدّم الأكاديمية والباحثة اللبنانية فرضية متماسكة عن علاقة بين الفلسفة والحيّز الجغرافي الذي تخرج منه. والفكرة إشكالية بالنسبة إلى العارفين في الفلسفة والمشتغلين فيها. لكن صاحبتها لا تتلطى خلف تصورات أيديولوجية، بل تحاول الوصول إلى حقيقة فرضياتها وفقاً لمنهجها الأصلي: «فلسفة العلوم». الكتاب ليس سوى حلقة في سلسلة اشتغالاتها الطويلة ونتاجها الكُتبي والبحثي. ولأن الفلسفة ملتزمة بقضايا المجتمع، وليست تنظيراً في الهواء، لدى لحود ما تقوله في بلاد واقفة على منعرج الحداثة، في الفلسفة نفسها وفي ما يتشعب منها، أو ما يدور حولها من قضايا كبيرة، كالحداثة والحرية والمرأة، بالنسبة إليها، الأسئلة أهم من الأجوبة، وربما الأنّ الطريق أهم من الوصول، لأنها أفضل من التسمر في فترة زمنية أكثر من اللزوم. الأسئلة تنبع من المكان ومن أرواح العصور، لكن الإجابات ليست في الماضي. وعلى هذا الأساس، تتحدث عن النص الديني، خلال المقابلة وبعدها، تشعر باسكال لحود دائماً بأنها تحتاج إلى مزيد من الشرح، بالنسبة إليها فلسفة العلوم، أكثر من منهج، بل أسلوب حياة: لا يجب أن تتوقف الأسئلة

تقديم وحوار **أحمد محسن**

■ سنبدأ الحديث عن كتابك الأخير: «فلسفة العلوم بتوقيت بيروت». قبل القراءة قد يكون السؤال البديهي عن شخوص الكتاب المختارين بعناية. وبعد القراءة سيوضح المنهج سريعاً ما يجمع كمال يوسف الحاج، ورينيه حبشي، وناصيف نصار وما قد يفرقهم. هل يحق الافتراض إذاً أن صفة التوقيت تعود إلى الزمن الذي تبلورت فيه الأفكار وظهرت، أي الفترة التي سبقت الحرب الأهلية اللبنانية مباشرة، أكثر من كونها صفة تلازم المدينة نفسها؟ وإذا كان هذا صحيحاً أم خاطئاً، على المستوى النظري، هل كانت هذه الفلسفة أثراً ناجزاً لما سبق ولادة الكيان ومستفيداً من هوامش الحرية والتفكير، أم أنها مساهمات استثمرت في البناء الأيديولوجي خلال الحرب وبعدها؟

- يمكننا أن نتفق أن هؤلاء الفلاسفة الثلاثة استشعروا الأزمة. ناصيف نصار مثلاً بدأ كتاباته بالتزامن مع النكسة، وهو نفسه يقول إنه بدأ من اليأس. ولذلك لا يمكن أن يتجاوز هذا اليأس إلى يأس آخر. وقد سمّيته مولوداً في «برج الهزيمة» انطلاقاً من هنا. كل مشروعه الفلسفي للخروج من خرائب هزيمة 1967، والتي تعد الحرب اللبنانية، على الأقل في انطلاقتها، من الهزات الارتدادية للنكسة. ولكن بالنسبة إلى تأثير أعمال الأشخاص الثلاثة في الحرب، فهذا ليس صحيحاً برأيي. كمال الحاج الذي يصنَّف يمينياً، وعلى عكس ما يعتقد كثيرون، كان منظراً للقومية العربية والأمة اللبنانية، وكان منظراً للغة العربية. رينيه حبشي كان منظراً للمتوسطية. لم يكن لديهم أفكار حادة متصلة مباشرةً بالمسألة اللبنانية. ربما كانت هناك محاولات لاستغلال اشتغالاتهم، لكني لا أعتقد أن هذه المحاولات ناجحة. في وسطنا، الفيلسوف الذي يعمل في الفلسفة ليس رمزاً، أو صاحب تأثير بما يكفي. المثقف المفضّل هو الشاعر ربما، أو أي مثقف آخر، لكن ليس الفيلسوف. دعني أستعير هنا وصف إلهام الحاج عن كمال الحاج في أطروحتها لتوضيح وجهة نظري: «الطربوش الفلسفي للبورجوازية اللبنانية». في الواقع، لم يكن كمال الحاج محبوباً في القاعدة المسيحية العامة، لأنه بالنسبة إليهم لم يكن لبنانوياً بما يكفي، وكان عروبياً. وبالنسبة إلى الطائفية التي أصرّ عليها ودافع عنها كشرط كياني، فهي تنتزع الآن من خطابه، بعد إعادة اكتشافه، وهذا بعد انتهاء الحرب بكثير. يمكنني القول إنه خلال الحرب، لم يكن هناك أي أثر للفلسفة.

■ تتحدثين عن حالة تشبه «اليقظة» أو الاستنفار، في حالة المتفلسفين الثلاثة، انطلاقاً من فهم وتصور جدي لحالة الفلسفة اللبنانية تاريخياً وموقع الفلسفة نفسها عبر أهلها وإنتاجهم في المجتمع. لكن من المآخذ المطروحة، هو مركزية القضية اللبنانية في الاختيار، وليس مركزية المجتمع الذي ترتبط الفلسفة بقضاياه وفي حالتنا يمكن القول إنه المجتمع اللبناني. فإذا كان شرط الاختيار هو «أصالة» علاقة المتفلسفة بالمجتمع، لماذا استبعاد أشخاص مثل مهدي عامل وحسين مروة من «توقيت بيروت» الذي تتحدث عنه؟

- بالتأكيد كان استحضار هذه الأسماء ممكناً. الاختيار، ورغم أني بررته ـ مثل أي اختيار، يحتوي على نسبة معينة من الاعتباطية. ما قدمته هو نموذج. وقد ذكرت في كتابي أن هذا لا يعفي من ضرورة وجود دراسات أخرى عن آخرين. تالياً لا يمكنني الادعاء أن الشخصيات الثلاث رغم أهميتها هي تمثيلية. أوافقك أن هؤلاء الثلاثة لديهم مشتركات معينة، فثلاثتهم مسيحيون، وثلاثتهم درسوا في فرنسا.

■ حتى إن رينيه حبشي كتب بالفرنسية فقط، على عكس كمال الحاج الذي كان متمسكاً بالعربية...

- هناك تنوع بين الثلاثة لكنه تنوع ضمن فضاء واحد. لكن عندما اختَرت «توقيت بيروت»، كان اختياراً رمزياً يقود إلى الجغرافيا لا إلى العصر. أما ارتباطهم ببيروت، فيأتي في سياق نقاش طويل عن الفلسفة اللبنانية وخصوصيتها. كما تعلم، هناك من يقول إنه ليس من فلسفة لبنانية خارج الفلسفة العربية والإسلامية، وهناك نقيض لهذه الفكرة، يمثلها من هم مثل كمال الحاج الذي يقول إن ثمة فلسفة لبنانية عبر العصور، ولديها شخصيتها الخاصة وإن نطقت بالعربية. الفكرة من «توقيت بيروت» بالنسبة إليّ تقع بين فكرتين: سواء اعترفنا بلبنان كوحدة قومية مستقلة، أو كغلطة تاريخية، فإن التفكير في بيروت مختلف عن التفكير في اليمن أو في الخرطوم. ولا أنطلق من الأيديولوجيا هنا إنما من الفلسفة، لأن شيئاً ما يأتي من المكان لا يمكن التغاضي عنه. وقد حاولت في الكتاب أن أبيّن أن ما يأتي من المكان، وهو بيروت بوصفها استعارة تدل على لبنان، هو مشترك في أعمال المفكرين الثلاثة على اختلاف مشاربهم. هناك مناخ من الحريات في لبنان وهناك اتصال بالغرب، لعب دوراً في تطور هذا النمط من التفكير، وإن كان مستورداً أو تنقصه الكثير من الجدية، وفي نشوء هذه الأفكار في لبنان، وليس في أي مكان آخر.

> **لم يكن كمال الحاج محبوباً في القاعدة المسيحية العامة، لأنه بالنسبة إليهم لم يكن لبنانوياً بما يكفي، وكان عروبياً**
>
> **سواء اعترفنا بلبنان كوحدة قومية مستقلة، أو كغلطة تاريخية، فإن التفكير في بيروت مختلف عن التفكير في اليمن أو في الخرطوم**

■ في معرض تفسيره لعلاقة الزمن بالأشياء، يقول هايدغر إن لفظة «الشيء» تطلق على كل ما هو ليس عدماً، ويشرح دور الهاجس في تحديد قرابة الأشياء من بعدها. هل يحق لنا الافتراض أن «الانخراط في طبقة التاريخ السميكة»، قد ينزلق للتمظهر كهاجس؟ يمكننا أن نعطي مثالاً عن ذلك الدمج بين مفهومي الدولة والمجتمع في فلسفة كمال يوسف الحاج، ما أدى إلى الانزلاق إلى موقف مدافع عن الطائفية، صار التراجع عنه صعباً؟

- كمال الحاج لم يكترث لهذا النقد طوال الوقت، فقد اعتبر الفلسفة معاناة ذاتية وتأريخاً ذاتياً. وبهذا المعنى كان يتحدث عن هواجسه الشخصية فعلاً، وهو لا يقيم وزناً للموضوعانية. بالنسبة له الفلسفة تعبير عن معضلاته وعن أوجاعه، وتالياً لا تنفصل عنه كشخص، وثانياً كمنتمٍ إلى مجموعة، وهي تحقيق قومي وتحقيق سياسي، علماً أن الفلاسفة الآخرين لا يوافقون على ذلك.

■ يمكننا القول إذاً إن «تاريخية الفلسفة اللبنانية» التي يتحدث عنها كمال الحاج، ليست إلا «تاريخية الكيان اللبناني» نفسه، التي هي موضع سجال جدي بالنسبة إلى كثير من المؤرخين؟

- علينا أن نتفق على تعريف التاريخية أولاً. لكن الفلسفة اللبنانية بكل تأكيد مرتبطة بتصوره عن الكيان نفسه. عندما تضع الفينيقيين والإمام الأوزاعي وجبران خليل جبران وميخائيل نعيمة في السياق نفسه، وتنظر إليهم كما لو أنهم في طريق واحد يقود إلى الحاضر، فأنت تقرأ التاريخ بطريقة استعادية، وبطريقة أيديولوجية أيضاً.

■ لسيرة المتفلسفة اللبنانيين، وانطلاقاً من الحدث الذي بات قريباً، بتكريم أدونيس ضمن سلسلة «اسم علم» (السادسة والنصف من بعد ظهر اليوم في مركز الجامعة الرئيس في الحدث) في الجامعة الأنطونية التي تشرفين عليها، وعلى مستوى المنهج والخلاصات، أين يتموضع أدونيس «العربي» في مواقفه الفلسفية والسياسية عموماً، خاصةً أنه سوري، إلى جانب من يمكن أن يجلس من المشتغلين في الفلسفة؟

- أدونيس قامة فريدة، وأعتقد أن اختياره لا يحتاج إلى تبرير، فهو حاضر في الثقافة العربية، ويقع في مركز تتقاطع فيه الفلسفة بالفنون. عندما بدأنا بإطلاق سلسلة «اسم علم»، كانت مرتبطة قطعاً بالفلسفة وبالعلوم الإنسانية، ولم تكن تذهب باتجاه الفنون. ليس هناك أي سبب مباشر لاختيار أدونيس هذا العام تحديداً. قفزنا هنا إلى فكرة جديدة ولكني أراها مهمة: مسألة الحدود بين الفلسفة والفنون. هذه فكرة مشتركة بين نصار والحاج وحبشي أيضاً. لقد سأل هؤلاء أنفسهم: هل ما نقوم به فعلاً هو فلسفة أو تفلسف؟ هناك رأي شائع أنك ما لم تعمل وفق منظومة فلسفية محددة وواضحة على غرار المنظومة الهيغلية، فإن ما تنتجه ليس فلسفة، وقد يكون شعراً أو أدباً أو أي نوع آخر من الفنون. أدونيس هو شِعر يفكر بنفسه، وهو صاحب مشروع فكري أيضاً، وهو صاحب موقف من التراث، الذي هو أحد المآزق الرئيسية للتفكير في منطقتنا. يمكننا هنا أن نذكر بدعوة ناصيف نصار لوفاء خلاق للتراث، لبناء موقف نقدي منه، قبل الانطلاق في أي مشروع فكري.

■ شاركت أخيراً في ندوة احتفائية بترجمة كتاب الشيخ شفيق جرادي (هل الدين نزعة إنسانية؟) إلى الفرنسية، وفي تعليق لك ذكرت أن الكتاب يعيد للتاريخية معناها كمجال للسؤال والتفكّر. برأيك هل تستخدم هذه النزعة التاريخية من الباحثين الإسلاميين عموماً كأداة محايدة دائماً؟

- أعتقد أن فكرة التاريخية لم تصل إلى مداها الصحيح في الإسلام. في حالة الكتاب الذي ذكرته، كنت أتحدث عن فصل محدد في الكتاب. وهذا الفصل يتحدث تحديداً عن «السؤال». وكما تعلم، في الفلسفة، عندما نتحدث عن السؤال، نكون قد رفعنا السقف كثيراً. لكن هذا السقف انخفض في بقية فصول الكتاب. في النهاية، إذا أردنا الذهاب بالتاريخية إلى أقصى درجة، فعليك أن تبدأ بتاريخ النص.

■ يعرف متابعك من دون الحاجة إلى البحث أنك من المهتمين بقضية المرأة، وأقصد تحرر المرأة من الهيمنة. هل تكفي الأسئلة والتفكّر للوصول إلى الحقيقة، أم أن الخطاب الأنتروبولوجي والسيميائي في مجتمعنا بات متقدماً على حضور الفلسفة في المجال العام؟ هل المرأة حاضرة داخله كذات في الخطاب الفلسفي العربي أو في نتاجه؟

- الفلسفة متعددة. هناك نصوص فلسفية يستحيل أن تكون كاتبها امرأة. جاك دريدا يفسر ذلك في أحد النصوص، حيث أن الذات المقصودة كانت ذاتاً ذكورية تلتقي ذاتاً أخرى هي امرأة. ولكن لا بد من التذكير طبعاً بتراث طويل من تهميش النساء في الفلسفة ابتداء بأفلاطون، والتذكير بأن عدم حضورها في الفلسفة هو شكل من أشكال عدم حضورها في الساحة الثقافية عموماً. ليس هناك شاعرات عربيات بقدر الشعراء العرب مثلاً. الفلسفة التي هي تعبير عقلاني عن شكل الوجود نسبت في مجتمعاتنا الذكورية إلى الفحولة، وألزمت المرأة بالحديث في الأدب والشعر أو ضمن أي خيار آخر يحاول تأطير المرأة كأنثى تابع أو خاضع للهيمنة.

■ انطلاقاً من خلفيتك الفلسفية، وعلى مستوى المجتمع وفي انعكاساته في السياسة وغيرها من المواقع، هل تعتقدين أن المرأة العربية واللبنانية تحقق المكاسب أم أن العالم الخارجي ما زال يتجاوزها كذات بسبب اضطرارنا الدائم للعودة للحديث في البديهيات؟

- كانطباع عام، وفي مسألة الحقوق، يمكنني الافتراض أنّ ثمة تقدماً على مستوى الرأي العام. مخجل الآن أن تقول إنك ضد منح المرأة جنسيتها لأولادها، وهناك رأي عام يرفض تزويج القاصرات، ويرفض العنف الزوجي. لا يمكننا القول إنه ليس هناك أي تقدم. ولكن نحن في القرن الحادي والعشرين، ويجاور هذا التقدم خطاب ديني يتقدم بدوره. نجد أنفسنا بحاجة إلى أن نبرهن أن العنف لا يمكن تبريره وأن المرأة إنسان. باختصار، تحاول أن يشدنا إلى الوراء خطوات تتجاوز الخطوات التي نتقدمها بكثير. الرأي العام تراكمي، وهذا يظهر بوضوح في السياسة، في لبنان مثلاً. المطالبات بحضور المرأة في المشهد السياسي انتهت بإجراءات شكلية تساير الرأي العام، لكن الخيار ليس سلبياً بالمطلق، وليس إيجابياً بالمطلق. لكن يجب الانتباه إلى أن أي ظواهر «فاقعة» بين السياسيات، لا تلغي ظواهر أشد فقعاً بكثير بين السياسيين الذكور. السياسة مأزومة في بلادنا. ولا يتوقف الأمر على لبنان، هناك صعود للخطاب الديني في المنطقة، وهناك تعامل إعلامي سطحي مع هذه القضايا. لا يلغي ذلك أن حداثتنا اللبنانية التي نتغنى بها هي مجرد قشرة وتوجد تحتها ظواهر مهولة.

> **أدونيس هو شِعر يفكر بنفسه، وهو صاحب مشروع فكري، وهو صاحب موقف من التراث، الذي هو أحد المآزق الرئيسة للتفكير في منطقتنا**
>
> **يجب ترتيب العلاقة مع النص لأنه أحد المبررات الأساسية للعنف**

■ في مقابلة سابقة، تحدثت بإيجابية عن النزعات الهرمنوطيقية في قراءة النص الديني، مثل علي عبد الرازق ونصر حامد أبو زيد. لكن يلمس القارئ تشاؤماً كبيراً في المشهد المعاصر. هل تعتقدين أن صعود العنف من النص إلى الواجهة، والحديث هنا عن التطرف والتفجيرات بمعزل عن الخوض في الأسباب السياسية المباشرة، سببه الانتصار على محاولات الإصلاح، أم أن ثمة اهتزازاً حقيقياً في القيم وتحولاً في النظرة إلى الأخلاق، بسبب التدخل الغربي؟

- برأيي، لا علاقة خطية - أفقية بين النص والسلوك على بُعد 1400 عام. النصوص الدينية مثل أي نص، تحتوي التعدد. ما نعرفه من القرآن مثل ما نعرفه من التوراة أو من الإنجيل وهو جزء يسير. الاختيارات تحدث تبعاً للحظات الإيديولوجيا، وعلى أساس خيارات سلطوية، تضيء على ما ترغب به من النص. وهذا حدث في المسيحية، فالمسيحية لم تخترع «ما لقيصر لقيصر وما لله لله» عندما دخلت العلمانية، كان هذا موجوداً من قبل، لكن بلا ضوء كاف. لكن بصراحة أيضاً، لدينا مشكلة مع النص. النص بحاجة إلى تأويل وإلى مساءلة. هل يجب أن نبقي على مفهوم «اضربوهن» أم نذهب للبحث عند ابن منظور عن معنى آخر؟ هل نبحث في سياقات النص؟ يجب أن نأخذ موقفاً في النهاية. هل هناك ما ملكت أيمانكم؟ هل هناك جن؟ وسورة الكهف كيف نفسرها؟ يجب ترتيب العلاقة مع النص لأنه أحد المبررات الأساسية للعنف. ولا يمكن أن يظهر من يقول «لا يمكننا تكفيره»، فتصير هذه اللازمة كعباءة دينية للعنف.

■ ننتبه إلى هذا عندما نواجه عنفاً يفيض عن الواقع، ماذا عن التجارب الإسلامية الأخرى التي تندمج في الدولة، لكنها تلتزم بالنص وتحتمي به كمرجعية؟

- العنف يربط نفسه بالنص ويمنح المشروعية لهذا العنف. هذه الورشة يجب أن تبدأ، وأقصد مواجهة النص بالأسئلة. وقد ذكرت في مقابلة سابقة أن الأجوبة ليست في الماضي. النص من الماضي مهما كان مقدساً.

■ هل ثمة علاقة بين كل هذه المسائل ومسألة تراجع الحريات في لبنان أخيراً؟

- الحريات في لبنان تشهد تراجعاً مستمراً منذ فترة. لكن لدي شعور، منذ بداية وعيي بالرأي العام، أن ما نقوله في لبنان عن الحرية مبالغ فيه. ثقافة الحرية عندنا متدنية وهشة. هناك سلسلة شروط يجب أن تحترمها في لبنان كي تقول رأيك من المقدّس وغيره. لا يبقى من الحرية شيء في هذه الحالة. الحرية هي أن تكون حراً، حتى في أن تطلق نكتة سفيهة، أو أي شيء. في بريطانيا، هناك مدرسة في انتقاد شكسبير إلى درجة القول إنه مخترع، ولم يؤثر ذلك في مرجعيته. نقد الديكارتية القاسي في فرنسا لعب دوراً في أسطرة ديكارت للفرنسيين. نحن ما زلنا هنا نخترع الرموز ولا يمكننا انتقادها.

■ الحديث عن الديموقراطية والدولة والإسلام والحرية ليس جديداً، وكما تعلمين صار مستهلكاً. لكن الإنسان الذي وجد نفسه «مرمياً» في هذا العالم، وبعد أن ينتبه إلى أنه كان معلقاً بشيء ما، يحق له ربما الأمل، مع أن العاملين في الفلسفة لا يحبّون الأمل. لكن هل يوجد أي أمل؟

- يمكنني الحديث عن لبنان. ولا أجد أي أفق. هناك اهتزاز كبير في هذه المسألة. أضف إلى ذلك، الديموقراطية مأزومة في المنطقة بأسرها. لبنان مرتبط بالمنطقة، والأصوليات في حالة صعود يوازيها تراجع في الديموقراطية كثقافة.

باسكال لحود: الفلسفة التي هي تعبير عقلاني عن شكل الوجود نسبت في مجتمعاتنا الذكورية إلى الفحولة (مروان طحطح)

ذكرى

«جنقي» الذي مات في الحبّ

خليفة الفاخري... نحّات القصة الليبيّة

محمود علي

«إنك يا خليفة شيء أحبه.. أحبه جداً.. وأحترمه.. إنك ولد صغير ومغرور.. ويسكن في بقعة مظلمة.. ولكنك عندما تكتب تصبح إلهاً حقيقياً».
رسالة من الصادق النيهوم إلى خليفة الفاخري بتاريخ 9 شباط (فبراير) 1963

رغم مرور 18 عاماً على رحيله، ظلَّ خليفة الفاخري (1942 - 6 يونيو 2001)، أيقونة حيّة في الأدب الليبي، تُستحضَر نصوصه واقتباساته على الدوام من مُؤلَّفاته الثلاثة: «موسم الحكايات» و«بيع الريح للمراكب» و«غربة النهر»، بالإضافة إلى «منابت الريح» الذي كتب فيه صديق دربه القاص محمد عقيلة العمامي سيرته الأدبيّة بعد رحيله، وتضمن كتاباته غير المنشورة في كتبه الثلاثة السابقة.

إبّان الحرب العالمية الثانية، في بنغازي «الخربة من وقع القصف» آنذاك، وَلَدَ «جنقي»، وعاش شقياً، مشاغباً، مشاكساً، رغماً عن الجوع والفقر والغارات الجوية، بعدما مات قبله ثلاثة أخوة. ومن الكتاتيب القرآنية ومكتبة «بوقعيقيص» الشهيرة والمراكز الثقافية الأجنبية، نال (رغم تركه المدرسة في سن مبكرة) قسطاً جيداً من المعرفة والدراية بالأدب والإلمام بعلوم اللغة العربية.. اللغة التي يعتبرها «كائناً حياً» لا مجرد صنم، حتى «أصبحت غولاً خرافياً لا علاقة له بالحياة». يدرس الإنكليزية وتنقل بين العواصم الأوروبية ليقرأ «الكلاسيكيات» بلغتها الأم. لكن الطفل الشقي ما لبث أن هدّأ، وترك هوايات الطفولة خلفه؛ كرة القدم (حيث كان لاعباً مع نادي «التحدي») والملاكمة، وشرع في كتابة القصة الواقعيّة، منذ بداية ستينيات القرن الماضي، منطلقاً من بيئته الليبية (البنغازية بشكل خاص) ومحيطه العربي، متأثراً بشكل كبير في بداياته بإرنست هيمنغواي والعديد من الكتّاب الغربيين، فضلاً عن الكثير من الشعراء والكتّاب العرب، قديماً وحديثاً. إذ سمى أبناءه على غسان كنفاني ومي زيادة وغادة السمان. كانت ملامحهُ «هيبيّة» على طريقة جيل الستينيات، بشاربيه وشعره الكثّ. سطع نجمه عندما بدأ بنشر مقالاته في صحيفة «الحقيقة»، حيث كان يكتب صديقه المقرب المفكر الصادق النيهوم (وصفه بأنه «ينحت الكلمة نحتاً»). والحديث عن أحدهما دون التطرق إلى الآخر يصبح ناقصاً. تأثر كل واحد منهما بالآخر، وظلت الرسائل المتبادلة بينهما (جمعها العمامي في كتاب «قطعان الكلمات المضيئة») بعد وفاتهما)، على عفويتها، من أجمل ما كتب كلٌّ منهما. لقد كانا «بطلين» بالنسبة إلى أبناء جيلهما حينذاك، بما حملاه من أدوات وأفكار جديدة وتمرد على المفاهيم السائدة باعتبارهما أبناء جيل «انظر خلفك بغضب».

إنّ الصداقة سمة أساسية في كتابات الفاخري، سمة تصل إلى حد القداسة، وتدور حولها معظم نصوصه؛ «وأرنو إلى الأصدقاء الذين زرعهم الشيطان بنفسه في المقاهي مثل حزم الصبار». وهكذا، لم يكن النيهوم الصديق المقرب الوحيد لصاحب «موسم الحكايات». الشاعر العراقي عبدالوهاب البيّاتي جمعته به علاقة وطيدة، كما جمعهما الحبّ والثورة والحلم بغدٍ مشرق، وتأثر كلٌّ منهما بالآخر، وأصدرا معاً «يوميات العشاق الفقراء» و«عين الشمس» أثناء إقامة الفاخري في كوبنهاغن. وسمى البيّاتي أحد دواوينه على إحدى قصص الفاخري «عيون الكلاب الميتة»، فيما كان «جنقي» يستشهد كثيراً بأبيات من صديقه الذي وصفه بأنه «عالم شعري قائم بذاته».

عاش ساعياً «خلف وجوه الأصدقاء». وفي غربته البريطانيّة، تكفل بترجمة كلمات أغنية «تعاطف» لفرقة «راري بيرد» الإنكليزية، وأرسلها إلى أصدقائه؛ «ليس ثمة حبّ يكفي الجميع.. والتعاطف هو ما نحتاج له يا صديقي». وامتدت عاطفته إلى باقي الكائنات الحية. منذ طفولته، حظي بصداقة حميمة مع خروفه الصغير الذي كان يصحبه معه إلى البحر ويغسله ويمسد شعره حتى «يصبح كلي البياض مثل عين الشمس». حتى جاء العيد وذبح أمام عينيه وظل الخروف ينتفض مثل قلبه. يستدرك معلقاً على شهداء «حرب أكتوبر» الذين قتلوا «كقربان على مذابح سيناء من أجل إعادة العلاقات الدبلوماسية الأميركية» بالقول: «ليست الخرفان وحدها السيئة الحظ... الإنسان كذلك!».

«فتحرك يا رفيق/ وانطلق في العمر مرة/ كي نريق../ دمنا فوق الطريق/ لنرى في الليل ثغرة»، هكذا كانت محاولاته الشعريّة في البداية، متأثراً بوالده الذي اشتهرت قصائده في الخمسينيات عندما تغنى بالاستقلال والثورة الجزائرية، غير أنه توقف عن ذلك مبكراً مستشهداً بـ«عبقري اللغة» الخليل الفراهيدي عندما قال عن تجربته الشعريّة: «رديئه لا يرضيني، وجيّده عصيّ عليّ». كما استشهد بدواوين عباس العقّاد المنسية؛ «من يتذكر الآن العقاد كشاعر؟» يسأل. لقد أدرك أنه لا يمتلك الموهبة التي تؤهله لأن يكون شاعراً لأن الموهبة شرط أساسي إلى جانب الثقافة والتجربة واللغة عند «الكاتب الحقيقي» بالنسبة له، و«إسقاط أي عنصر من هذه العناصر هو إسقاط للكاتب ذاته». ومتى ما توفرت هذه العناصر، فإن الوصفة السحرية لنجاح أي كاتب هي في «أن يكون صادقاً.. لا غير!».

مع هذا، كتب الفاخري قصصه وحكاياته ومقالاته بروح النثر والشعر، مطوّعاً الأحداث لرؤيته المستقبلية دونما أن ينتمي إلى مدرسة أدبية معينة. المدارس التي اعتبرها مجرد علامات على الطريق ولكنها ليست الطريق نفسه، مستشهداً بأبو يزيد البسطامي عندما قال: «غِبْ عن الطريق، تصل إلى الله!». لقد كتب القصة بما هي «تاريخ للشعوب» على طريقة غوستاف فلوبير في كتابة الرواية. تاريخ الأزقة الشعبية؛ الأطفال الأشقياء والفتيات الطائشات والعجائز الطيبون والسكارى المترنحون والجزارون الغشاشون و«أصحاب الصمت الوقور» والعمال المستغلون في معسكرات التنقيب عن النفط حتى «ظلت أكتافهم الندية تعكس أشعة الشمس». وبشكل عام، كان يرى بأنّ التاريخ العربي والإسلامي كُتب من وجهة نظر السلطة، ويحتاج إلى إعادة قراءة وكتابة من جديد. التاريخ الذي أهمل حيثيات ثورات «أهل الأحداث» و«الزنج» و«القرامطة» و«الخوارج» و«التوابين» و«المحررين»، واكتفى بوصفهم بأنهم خارجون عن الدين.

باختصار، لقد عاش الفاخري حياته مشغولاً بهم الكتابة على نار هادئة. ومتى ما عجز عن ذلك، انصرف إلى أعمال أخرى كونه أيضاً رساماً وخطاطاً ونحاتاً (له منحوتة مميزة على «ديك الجن» الذي تأثر كثيراً بشعره). وإذا ما استعصَّنا عن الاختصار بما قاله هو شخصياً، سنجده كمن يرثي نفسه سلفاً. كتب يوماً في إحدى قصصه: «ظللت أذرع طريقي طيلة سنين.. وشعرت أخيراً بالإعياء والتعب، ثم قيل لي في النهاية أن المرء، لكي يحب حقاً، لا بد أن يموت.. أن يموت في الحب.. أعني هكذا، على طريقة الفراشات، والأنهار، والحلاج».

فائزة رمضان - ليبيا

قصص وشذرات

كنت عائداً من القاهرة ذات يوم..
كان معي في نفس السيارة صديق عراقي* لم يزر بلادنا من قبل قط، ولقد ظل يحكي لي طيلة الطريق عن الشعر الشريف.. وخلاص الإنسان.. وعذاب الرواد الأبطال على مدى الزمن.. والغربة.. والأسوار الصلدة على حدود المنفى.. والحنين.. وألف شيء آخر!
كان حديثهُ مشوّقاً للغاية!
وحين وقفنا أخيراً عند بوابة المساعد.. وشرعنا ننتظر في تلك الصالة، أشار الرجل ذو الأزرار النحاسية إلى كتاب كنت قد وضعته في حقيبتي..
وقال لي:
_ هذا الكتاب ممنوع إدخاله إلى ليبيا!
ورماه في أحد الأدراج.. على حين شعرت بالخجل يحرق وجهي.. وأعماقي كذلك.
كان الكتاب: «مذكرات جيفارا»!
ولقد ظل بريق الأزرار النحاسية في وجه النافذة المشعة ينفذ إلى عيني على نحو مؤلم. حتى رفعت بصري إلى السقف، وحينما انطلقنا من جديد، قال لي صديقي بأسف مرير:
_ مسكين جيفارا.. مطارداً حياً وميتاً! **

*** الصديق العراقي المقصود هو الشاعر عبد الوهاب البيّاتي عندما زار ليبيا سنة 1967 برفقة الفاخري.**
**** من مقال «كلمات متقاطعة» (20 نوفمبر 1968).**

نبوءة قديمة

سيضيق في عينيك الطريق..
ويضيق.. ويضيق ويطفح الأسى على جدار قلبك مثل طحالب بليدة.. وتغتم السماء على نحو حالك دون أن ينهمر المطر.. وتحيل أجفانك بدمعتين هادئتين.. وتجوب خطاك المتلعثمة دوامة الدروب بلا صديق.
.. ويضيق الطريق!
ولكنك لا تزال قادراً رغم ذلك، على أن تداعب تطلعاتك الملونة المدهشة، المتراقصة أبداً على أسراب أهدابك، إلى حد أنك ستضجر فيه ذات يوم من عتمة قبوك الكئيب.. وتذرع تلك الغابة الكثيفة الشريرة الأغصان بحثاً عن ثغرة ضوء تقودك عبر الجذوع القاسية إلى السهب المخضر، المستلقي في عفوية مطلقة بامتداد السماء!.. وتنهشك الأغصان وتمزق جبينك، وثيابك، وساعديك، فيما تظل عيناك متشبثتين في إصرار بذلك الحلم العتيق.
ويضيق الطريق!
ويضيق إلى أن تبرق أمامك فجأة نقطة الضوء من خلال الأوراق المتهدلة في إعياء كامل.. وتنفجر موجة النور على حبات العرق الناضحة تماماً على جبهتك.. وتوسع الخطى على نحو تلقائي.. وتتعثر مراراً، وتواصل المسير أخيراً إلى ضفة الغابة، وعندئذ ستغمض عينيك ببساطة.. وتتنفس بعمق إلى حد يصيب الآخرين بالاختناق! فهل أصبحت قدماك عاقرتين الآن؟
أبداً.. أبداً!
فهما ستلدان آلاف الخطى من جديد عبر السهب، إلى أن تلمح ذلك الكوخ الناهض بكبرياء على قمة الجبل حيث تسكن تلك المنجمة العجوز!
.. وتعدو إلى هناك!
«ماذا تريد هنا؟»
كذلك ستفاجئك العجوز مثل عطسة، وتشعر بأن قلبك قد غاص إلى قدميك.. وإذ تثب عيناها البارزتان كعيون الضفادع إلى قاع أعماقك، يتسلل طرف لسانك ليبل شفتيك القاحلتين.. وتندلق الكلمات:
_ «كنت.. كنت أود أن أرى الغابة بكل.. بكل أبعادها!»
وتنظر إليك ملياً، ثم تغطس رأسها بين كتفيها في تربص وتقول:
_ «وماذا أيضاً؟»
_ «كما أريد أن أرى الأيام القادمة في مرآتك.. هل، هل يمكنني هذا؟»
وتصمت العجوز قليلاً.. ثم تقول لك:
_ «حسناً، دعني أفكر».
وتختلس النظر إلى جسدها النحيل، وشعرها المنفوش مثل مكنسة، وأنفها المعقوف إلى الداخل كمنقار بومة.. والودع، والأصداف المبعثرة على أرضية الكوخ، والمرآة ذات البقع المسودة مثل سماء مغطاة بقطعان الغيوم، وتتناهى إلى أنفك رائحة غريبة كرائحة أعشاب الشاطئ المهجور، على حين ترسل الريح صفيراً حاداً عبر شقوق أخشاب الكوخ المتآكل... وإذ تنظف العجوز حنجرتها بسعال خفيف، تخرس الريح تماماً، ثم تتجه ببصرها إليك قائلة:
_ «حسناً، لا بأس من ذلك».
وتقوم إلى مرآتها، وتمسحها بطرف ردائها الأسود إلى أن تنجلي، ثم تضعها أمامها دون أن تسمح لك بأن ترى على صفحتها أيّ شيء!
ستقول لك المنجمة العجوز:
_ «أنت من بنغازي، أليس كذلك؟».
_ «أجل.. أجل!».
- «حسناً، لقد عرفتها بالترع الممتدة باتساع الشوارع، والأطفال المبللين أبداً طوال الشتاء»!
وتشعر بالخجل يحرق جبينك، وتقول بهمس:
_ «بالضبط، هذا ما يحدث هناك.. فهل ثمة حل؟».
- «أبداً، إلى أن يقذف الله المقاولين وأعوانهم إلى قعر السعير، ولكن دعنا من هذا، فثمة ما هو أسوأ من ذلك.. أتسمع! إن بلادك ستصبح مثل غابة، تماماً مثل غابة، حتى إنك ستظل تحلم بالذئاب بلا انقطاع، فيما تصدأ على شفاهكم كل الكلمات الصادقة.. وإني أرى الآن أن أحد الرجال يقتل على الرصيف مثل كلب ضليل لأنه قال كلمتين صادقتين في قاعة المحكمة.. وسيقتل مثلما قلت لك تماماً.. حسناً، وثمة رجل سيأتي إلى المحكمة في نفس القضية، وسيقول كلماته بشجاعة وجرأة، ولكن الذئاب ستمزق جسده أمام بيته في اليوم التالي..
.. وتخرسون جميعاً»!
وتوسع الدهشة عينيك، وتتساءل:
_ «وماذا سيحدث أيضاً؟»
_ «سوف لن يكون في إمكانكم أن تفعلوا شيئاً سوى أن تنصتوا إلى رؤساء التحرير الذين سيحترفون تجارة المديح.. إن ألسنتهم المعوجة لن تتحرك إلا عند التودد والترحاب».
_ «وماذا أيضاً؟» وتتطلع العجوز إلى المرآة طويلاً، ثم تقول:
- «سيفد عليكم قطيع آخر من الذئاب.. وتكتظ بلادكم بالأجانب إلى حد يفكر فيه المواطن كثيراً قبل أن يلقي تحية الصباح.. وسوف يكون الأمر يسيراً للغاية، إذ ما إن يدفع أحدهم عشر جنيهات _ من طريق المتعهد _ حتى ينال في بيته تأشيرة الإقامة!».
وتصرخ أنت على الفور:
_ «يا إلهي، وماذا أيضاً؟»
- «وسيبيع المقاولون العمال التعيسين إلى شركات التنقيب عن النفط. سيبيعونهم مثل الرقيق، ومثلما تباع الأحذية القديمة، وفيما ينزفون عرقهم في أقصى الجنوب، تظل الرياح الجنوبية الحاقدة تأكل حبات عيونهم وقلوبهم المليئة بالقهر والأمل!».
- «واو، وماذا أيضاً؟».
- «وستجتاحك مشاعر الحب في يوم ما..».
_ «أنا؟.. أنا؟».
- «نعم، إنك ستحب فتاة ذات حسن باهر.. وستنفق كل وقتك في تصيد خطاها إلى المدرسة..».
- «أتعنين أنها ستدخل المدرسة؟».
- «أجل، لكنها ستعتقد بعد سنوات أنها عبأت رأسها بكل العلوم، إلى حد أنها ستشعر بالزهو باتصال مثل طاووس أحمق في الوقت الذي لا تعرف فيه شيئاً مجدياً على الإطلاق.
ولكنك رغم هذا ستحبها بجنون حتى يورق قلبك، وتمتلئ عيناك بالرؤى الوردية ذات العبير... بيد أنها ستبتهج بانطلاقها إلى المدرسة بحرية كاملة، إلى أن تغيب عنك في أحد الأيام...
وتنتظر شهرين بعدئذ فيما يأكل القلق أعماقك بشراهة.. ثم تكتشف في النهاية أنها وضعت طفلاً من أحد العمال الوافدين من الخارج»!
وتصعق حتى يزرقّ وجهك وتتلاعب الأصداف الكلية البياض أمام نظراتك المخفضة ولكن العجوز لا تهتم بهذا، بل تواصل:
- «ستبقى بلادكم مثل مرساة وحيدة، متلفعة برداء من الصدأ، ستبقى مثل مرفأ مشحون بذكريات رحليكم إلى القاهرة، وأثينا.. فإذا عدتم مرة أخرى نهشتهم بضعة ديون أو سرقات بطريقة ما، وأهديتموها كلها في أعقاب الليل إلى (ماريا) القادمة من الحارات الوضيعة في إسبانيا للعمل بذلك الملهى».
وتفقد كل رغبة في أن تسأل عن أي شيء آخر، ولكن المنجمة العجوز تستطرد:
_ «ستمتلئ أعماقكم بالغرور لمجرد أنكم ارتديتم بدلاً جديدة.. وسوف ترفعون أنفكم عالياً عند أول انتقاد، سترفعونه في شموخ، ثم تبصقون كلمات مفرطة القبح.. والحماقة في وجه من يحاول أن يغرز خيوط الضوء في كهوف عقولكم.. ستصلبونه على مقاعد المقاهي، حتى يبكي الشيطان من أجله!».
ويغمر قلبك حزن جليل، وتخرج من هناك بخطى واهنة كأنك تسير في جنازة.. وتمضي دون أن تلقي نظرة أخرى على كوخ العجوز إلى أن تلج الغابة مرة ثانية!
وتشرع الأغصان الشريرة في تمزيق جبينك، وساعديك، على حين تلوح الجذوع أمامك قاسية مثل رجال الشرطة، وتأكل قدميك الأشواك.. والأحطاب المتيبسة الحادة.. ويحطم جبهتك جدار الظلام، ويفح في حقد صفيق.
ويضيق في عينيك الطريق..
(26 **أكتوبر** 1968)

رحلة الليل والنهار في الغرفة 21

«نستبدل منفى بمنفى، مثلما نستبدل حذاء بحذاء!» (بريخت)
الليل صديقي..
فحين تخلو الطرقات من ضجيج العربات والمارة، وتطفأ الأضواء في واجهات المحال، على حين تظل قصاصات الورق تذرع الطرقات أمام الريح الوافدة مع عتمة المساء. فيما تتصافح أوراق الشجر في صوت خافت.
حينئذ يتأبط الليل ذراعي. يأخذني من يدي ويرجع بي إلى غرفتي في الفندق. وإذ أغرقه بالضوء في الغرفة الباردة الجدران حين أدخل، يظل في وسعي أن أراه واقفاً خلف زجاج النافذة متطلعاً إليّ بطيبة مفرطة. ثم، على نحو تلقائي، يريني سماواته الغامقة الزرقة، المرصعة بالنجوم، وقمره المتزن الفاتن، وندف السحابات الناعمة، وأشباح الأشجار البعيدة، وقطة تسرح في الطريق.
أصافح كل ذلك بعيني معاً. أعانقه بحرارة. أبكي وأضحك على صدره. أحكي له عن بقية أصدقائي، أفني فيه – عبر الليل – ذاتي. وأعنيه أشعاراً لا أذكرها.
الليل صديقي..
وحين أطفئ النور، وآوي إلى سريري، يلج الليل زجاج النافذة، ويغمر الغرفة فجأة بحزن جليل دافئ. ثم يأحلام مشرعة الجفون، ملونة رغم العتمة، وبالصور، بعيون حلوة متسامحة رأيتها كثيراً من قبل. بالحكايات، بوجه الله المشرق في قاع قلبي.
وأحرق لفافاتي، زَانياً إلى السقف الذي لا أراه، وفيما أنفض رمادها، أكون قد نفضت عني كل متاعب اليوم. كل الحماقات الصغيرة وإساءات الآخرين إليّ، كل أحقاد السنين الماضية. وخيبة العمر في كثير من الأحيان. كل ذكريات الجوع، والجري في كل الاتجاهات، والتسول من أجل كلمة طيبة، والبكاء بلا دموع على أرصفة العالم عبر الجليد!
إنني أنفض قلبي مثل منديل أبيض مبلل، إلى أن تختفي من ساحته غابة التجاعيد، وأعدم بقية لفافتي الأخيرة، وأشرع في أن أنام.
لكنما الليل صديقي..
إنه يشدني من أذني برفق. ويذكرني بالوجوه العديدة التي قابلتها طيلة اليوم، ويمطر الصباح البارد، والصداقات التي كان في إمكاني أن أعقدها، والكلمات النابضة المدفونة في بئر القلب، والقصيدة التي نسيت مطلعها في بداية المساء، وبطاقة البريد التي أزمعت كتاباتها إلى أبي، واستقبال صديق قادم من الشمال غداً، وتتمة الرسالة التي سأبعثها إلى «روز ماري» في لندن، وانحباس المطر، والقطرات المتشبثة بأوراق الأشجار عند الظهيرة مثل ندى الفجر، ثم تمزق الغيمات، وانجلاء الأفق، وانهمار أشعة الشمس المتفتقة، والدفء المتسلل!
ويستغرقني النوم.
قلت لك إن الليل صديقي. لكنني أنساه على الفور. أخونه مباشرة حين يطويني النوم. وأظل أحلم بالنهار. برائحة الصباح الشذي. ومرأى الرجال المسرعين إلى أعمالهم. والحافلات الملأى بالعيون التي ما زالت تتثاءب، وعربات الأجرة المتلهفة أبداً. وأعناق الأشجار المتمايلة في وجه الريح. وتحيات الصباح الودودة، وألف شيء آخر أنساه دائماً في زحمة رؤاي!
الليل صديقي..
إنني حين أهمّ بالذهاب إلى عملي في الصباح الباكر، وأودعه خلفي في الغرفة، أجده لا يزال يلاحقني على طول طريق المرفأ. إن عتمة الليل، حينذاك، لا تفتأ تنشر بقية أطيافها على الصباح، فيما يصبح في وسعي أن أرى جدائل النخيل المتموجة، وأضواء البواخر البعيدة، ولمعان الطريق المبلل، وتمثال الغزالة الرمادي المحاط بست نخلات مهيبة، سامقة، والحديقة المهجورة ذات المقاعد الندية، وأن أسمع صياح النوارس المبكرة على امتداد الساحل، وأصوات الأقدام المسموعة فوق الرصيفين، والأمواج الرتيبة، وهدير العربات المضاءة، وتحيات الصباح الودودة!
إنني فيما أوالي مسيري، أحتضن كل ذلك شاعراً بالصقيع، رغم هذا، يقرض عظامي. لكنما أظل أمنّي النفس بأن الشمس ستشرق بعد قليل، وستوقظ عبير الأرض، وتغمر الناس – كل الناس – بالدفء والرضا.
ولقد كانت تشرق دائماً، وكانت أبداً علامة جيدة على نهار يستحق الحياة. يستحق أن يعاش بكل أبعاده.
قلت لك إن الليل صديقي.
وأنا أقول لك أيضاً إن النهار كذلك.
.. فلتتبارك الحياة!

(1975)

تخرج الذكريات من شق قلبي مثل ثعبان.. تخرج زاحفة، ملساء، لامعة، سلسة، ملونة. إنني لا أدري أحياناً إن كانت هي تفح.. أو قلبي ذاته.
*** من قصة «ثعبان الليل»، 2 سبتمبر 1992.**

إن نبضي الأرعن لا يعرف الانطفاء، فحين تجرح البجع، يشتد غناؤها.. وحين تغتم السماء، ينهمر المطر!
*** من مقال «كلمات متقاطعة» (20 نوفمبر 1968).**

الشمس هي الشمس حتى وإن كان نصيبك منها بضعة شعاعات، مجرد خيوط مشبعة بذرات الغبار، والريح هي الريح حتى وإن تسللت إليك عبر النافذة مثل سارق، والليل هو الليل مجرد كائن مملوء بالخرافات والأساطير والذكريات وبعض الأماني. إنك لا تملك سوى أن تكون أنت، أن تكون ذاتك.. أما غير ذلك فباطل، باطل وحق الله.
*** آخر ما كتبه (على قصاصة صغيرة) خليفة الفاخري قبل سبعة أيام من رحيله (31 أيار/ مايو 2001).**

ترجمة

هنري جيمس: الإلهام المُعذِّب

سومر شحادة

من بين موضوعات كثيرة تعالجها الفنون، تبرز رواية «رودريك هَدْسِن» (1875) للناقد والروائي البريطاني من أصل أميركي هنري جيمس (1843-1916) مثالاً عن تلك الأعمال التي تجعل الفن بذاته موضوعاً ينطوي على الإلهام والحياة والحب.

الرواية التي صدرت أخيراً بالعربية (دار فواصل ـ ترجمة أسامة منزلجي)، هي أول رواية طويلة لهنري جيمس نشرها في حلقات طوال عام 1875. وأشاد عالمها السردي باستخدام ثنائيات متناقضة، واحدة أساسية هي رودريك ورولاند، وأخرى ثانوية هي كريستينا وميري غارلند، إلا أنّ هذه الثنائيات المتقابلة تتداخل في علاقات يصعب الفصل بينها، وإنّما تُفهم بمجموعها، إذ تثير بتنوّعها وتمايزها تساؤلات شتى حيال السعادة والالتزام والضرورة، الأمل والسيطرة والإيمان، الأخلاق والحب والواجب.

يمثل النّحات العبقري رودريك أساس الرواية، منذ اكتشافهِ من قبل صديقهِ رولاند، ومن ثم سفره من أميركا إلى روما، لتتوقّد شعلته هناك. يشرق نجمه ويعرف السطوة المثيرة للنجاح، قبل أن يذهب المجد ويأفل النجم، ويجعل منه جيمس أمثولة لموت الزهو وأثم الغرور. تتشابك في ثنايا رحلة رودريك حلقات معرفية وجمالية. إذ يناقش جيمس الزيف ليعرف الحقيقة، ويرى في العمل المكتمل خليطاً يجمع النقي والقذر، الجمال والقبح. بذلك، راح جيمس وهو يبني شخصية العبقري ينذر بانهيارها، وبينما ينهار المجد الذي بُني على أساس موهبة جاهلة، نلمح تداعي قيم الصداقة والعرفان. يشرق الجحود في النهاية مثلما أشرق الودّ بدايةً بين الصديقين، ليأخذ الموت مسار الحياة نفسه.

عبر بناء كلاسيكي لدربي الصعود والذروة ثمّ السقوط، يثري هنري جيمس نصاً ممسوكاً ومحدداً، ويجعل من المصائر ارتداداً لنفوس عظيمة، خطّاءة لكنها تأبى الشفقة. إذ يذكرنا برواية «نرسيس وغولدموند» لهرمان هسه، سوى أنّ فلسفة الغرائز واختيار النفس تخبو في رواية جيمس، لتظهر فلسفة أخرى قوامها خروج الإنسان عن ذاتهِ وإسنادها إلى أخرى، لا رحلة لاكتشافها، وإنّما عبر رؤية السعادة الحقيقية في ذلك الخروج. نلمح إلهاءً لـذات مشبعة بالفن والإيثار، عند رولاند، عبر تقديم ما يلزم للنّحات رودريك، الذي بدوره، يمجّد الكسل في أميركا والرغبة في روما، وما بينهما، ويبحث عن إلهامه الخاص. يثير جيمس أفكاراً عديدة مرتبطة بالإلهام، تشبه دليلاً لذائقة وضّاءة، حيث يكمن شقاء رودريك وإبداعه، في عدم قدرته على فصل البراعة عن الإلهام. يجد حاجة دائمة لاتباع كريستينا، التي ما أن رآها حتى وجد أنّها «نتاج العالم القديم». تنضج المأساة عندما يصيب النّحات هوسٌ بأميرة لا تملك مصيرها، ولا تملك أن تقاوم الزواج من رجل آخر، فيما يظفر منها بتمثال نصفي يصير حديث روما مثل تمثاليه آدم وحواء. إلا أنّ «الشغف يخبو والإلهام ينضب» ويجد رودريك نفسه عبقرياً ضائعاً بقلب ميتٍ. يطالبه رولاند بعدم تبديد براعتهِ بعاطفة معذبة. إنّه إذ يطالبه بالتخلي عن الإلهام فهو يطالبه بالعمل أيضاً، كما لو أنّ العمل المتواصل نوعٌ مضنٍ من الإلهام. يدفع في دربهِ المال اللازم، يحضر والدته وخطيبته ميري غارلند من أميركا في لحظة بدا أنّ النص قد انتهى، ليتجدد بقدوم ميري على عذابات أخرى تتكشف بحب رولاند لميري خطيبة صديقه رودريك. ميري فتاة بسيطة، أخلاقية وصارمة. إنّها تنتمي إلى عالم جديد، تهاب انهيار صورة أميركا وهي ترى الجمال الأوروبي، تتألم لانفصالها عن الماضي. تدخل ميري غير واعية، دائرة الحيرة التي ألمّت برودريك. في غمرة إساءته لخطيبتهِ، راح يسيء إلى جلّ الأشياء التي صنعته. إذ بدا أنّه دمية لدى كريستينا اللعوب والفاتنة، وميري دمية لديهِ، فيما رولاند، يلحظ الجميع، ولا يتدخل في شأن أحد. في حياد مطلق، يدعم صديقه، يحثّه على الالتزام مع خطيبته، مدفوعاً بشعور الذنب إزاء والدة رودريك وخطيبتهِ. لقد انتزعه من أميركا وراهن على موهبة تخبئ العطب بداخلها، لذا فإنّنا نراها، تبرق ولا تزدهر. إلا أنّ العلاقة التي جمعت رودريك ورولاند توحي بأهمية أن يؤمن بك الآخرون. يظهر هذا في سؤال رودريك المتواصل «هل تؤمن بي؟». لقد دفعه إيمان الآخرين بموهبتهِ إلى استهلاكها، ثم ما أن فقدوا إيمانهم به جراء سلوكه، حتى فقد هو ذاته القدرة على الاستمرار. وعندما تحين نهايتهُ، عندما يطلق النجم الشعاع الأخير قبل أن ينطفئ، تثمر الرواية عن حسّ مأساوي تام، كما لو أنّ موت الفنان، هو موت يلفّ الجميع بدثار الألم والرثاء.

تمثل رواية «رودريك هَدْسِن» عبر خلاصتها ومصائر أبطالها، لا درساً في الفن فحسب، وإنّما أيضاً درساً في العيش. إنّ الكاتب وضع شخوصه في مجال رحب وخطر، وتلك الآفاق التي تبدأ بها حيواتهم، هي آفاق لأقدار عاثرة، فيما يلمح القارئ الإرادة نوعاً من القدر، إرادة قوية وقاتلة في آن واحد، لا يتجنبها رودريك، لا تستّاء كريستينا من أقدارها، لا يعاند رولاند طبيعته، وتكون ميري محط استجابات انفعالية. هكذا كان الجميع يسقط في فخاخ مؤلمة وعذبة أشادها جيمس، جميلة وجذابة، حتى لا يمكن، ولو رأوا الهاوية، إلا أن يسيروا نحوها.

لا تمثل الرواية درساً في الفن فحسب، وإنّما أيضاً درساً في العيش

رواية

إبراهيم فرغلي: سِحر التّيه

يزن الحاج

يحبّ إبراهيم فرغلي لعبة الخيال ويتقنها. ينفر من الكتابة التقليديّة ومن الترتيب «الطبيعيّ» لأشياء والحياة، فيغيّرها على هواه. يكتب بعينيه وأذنيه بقدر ما يكتب بذاكرته. تتداخل الألوان والأغاني والأزمنة والأمكنة «الواقعيّة» مع عالم فنتازيّ يوازي هذا الواقع ويتقاطع معه أحياناً. يتبادل العالمان التأثّر والتأثير ويتبادلان العناصر، فتنتج صورة ضبابيّة غامضة تنزع من الأشياء صفاتها القديمة وتُلبسها مظهراً جديداً، فلا يعود المكان هو المكان ولا الزمان هو الزمان، ولا حتى الإنسان كما «يُفترض» به أن يكون. وبرغم أهميّة الطروحات والأفكار والمشاعر التي تشكّل فضاء الكتابة عند فرغلي، إلا أنّنا لا نشعر (أو لا نريد أن نشعر) بأنّ هذا الفضاء هو فضاؤنا المعتاد. ليس هذا هو الحاضر مع أنّه يُشعرنا بقسوة أيامنا، وليس هو الماضي لأنّ الماضي كان أجمل أو لعلّ قسوة الحاضر ترغمنا على تخيّل صورةٍ وردية لذلك الماضي، وليس هذا هو المستقبل لأنّه سيكون مستقبلاً قاتماً يخنق الروح.

ما الذي نراه ونعيشه إذن في عالم إبراهيم فرغلي؟ يتنامى ضغط التساؤل مع روايته الجديدة «جزيرة الورد» (منشورات المتوسط)، إذ نرى شجرة عناوين: عنواناً رئيساً وثلاثة أغصان تمثّل عناوين فرعيّة لثلاث نوفيلات. هذا هو المفروض، إذ يعرف متابع تجربة الكاتب أنّ اثنتين من هذه النوفيلات («ابتسامات القدّيسين» و«جنّية في قارورة») صدرتا عامي 2004 و2006، ولكن مع انتهاء القراءة سندرك أنّنا أمام رواية واحدة فعلياً، لا تشبه الشّجرة بقدر ما تشبه ثلاثة عوالم متداخلة، لا تكتمل تجربة معايشتها إلا بقراءتها كلّها. ومن هنا كانت ضرورة كتابة الحلقة الثالثة «مفتاح الحياة» برغم الفارق الزمنيّ الطويل الذي يفصلها عن سابقتيها وبسببه في آن، وإنْ كان تطوُّر التجربة قد تبدّى في فوارق نضج الكتابة بين الحلقات الثلاث، بحيث بدا من الأفضل لو عدّل الكاتب الروايتين القديمتين بحيث تتوافقان مع مستوى البراعة العالي في الرواية الثالثة، ولكنّ هذا الأمر يعود لتقدير الكاتب، وهو رهنٌ بتلقّي كل قارئ بحسب ذائقته.

تبدو شخوص الرواية كأنّها في سباق تتابع دائريّ لا ينتهي. يتحوّل الراوي في حلقة إلى كومبارس في حلقة أخرى، فيظهر راوٍ آخر وهكذا على طول صفحات الرواية التي تُماثل المرايا. تتداخل الشخصيّات في ما بينها إلى حدّ أنّ الشخصيّة ستعجز عن الاكتمال من دون وجود الشخصيّات الأخرى، لكنّها تصون فرادتها في الوقت ذاته. ففي لعبة الحضور والغياب، الذاكرة والحلم، الطفولة والشيخوخة، الجسد والروح، الذات والآخر، تتصادم المصائر ضمن ضبابيّة حلميّة تُخلْخِلُ ترتيب الواقع وتُشكّل واقعاً مغايراً نتبيّن فيه بؤس عالمنا المحكوم بصفاتٍ صارمةٍ للأشياء والكلمات، المحكوم بتصنيفات لا سبيل إلى تبديدها، تلتصق بنا كلعنة أبديّة.

يتأمّل فرغلي الواقع بعينٍ واعية تدرك أدقّ التّفاصيل في هذا المجتمع المحكوم بلعنة التصنيفات، ويُطلق – في الوقت ذاته – خياله ليرسم عالماً مُشتهى تنتفي فيه القيود. تُشرّح رواية «جزيرة الورد» عناصر هذا المجتمع الطائفيّة والطبقيّة والسياسيّة والاقتصاديّة، وتحاول رسم عالم ممكن آخر، تستعيد فيه مدينة المنصورة اسمها القديم الأجمل «جزيرة الورد»، ويستعيد فيه البشر حيواتهم التي سُرقت منهم بفعل البطش والقتل والتّمييز، وتترك النهاية مفتوحة مثل عينٍ تتأمّل الأفق الذي يُخفي الكثير. تُلامس الرواية الماضي من دون أن تغرق في نوستالجيا طفوليّة، وتواجه الحاضر من دون أن تُقيّد المشهد بصورة جامدة واحدة لا فوارق فيها، وتمدّ رأسها باتّجاه مستقبل مجهول من دون أن يُغريها تفاؤل أو تشاؤم ساذجان.

وبمعزل عن التصنيفات الجديدة التي تكاد تخنق المشهد الروائي العربي، وتريد تكريس روايات مكتوبة بالمسطرة لا حياة فيها، نجد بين أيدينا رواية مكتوبة ببراعة لم يُثقلها موضوعها الأساسيّ الذي يتناول أكبر قضيّة إشكاليّة مصريّة راهنة: العلاقة بين المسلمين والمسيحيّين.

موضوعٌ كهذا كان سيشكّل فخاً سقط ويسقط فيه كتّاب كثيرون انشغلوا بالأفكار والتّنظيرات ونسوا أنّ الرواية عملٌ فنيّ في المقام الأول. يكتب فرغلي عن الأمكنة بتفصيل دقيق بحيث نكاد نشمّ هواء الشوارع ونُبصر الأبنية واختلاف عمارتها ونسمع الأغاني والهمسات المتسلّلة من الشبابيك، كأنّنا تحوّلنا إلى أطياف – كأطياف الرواية – نكسر حواجز الزمان والمكان. يكتب عن الجسد والجنس بجمال لافت لا نرى مثله كثيراً في الروايات التي تنسخ ولا تُبدع، تُقلّد ولا تخلق. ويكتب عن فرادة ولعنة أن تكون مسلماً أو مسيحياً في مجتمع يُقدّم الخِلاف على الاختلاف. رواية «جزيرة الورد» مكتوبةٌ بهدوء لا افتعال فيه، وينبغي أن نُقرأ بهدوء إن أردنا فهمها والاستمتاع بها.

ربّما تتكاثف الضبابيّة في بعض الفصول بحيث يضيع القارئ أحياناً، ولكنّها رحلة تيهٍ تستحق المغامرة، بحيث تترك نفسك تضيع وسط هذا الضباب، ثم تتوقّف قليلاً لالتقاط أنفاسك وإعادة تأمّل الطريق التي قطعتها. رواية مكتوبة بحبّ وتُقرأ بحبّ، رواية لكاتب يعشق الخيال ويكتبه ببراعة. رواية تتطلّب قارئاً صبوراً يدرك أنّ الجمال والأدب هما «مفتاح الحياة».

تتناول أكبر إشكاليّة مصريّة راهنة: العلاقة بين المسلمين والمسيحيّين

شعر

«أحوال الماء» لسلمان زين الدِّين: أحوال السَّفر إلى صناعة القدر

عبد المجيد زراقط

لم أقصد إلى السَّجع لدى وضع هذا العنوان: «أحوال السَّفر إلى صناعة القدر»، وإنّما جاءت السَّجعة تلقائيّة بعد إنهائي القراءة الأولى لمجموعة سلمان زين الدين الشعريّة: «أحوال الماء» (منشورات ضفاف ـ منشورات الاختلاف). فقد بدا واضحاً، بعد إنهاء هذه القراءة، أنّ معظم نصُوص هذه المجموعة تنتظم في نظام علاقات يشكّل بنيةً دلاليّة تكشف أحوال السَّاعي، في سفرٍ/ إبحار إلى صناعة قدره. السَّاعي هذا هو «خدين الماء». يقول الشاعر: «أنا خدين الماء»؛ فالماء، هنا، دالٌ على «الأنا» السَّاعية إلى قيامتها وكمالها.

يحتاج تبيُّن هذا الحدس التلقائيّ وتقريره مفصّلاً إلى قراءة نصّيّة نقديّة؛ وهذا ما سوف نقوم به في ما يأتي، فنجري قراءة في عدد من نصوص هذه المجموعة لا تشمل نصوصاً قليلة ترتبط بمناسبات اجتماعيّة أو شخصية.

«أحوال الماء» هي المجموعة الخامسة للشاعر سلمان زين الدِّين، تلي مجموعات أربع هي: «زاد للطّريق» (2002)، «أقواس قزح» (2012)، «ضمائر منفصلة» (2015)، «دروب» (2016). وتتضمَّن قصائد ومقطوعات قصيرة وقصيرة جدّاً، منظومة وفاقاً لنظام التفعيلة، ما عدا بعض المقطوعات الموزونة والمقفّاة. ويلاحظ أنّ كثيراً من القصائد تتّخذ بنىً سردية، مثل قصيدة «القمقم المرصود»، التي يمكن أن تمثّل أنموذجاً للشعر السَّردي. يتميّز هذا النّوع من الشعر بأنّ الانزياح فيه يشمل البنية السرديّة الشّعريّة وعناصرها المكوِّنة لها: إيقاع، معجم، تركيب، بلاغة، دلالة، أو معظم هذه العناصر، شريطة توافر الإيقاعين: الوزني والنَّغمي.

تبدأ المجموعة بالإهداء. يتضمَّن هذا الإهداء ثنائيّةً تتمثّل في حالين هما: رماد الزَّنزانة/ جذوة الإبداع. وإذ يهدي الشاعر المجموعة إلى من لم تخمد حال الرَّماد حال الإبداع، يفترض أنّ حال الألم تخمد حال توقّد الإبداع، ويقرّر أنّ ما حدث سوى ذلك وعكسه، وهذا ما يقرِّره الشعراء والنقّاد، فنقرأ لالياس أبو شبكة قوله: «أجرح القلب واسقِ شعرك منه/ فدم القلب خمرة الأقلام». هاتان حالان متلازمتان تفضي الأولى منهما إلى الثّانية، ما يسمّيه «أبو شبكة» «دم القلب» يسمِّيه «زين الدِّين» «الدُّرّ»، وهذا «الدُّرُّ» الذي «نسعى إليه كامنٌ فينا»، وهو ما «يشغل فينا/ هوس الغوص عليه»/ في «قعرنا منذ الأزل»، والإبحار/ السَّفر ينبغي أن يكون إليه (ص 16).

للسَّفر مقامات وأحوال، وهي مقامات سفر الرُّوح وأحوالها؛ فالرّوح كما جاء، في قصيدة حوار (ص 47 ـ 55)، «درَّة الجسم الأغلى»، وهو ـ الجسم ـ «الثَّوب الذي يبلى/ على الذّهر» يتبدَّل بتبدُّل الأسماء، وإذ يعيا تمتطي جسماً سواه؛ يحملها من يقظة النَّبع إلى البحر الذي تعشقه، وتمرُّ بأحوال الماء».

فما هي هذه الأحوال التي تمرُّ بها الرُّوح، كما يقول الشاعر؟ «أحوال الماء» هو عنوان المجموعة وعنوان القصيدة الأولى من قصائدها. الحال الأولى، من هذه الأحوال، هي حال الماء الغيمة. في هذه الحال تتمثّل ثنائيَّة: غيمة تبكي الأرض التي ماتت/ تحيا الأرض في الشّتاء، فتشكّل مفارقة مفادها البكاء يحيي الميْت، الدُّموع الهاميات الهاطلات من السَّماء تروي الأرض اليباس، فتخضرّ... هذه العلاقة بين حال البكاء الإحياء والموت هي حال الألم/ توقُّد الإبداع، والوصول من الحال الأولى إلى الثانية يقتضي المرور بأحوال ومقامات، من يتعامى عنها يصبح لعبةً تلهو بها كفُّ القدر، والمارُّ بها، في سفره يصنع قدره، وهنا يمكن الإجابة عن السؤال: «هل نحن الألى نصنع أقداراً لنا/ أم أنّنا صنعُ القدر؟» (ص 19). تفضي الحال الأولى إلى الثّانية، فإذ تحيا الأرض في الشتاء، وتغزل رياحه الهوج من الثلوج البيض ثوباً للعروس الأرض في يوم الزِّفاف، تتهيَّأ للخصب. ويمضي مسار التحوُّل، فإذا بالينابيع تنبجس وتجري الجداول، وتخضرُّ الخمائل... ويبحر الماء إلى البحار، ويعود من جديد، كأنّه الرُّوح ترتدي قمصاناً تتبدَّل، ليعلو، من جديد، غيمة تبكي فتُحيي موات الأرض. والشاعر «خدين الماء» في حلّه وترحاله وسفره وإبحاره... تشكّل شموس العيش غيومه، ويمرُّ بأحوال تفضي به إلى أن يحلّق بـ«أجنحة العبير».

السُّؤال الذي يطرح، هنا، هو: يحلّق إلى أين؟

مسار هذه الأحوال والمقامات يذكّر بمسار الصُّوفيّ المتشكّل من أحوال ومقامات توصله إلى مقام الكمال، والعودة إلى موطنه الأوّل: الجنّة، فيعوِّض الفقد الذي حدث في أوّل الخلق.

السَّعي، في هذا المسار، متعب كأنَّه ضربٌ في الصَّحراء، وهو، إذ يمضي فيه يلقي عصا التَّرحال عند نخيلها؛ حيث يتساقط عليه الرّطب الجني، في تناصٍّ مع ما جاء في القرآن الكريم عن السيّدة العذراء، عندما «انتبذت مكاناً قصيًّا»؛ وإذ يرقى إلى هذا المقام يسبر أغوار المكان، ويروم «أقصى الرُّطب» لا تثنيه صعوبات عن تحقيق ذلك. و«أقصى الرُّطب» علاوةً دالَّة على بلوغ المقام الأعلى الذي يدلُّ عليه فضاء تساقط الرُّطب، وما جاء في قصيدة «قبل، مع، بعد»، ففي هذه القصيدة ينفخ الشاعر الرُّوح بالكلمات التي يصطفيها، في تناصٍّ آخر مع ما جاء في القرآن الكريم عن ولادة السيِّد المسيح، فتستوي الكلمات التي تنام على رسلها في بطون المعاجم، أو التي تموت ببطء، على عرش يسمِّي «قصيدة»، ومعه تقوم الكلمات من الموت مثل «مسيح جميل» (ص 35).

هوذا السَّفر المفضي إلى مقام القيامة، يمضي فيه «خدين الماء» حتّى يحقِّق حلمه أو دونه يطوي الجناح (ص. 24) لا تصرفه صعاب عن «أراجيح الخطر»، وهو قدره الذي يصبو إليه، ويسعى إلى صنعه، وإن لم يفعل يصبح «لعبة تلهو بها كفُّ القدر».

يوظِّف الشّاعر، في هذه المجموعة، ما يؤكِّد رؤيته: أسطورة إغريقيَّة هي أسطورة «سيزيف» وحكايتين عربيّتين مأخوذتين من ألف ليلة وليلة، هما حكاية السَّندباد وحكاية الصيَّاد والمارد، وحكاية واقعيَّة مأخوذةً من وقائع المقاومة الفلسطينيَّة.

«سيزيف»، في الأسطورة الإغريقيَّة، رمز العبث. حَمْلُه للصَّخرة إلى أعلى الجبل وركل «الإله» لها، وتكرار ذلك، طوال العمر، حكمٌ مبرم/ قدر، لا يمكن إن ثمَّ الرُّضوخ إليه الفكاك منه، لكنّ الشاعر يقول له: «وتروح تعمل جاهداً/... وتنسى أنَّ ما تسعى إليه/... كامن في ذاتك الصُّغرى» (ص. 45). فإلى هذه الذَّات يكون السَّعي والبحث عن قناديل الحقيقة. و«سندباد» «يرتكب الأسفار/ أو يقتحم الأخطار/ أو يلهو مع الأقدار مختاراً/ ولا يخشى الأعيب القدر» (ص. 40). والصيَّاد يبدو، في بدء حكايته، كأنَّه «سيزيف»؛ إذ يخرج من منزله «حاملاً صخرته الكبرى/ على ظهر لواه العمر/ واستلقى على عاتقه قبل الزَّمان.../ يطلب رزقاً كلّما طارده/ أرخى لساقيه العنان...» (ص 56). يُخرج المارد من سجنه في القمقم، وعندما يقول له المارد: «فأنا أصدرت حكمي مبرماً/ والحكم، عندي، قدر، فاختر سريعاً موتك الحتميّ/ كي تنفذ حكم القدر»، يفكّر، ويصنع قدره، ويعيد المارد إلى سجنه، ويقرِّر: «وحده العقلُ يلي الأحكام/ منذ البدء/ يوليها نهايات الطريق» (ص 69). وإذ بدا في البدء كأنه «سيزيف» توصَّل، بعد أن مضى في سفر عقليّ، إلى صناعة قدره.

وهنا يبرز الفرق بين الأسطورة الإغريقيَّة والحكاية العربيَّة، وهو الفرق بين الخضوع لحكم القدر والسَّفر في أحوال ومقامات إلى الذَّرِّ في الذات. الماضي في هذا السَّفر يرقى إلى مقام صنع قدره، هذا ما فعله الصيَّاد وما فعله «سندباد» وهذا ما كان ممكناً أن يصنعه «سيزيف» لو غاص إلى أعماق ذاته؛ حيث الذَّرُّ كامنٌ فيها.

وفي الحكاية الواقعية، المستلَّة مادتها الأوَّليَّة، من وقائع حياة الشَّعب الفلسطيني اليوميَّة، يأتي «الغاصب الصيَّاد»، كأنَّه «تنّين العالم الجديد»، أو قدره، ليوغل في اغتيال كلّ ما يؤتيه السَّفر، فتكون مقاومته واجبة كأنها العبادة. يقول الشاعر في قصيدة «قيامة» (ص 117 ـ 123) التي تتمثّل حكاية «صفعة عهد التَّميمي» للمحتلّ الغاصب وتمثّلها شعراً سرديًّا: «والصَّفعة الغرّاء/ من يدك الصَّغيرة/ بعض أشكال العبادة». ترقى المقاومة إلى هذا المقام في زمن ما زال فيه «أهل الكهف»، ومعروف من هم، نياماً. تعاني «عهد» وأبناء فلسطين ما يمكن أن يكون «صلباً»، ولكنهم يقاومون، ويسعون في سفر ذي أحوال مقامات، إلى القيامة، «فالصَّلب تعقبه القيامة». فكأنّ فلسطين هي السيِّد المسيح، وكان «تنّين العالم الجديد» يعيد حكاية سلفه القديم، لكنّ الصَّلب الجديد ستعقبه القيامة كما الصَّلب القديم.

وهكذا، كما يبدو، تتشكَّل بنيةٌ دلاليَّة تكشف أنَّ السَّفر إلى صناعة القدر يمرُّ بأحوال ومقامات، ويفضي إلى أن يحفر «خدين الماء» مجراه حتى يهوي. بوقط «نبعه من كراه» كما يفعل النّهر منذ أن ينبثق من ينبوعه، فيجري حرًّا، «ويهوي، حيثما يشاء ويصعد».

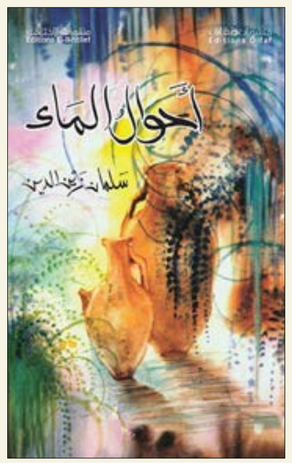

مسار هذه الأحوال والمقامات يذكّر بمسار الصُّوفيّ

لمحات

أريج جمال

تخوض أريج جمال تجربتها الأولى في الرواية في «أنا أروى يا مريم» التي صدرت أخيراً عن «دار الساقي». بعد تجربتين في القصّة القصيرة «مائدة واحدة للمحبّة» و«كنائس لا تسقط في الحرب» تروي الكاتبة والصحافية المصرية اللقاء بين مريم وأروى خلال فترة ثورة يناير عام 2011. كلتاهما تعودان إلى مصر خلال تلك الأيام التحولية، بعد سنوات غياب في الرياض وميونيخ. اللقاء بينهما سيكون انطلاقة لحديث شخصي يستعيدان فيه حياتيهما الشخصيتين اللتين يجمعهما حلم واحد، بالإضافة إلى تشاركهما «ألم لحظة الثورة».

لينا هويان الحسن

توقظ لينا هويان الحسن أسئلة الانتماء والهويّة في روايتها الجديدة «ليست رصاصة طائشة... تلك التي قتلت «بيلّا»» (دار الآداب). تعود الكاتبة إلى مطلع القرن العشرين في سوريا، الذي شهد وفود «غرباء» من بقاع مختلفة هرباً من الحروب. بيلا بيكتاش، وتيمورا ميرزا، وسيسي بابايان، وشمسي ميرزا آغا وآخرون اضطروا إلى تغيير لغاتهم والعيش في ذكرياتهم. فضلاً عن استعادتها أحداثاً تاريخية تخصّ الأفراد، تدور الرواية حول حيوات هؤلاء وتنقلاتهم، ولقاءاتهم في حلب ودمشق، وقصص حبهم الصامتة وعلاقاتهم المعقّدة...

مارغريت دوراس

يضمّ «التدمير» الذي صدرت ترجمته العربية أخيراً عن «شركة المطبوعات للتوزيع والنشر» روايتين للكاتبة والمخرجة الفرنسية الراحلة مارغريت دوراس. اختارت الأكاديمية عزة طويل ترجمة الرواية القصيرة «الرجل الجالس في الرواق» (1980)، ورواية «التدمير» (1969) التي تحوّلت إلى فيلم بالعنوان ذاته يحمل توقيع دوراس أيضاً. ما يجمع عملي الكاتبة الحائزة جائزة «غونكور» هو أسلوبها المكثّف الذي يمزج العمق والبساطة في آن واحد، خصوصاً في «التدمير» التي تضع فيها أربع شخصيات داخل فندق وأمام خيارات تدميرية.

«مجلة الدراسات الفلسطينية»

مقالات ودراسات متنوّعة تتضمنها «مجلة الدراسات الفلسطينية» (118 ـ ربيع 2019). يفكك الياس خوري «الديمقراطية الإسرائيلية» في تناوله للانتخابات الإسرائيلية، التي يتطرق إليها أيضاً أسعد غانم ومهند مصطفى. يقدّم العدد مساهمات حول اقتحامات قوّات العدو لرام الله في مقالة هنيدة غانم. يحاول عبد الرحيم الشيخ فهم الزمن الفلسطيني منذ النكبة، فيما نقرأ مقالات عن أدوارد سعيد ودور المثقف، ومصادر التاريخ الشعبي الفلسطيني، وسايكس بيكو في المخيلة البريطانية، كما تستكمل شهادات ملف «العودة المتخيّلة».

مارسيل بروست

تستعد «منشورات الجمل» قريباً لنشر الترجمة العربية لرواية «البحث عن الزمن المفقود» لمارسيل بروست، بأجزائها السبعة. الترجمة الكاملة التي نشرت للمرّة الأولى عام 2005 عن «دار شرقيات»، تعاون على تعريبها كل من إلياس بديوي، والأكاديمي جمال شحيّد الذي قام بمراجعة جديدة للطبعة المنتظرة. وتعدّ «البحث عن الزمن المفقود»، إحدى أعظم كلاسيكيات القرن العشرين التي يروي فيها الكاتب الفرنسي صراعه مع الزمن بأسلوب خاص يعتمد على الجمل الطويلة المعقّدة، وعلى التفاصيل المكثّفة كما لو أنه ينقضّ على الوقت عبر استحضار الماضي وذكرياته.

معين حدّاد

«المادية الجغرافية ــ ضرورة استكمال المادية التاريخية في الماركسية» هو عنوان المؤلف الجديد للأكاديمي اللبناني معين حدّاد (دار الفارابي). ولئن كان حداد ينطلق من المادية التاريخية، إلا أنه ينصرف إلى التركيز في بحثه على المادية الجغرافية. بعد الاهتمام الذي شهدته الأوساط الأكاديمية الغربية بهذا المجال، يطرح الكتاب قضية المادية الجغرافية في المجالات الفكرية العربية. مفتتحاً «النقاش بشأنها، مع الإشارة إلى أنها لا تزال تستدعي الاستكمال على المستويين النظري والعملي على السواء»، كما جاء في مقدّمة الكتاب.

أوراق

مسلّة الملك ميشع المزورة

زكريا محمد *

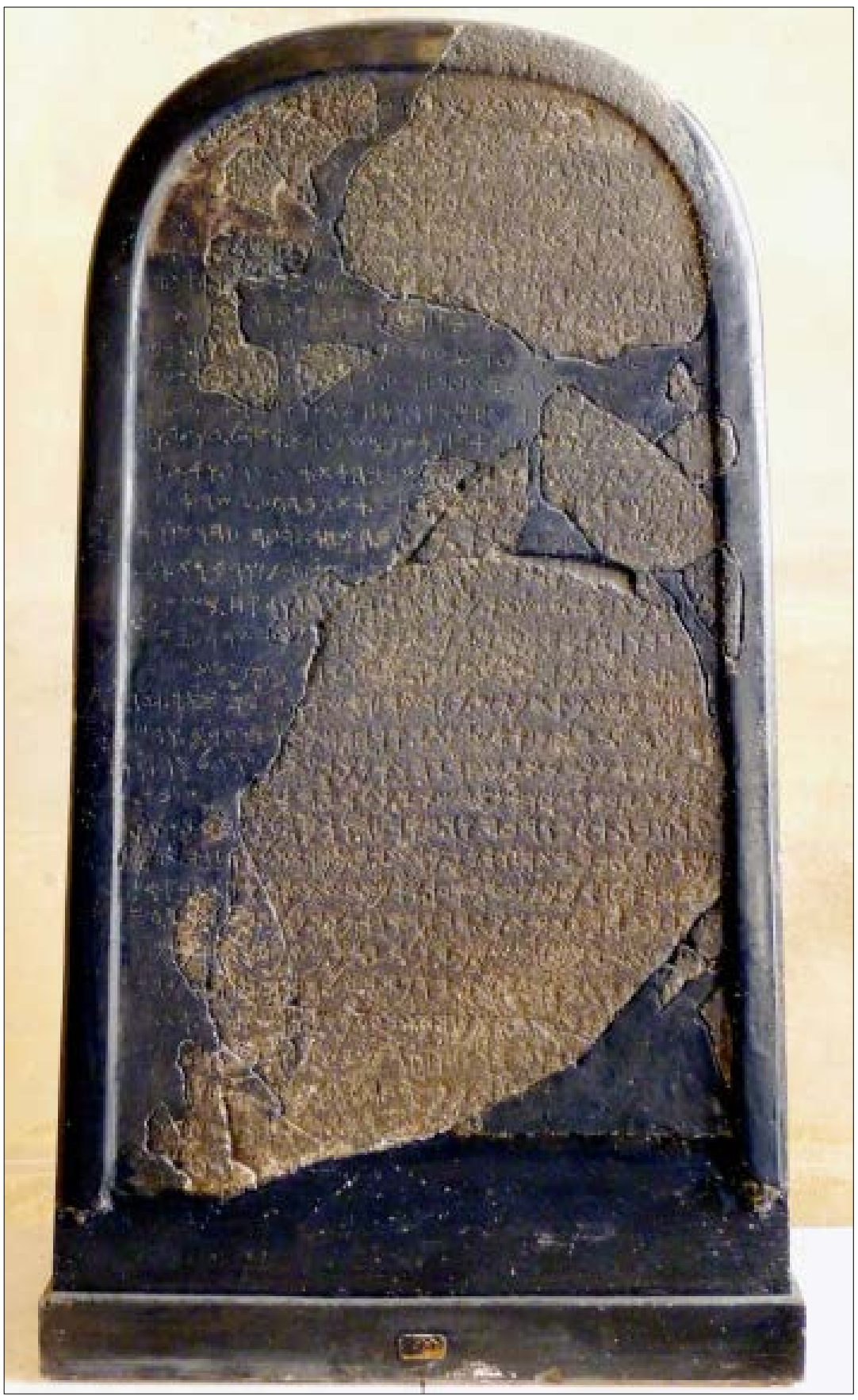

اكتُشفت مسلة «مسلة ميشع» أو «حجر مؤاب» في ذيبان في الأردن بعد منتصف القرن التاسع عشر. وهي موجودة الآن في متحف اللوفر في باريس. وتوجد نسخة مصنوعة منها في المتحف الأردني. ويفترض أن نصها يعرض الأحداث ذاتها التي يعرض لها الإصحاح الثالث من سفر الملوك الثاني في الكتاب المقدس، أي إنها تؤكد هذا النص.

وقد كان يمكن للمرء أن يتقبل عرض المسلة باعتباره عرضاً ميثولوجياً يؤكد العرض الميثولوجي لسفر الملوك الثاني، كما حصل في مسألة «بلعام بن بعور» و«طوفان نوح». فقد أثبت نقش بلعام من «دير علا» في الأردن وجود «بلعام» التوراتي، لكنه أثبته كتقليد ديني لا كتاريخ. كما أثبتت الألواح السومرية طوفان نوح، كقصة دينية، من خلال طوفان (أوتونبشتيم). أي أننا في هاتين الحالتين كنا مع تقليد ديني توراتي يؤكده تقليد غير توراتي، لا مع نصوص تاريخية تؤكد بعضها. وكان يمكن للمرء أن يدرج نص مسلة ميشع في هذه السياق، أي باعتباره قصة ميثولوجية تؤكد القصة الميثولوجية في سفر الملوك الثاني.

لكن المسلة تملك زعماً أكبر من ذلك بكثير. فلا تتقدّم كي تثبت تاريخية رواية سفر الملوك الثاني، بل إن زعمها الأساسي أنها رواية الطرف الآخر، رواية الضفة الأخرى من النهر، أي رواية «مؤاب»، للأحداث ذاتها التي وردت في سفر الملوك الثاني. وهذا في الحقيقة أمر نادر الحدوث جداً في النقوش القديمة. ولعل المثل الوحيد الذي نملكه هو معركة قادش (1275 ق.م) بين رمسيس الثاني والحثيين. فقد عثرنا على رواية عن المعركة في الأرشيفين الإمبراطوريين: المصري والحثي. لكننا نتحدث هنا عن إمبراطوريتين، لا عن كيانين صغيرين في شرق نهر الأردن وغربه.

والأهم أنه يمكن للمرء أن يلحظ أن في المسلة عملية تصفية لرواية سفر الملوك الثاني من أحداثها الميثولوجية. فهي تزيل معجزات اليشع، الذي حوّل الماء المالح إلى ماء عذب، ولا تضع معجزات مؤابية مكانها، بل تحول معجزات ميشع إلى مشاريع مائية واقعية: «وأنا... أنشأت البركتين بقرب المدينة، ولم توجد بئر في داخل قرحه، فقلت للشعب: اجعلوا لكم آباراً في بيوتكم». وهذا يعني أن المسلة تجري في الواقع عملية «عقلنة» لرواية سفر الملوك. أي هي تحذف الأحداث التي تبدو غير «المعقولة» في نص سفر الملوك الثاني. وهو ما يجعل المرء يشك في أن المسلة تقصد أن تقدم نفسها قصداً كتاريخ.

يتضح هذا من تجاهل المسلة للحدث الميثولوجي المركزي الصاعق في سفر الملوك الثاني: تقديم ميشع المؤابي ابنه أضحية على الأسوار. وهذا الحدث بالذات يمثل ذروة قصة التوراة، ولحظة انحلال عقدتها. فبعده انسحبت إسرائيل وحلفها: «فلما رأى ملك موآب أن الحرب قد اشتدت عليه أخذ معه سبع مئة رجل مستلي السيوف لكي يشقوا إلى ملك أدوم، فلم يقدروا. فأخذ ابنه البكر الذي كان ملك عوضاً عنه، وأصعده محرقة على السور. فكان غيظ عظيم على إسرائيل. فانصرفوا عنه ورجعوا إلى أرضهم» (ملوك ثاني 3: 26-27).

هذا الحدث المركزي أزيح من نص المسلة. فلماذا يتخلى ميشع في مسلته المزعومة عن أهم حدث في القصة، وهو الحدث الذي أدى إلى انتصاره؟ هذا ما يضاعف الشكوك حول المسلة. إذ هو يعطي الانطباع بأن هناك طرفاً ما، أو لنقل مؤلفاً ما، يحكم على نص سفر الملوك، ويفصل بين ما يعتقد أنه تاريخي وما يعتقد أنه ميثولوجي فيه، راميا الميثولوجي إلى سلة المهملات، وزارعاً ما يعتقد أنه التاريخ في نص المسلة.

أكثر من ذلك، فنص المسلة يختصر قصة الملوك الثاني ويزيد من استقطابيتها. فهو يحذف يهودا وآدوم من المشهد، باعتبارهما عنصري تشوش في العرض التاريخي- الدرامي المطلوب، في ما يبدو.

غير أن المشكلة المركزية في عرض المسلة، والتي تثير أشد أنواع الشكوك هي مسألة: يهوه. فالمسلة توافق على أن يهوه إله إسرائيل القديمة. وهي بهذا توافق على خلطة توراتية حدثت متأخراً جداً. فالخلطة التي جمعت تقليدي يهودا وإسرائيل في تقليد واحد، وصار بموجبها يهوه إلهاً ليهودا وإسرائيل معاً، بعدما كان في الأصل إلهاً ليهودا وحدها، حدثت في زمن لا يتعدى العهد الفارسي، أي في حدود القرن الخامس قبل الميلاد على أبعد تقدير. وقد أوضحت في كتابي الذي صدر قبل عدة أشهر (عندما سحقت حية موسى: نشور اليهودية في فلسطين في العصر الفارسي). وإذ تجعل المسلة من يهوه إلها لإسرائيل، لا ليهودا، فهي تضع نفسها موضع التساؤل. إذ كيف لها وهي ابنه القرن التاسع قبل الميلاد- حسب التوقيت المفترض- أن تعرف بنتائج عملية حصلت بعد أربعة قرون من وجودها؟ عليه، فإما أن تكون المسلة مصنوعة بعد العصر الفارسي، وهذا لا يصح، لأنه من المؤكد أنه لم يكن هناك كيان اسمه إسرائيل في فلسطين في هذا الوقت، أو أنها من اختراع القرن التاسع عشر، أي من اختراع أناس قرأوا التوراة كما نعرفها الآن، ونقشوا مسلة مؤاب على هدي «معلوماتها».

> احتمالات أن تكون المسلة مزورة عالية جداً، بل تكاد تكون مؤكدة في نظري

يدعم الافتراض الثاني أن المسلة بنت نفسها على غرار نص سيرة سرغون الأول، الذي كتب بعد مئات السنوات من موت سرغون ذاته. يقول سرغون في أول سيرته: «أنا سرغون»، ويقول ملك مؤاب في أول سطر في المسلة: «أنا ميشع». الصيغة ذاتها. لكن الطريف في الأمر أن نص أسطورة سرغون اكتشف وترجم قبيل اكتشاف مسلة ميشع مباشرة. إذ ترجمت السيرة الأسطورية لسرغون في عام 1867، في حين أن المسلة اكتشفت بعد هذا بعام واحد، أي عام 1868. ولهذا بدأت المسلة بجملة مشابهة لجملة سرغون. لقد قرأ المزور نص سرغون في ما يبدو.

أما الرواية البوليسية العجيبة للعثور على المسلة، فتقدم للمتشكين سبباً وجيهاً آخر يدعم تحفظهم حول أصالتها. ويحسن بمن يهتم أن يقرأ هذه الرواية البوليسية كي تتأكد له الشكوك حول المسلة.

فوق ذلك، فقد وافقت المسلة من حيث المبدأ على رواية سفر الملوك الثاني القائلة أن مؤاب كانت خاضعة لإسرائيل. فملك مؤاب يعلن بسهولة ويسر أن عمري وابنه، ملكي إسرائيل، قد أذلا مؤاب. وهو أمر لا يحدث عادة في المسلات الملكية ذات الطابع الدعائي. فالملوك لا يبدأون عروضهم الدعائية بالقول أنهم كانوا مستضعفين ومذلين، حتى لو كانوا كذلك واقعياً. غير أن المزورين جعلوا ميشع يعلن أنه كان مذلاً من مؤاب وخاضعاً لها في وقت ما.

بالطبع، يخالف نص المسلة نص الملوك في أكثر من موضع، وعلى الأخص في نتيجة المعركة، فقد قلبت المسلة نتيجة المعركة. إذ جعلت مؤاب ينتصر، عملياً، على إسرائيل بدل أن تنتصر إسرائيل عليه. لكن هذا القلب ضروري من أجل تقديم ما يبدو أنه وجهة نظر الطرف الآخر. فليس متوقعاً من مزور أن يجعل إسرائيل ينتصر على مؤاب في مسلة مؤابية. على كل حال، فإن انتصار مؤاب في المسلة لا يقض مضجع المؤلف، ولا مضاجع باحثي التوراة. فالهدف الأساسي هو إثبات تاريخية نصوص التوراة. بالتالي، لا يهم هؤلاء أن هزمت إسرائيل في المسلة، وأثبتت تاريخية هذه النصوص في الوقت ذاته.

انطلاقاً من كل هذا، فإنني أدعو إلى التدقيق في المسلة وفي صحتها. أعرف بالطبع أن كثيراً من الناس، وفي الأردن خاصة، تبهجهم فكرة أن ميشع قدم ابنه أضحية لكي يواجه إسرائيل القديمة المفترضة، مماهين إسرائيل القديمة بإسرائيل الصهيونية الحالية. أنا أتفهم هذا جيداً، وأفهم الروح الوطنية الكامنة وراءه، لكن هذا خطر أيديولوجياً وتاريخياً. فإسرائيل القديمة كانت جزءاً من هذه البلاد وليس لنا معها أي مشكل. مشكلنا مع إسرائيل الصهيونية الاستعمارية التي زرعتها في بلادنا أوروبا وأميركا. هذا أولاً. أما ثانياً فاحتمالات أن تكون المسلة مزورة عالية جداً، بل تكاد تكون مؤكدة في نظري. ولسنا بحاجة إلى أثر مزور كي يكون رمزاً لنا.

* شاعر فلسطيني